(١٢٩)

جواب العارفين على أسئلة الصادقين

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب	جواب العارفين على أسئلة الصادقين
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	٢٧ يناير ٢٠٢١م، ١٤ جمادى الثانية ١٤٤٢هـ
كتاب رقم	١٢٩ من الكتب المطبوعة
سلسلة	أسئلة صوفية- الكتاب الخامس
الداخلى	٢٨٨ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إيداع محلى	٢٠٢٠/٢٢٨٨٠
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٠-٨٢٦٣-٩
باركود	22880 9 789779 082639
	مطابع النوبار بالعبور

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

GET IT ON Google Play

https://qrgo.page.link/FKDJS

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على هداه، والشكر لله على ما خصنا به من عطاياه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القاسم لفيض فضل الله على صفوة عباد الله، والقائل فى ذلك:

{ اللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }١

صلى الله عليه وآله وصحبه ومن والاه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

كان نتيجةً لانتشار وباء كورونا فى العالم كله أن بادرت دولتنا مصر الأخذ بالسُنَّة النبوية فى المبادرة إلى أساليب الوقاية والتحرز من خطورة نشر هذا الفيروس، وكان من جملة هذه الأساليب منع التجمعات لأنها أكثر بيئة ملائمة لنشر العدوى لهذا الفيروس، فتوقفت الصلاة فى المساجد عامة فى كافة أنحاء الجمهورية وذلك قبل رمضان ١٤٤١ هجرية بقليل؛ وكان نتيجة ذلك ان توقفت أنشطتنا الدينية فى المساجد وفى المواجهات المباشرة مع الجماهير، فألهمنا الله فى منتصف شهر رمضان ١٤٤١ هجرية أن نشترك فى برنامج زوم على النت وهو خاص بالاجتماعات مع تباعد المسافات، بحيث يسمح لاشتراك المجتمعين من أماكن إقامتهم من كل أنحاء العالم، ويرون بعضهم بعضاً، ويسمعون بعضهم، ويتناقشون في المسائل والموضوعات المحدد مناقشتها فيما بينهم.

واتفقنا مع الأحباب فى كل البلاد على مستوى العالم على التجمع بعد صلاة العشاء والتراويح على هذا البرنامج، ونتلو معاً الصلوات على سيد السادات الواردة عن الإمام أبى العزائم رضي الله تبارك وتعالى عنه، ويعقب ذلك درس ديني نقوم بإلقائه، ثم نختم ببعض القصائد الدينية لأحد المنشدين المتواجدين.

وقد آثرنا أن تكون هذه الدروس عن معرفة الله سبحانه وتعالى مع ضرب الأمثلة بمن وصلوا إلى مرحلة الفناء فى هذه المعرفة من الصحابة الأجلاء والصالحين الأتقياء الأنقياء، وقد قام الأحباب الموفقين بجمع هذه المادة العلمية فى كتاب وتمت طباعته ونشرة وسُميَّ (معرفة الله عند أهل الفناء).

---

١ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

وكانت هذه اللقاءات يومية في العشر الأواخر من ليالى شهر رمضان، ونتيجة لإلحاح الأحباب في استمرارها بعد شهر رمضان رأينا أن تكون يوم الخميس من كل أسبوع بعد الانتهاء من صلاة العشاء، ومازال هذا البرنامج مستمراً إلى الآن.

وبعد الانتهاء من المادة العلمية لكتاب (معرفة الله عند أهل الفناء) انهالت علينا أسئلة كثيرة من الأحباب تتعلق بأحوالهم وسلوكهم والخطرات التي تمر على قلوبهم، فكنا ولا زلنا نجيب على ثلاثة أسئلة في كل لقاء، وقد جمع الأحباب هذه الأسئلة وإجاباتها في هذا الكتاب الذي اختاروا له اسماً يدل عليه وهو (جواب العارفين على أسئلة الصادقين)، واكتفينا بهذا الكم من الأسئلة حتى لا يخرج الكتاب في حجم ضخم يصعب على المبتدئين قراءته، ونسأل الله ﷻ أن يجعله عملا خالصاً لوجهة الكريم، وأن يكون ما فيه موافقاً للصواب الذي يريده الله، وما ورد في السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الكهف)

وصلى الله على سيدنا محمد معلم الناس الخير، وآله العلماء، وصحابته الحكماء، وكل من ورثهم فى هذا المقام؛ مقام العلم والحكمة إلى يوم الجزاء.

الجميزة، غربية، الخميس الموافق السادس والعشرون من جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ، الموافق للعاشر من يناير ٢٠٢١ م

فوزي محمد أبوزيد

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: www.Fawzyabuzeid.com

تطبيق جوجل بلاى للموبيل : https://qrgo.page.link/FKDJS

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com, fwzyabuzeid٤٨@gmail.com,
fawzyabuzeid@yahoo.com

من روابط صفحات الشيخ فوزى محمد أبو زيد، على الفيس بوك
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid, https://www.facebook.com/sfaa,
https://www.facebook.com/shbabmoaser
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library
https://www.facebook.com/khotab, ttps://www.facebook.com/alsoufia
https://www.facebook.com/esharatelaarfeen@yahoo.com

الفصل الأول

مع الشيخ

١- إيثار المريد نفسه على شيخه	٦
٢- عين الأدب مع الشيخ	٨
٣- أدب المريد مع شيخه	١٠
٤- التلقي من الشيخ	١٣
٥- التلقي من الشيخ كشفاً	١٥
٦- علامات حب الشيخ للمريد	١٧
٧- توارد الخواطر بين الشيخ والمريد	١٩
٨- نظرة الشيخ للمريد	٢٣
٩- كلمة الشيخ	٢٥
١٠- الاكتفاء بالصلاة على النبي عن الشيخ	٢٦
١١- الشيخ الحقيقي	٢٨
بداية الجيلانى	٢٩
الإذن للمريد	٣٠

١- إيثار المريد نفسه على شيخه

س: قال أحد الأصحاب لرسول الله ﷺ: {مَا كُنْتُ أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا } ... ما الأمور التى يؤثر فيها المريد نفسه على شيخه أو إخوانه؟

هذا الحديث ورد في سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره، فقد أعطاه النبي ﷺ كوباً بعد أن شرب منه، وأمره أن يسقي من على يمينه، فقال:

{ مَا كُنْتُ أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا }[٢]

يعني لا يؤثر بسؤره أصحاب النبي الأعاظم الذين كانوا على يمينه وإنما بدأ بنفسه، وهذه إشارة إلى أن المريد الذي وصل إلى مقامات الفتح الإلهي، وتوالت عليه النفحات الإلهية والعطاءات الربانية، ينبغي أن يبدأ أولاً بنفسه، فيذيق قلبه لذة هذه الفتوحات، ويقوم بأعضائه وجوارحه ليكون أول من يعمل بما أمرت به هذه الفتوحات، حتى تتمتع روحه بهذه الأنوار النازلة له بمحض الفضل والهبات من الله ﷻ، وبعدها يُعطي إخوانه وأحبابه نصيباً من ذلك.

والفتح ينزل للمرء، أيُّ رجل من أهل الفتح يكون له نصيبٌ ذاتي لنفسه، فينبغي عليه أن يدخره لنفسه ولا يُؤثر به غيره، ولا يُخبر به سواه، وينزل عليه فتحٌ لغيره لتأليفهم وشرح صدورهم وزيادة إقبالهم، وهذا لا بأس عليه إن صرَّح به لغيره، فقد ورد بالأثر فيما حدث لرسول الله ﷺ في ليلة المعراج: **((فأعطاني ربي ثلاثة علوم: علمٌ أمرني بكتمه، وعلمٌ أمرني بإبلاغه، وعلمٌ خيَّرني فيه))**.

فأما العلم الذي أمره بكتمه فهو علم الحقائق العالية التي نزلت خصيصاً له في صدره من الله، وفيها يقول موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ من كثرة ما نزل فيه من الحقائق الإلهية العالية ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ لأنه لم يتحملها أحدٌ ممن حوله: ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ (١٣الشعراء) لأن هارون هو المعين له في إبلاغ الشريعة.

---

٢ سنن الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

وأما العلم الذي أُمر بتبليغه، فهو علم الشريعة المطهرة.

والعلم الذي خُيِّر فيه هو علم الحكمة، والحكمة فضلٌ من الله: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢٦٩البقرة) وفيها يقول ﷺ:

{ إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام قَامَ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ }[٣]

كونوا كالطبيب الرفيق، يضع الدواء في موضع الداء، فمن وضع الحكمة في غير أهلها دخل في قول عيسى بن مريم عليه السلام: **(لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير)**، والذي لا يقبل الحكمة أشد من الخنازير، والحكمة أغلى من كل الجواهر الظاهرة والباطنة:

خذ ما صفا لك من إشارة عارف فالعارفون كلامهم يُشفي السقام

أما الذي يُؤْثر المريد فيه نفسه على شيخه: فهو أن يؤثر نفسه بالبذل قبل شيخه، وبالتقدم أمام شيخه، وبمعالجة الأمور التي تحتاج إلى قوة حتى لا يشق على شيخه، فيسعى إلى إراحة شيخه طلباً لمرضاة الله، ويؤثِر نفسه بالأعمال الشاقة طلباً لمرضاة الله بإراحة شيخه ... وهذا ما كان يحرص عليه الصحب الكرام، فعندما كان ﷺ في غزوة بدر، وكان قد قرَّر لكل ثلاثة بعير، يتناوبون الركوب عليه والمشي، وكان معه سيدنا علي وأبو لبابة الأنصاري رضي الله عنهما، فقالا: يا رسول الله لا ينبغي لنا أن نركب وأنت تمشي، ولكن اركب أنت ونكفيك المشي، فقال ﷺ مبيناً واجب القدوة الصحيحة:

{ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا }[٤]

فأصَّر على أن يكون له نصيبه في المشي، ونصيبه في الركوب، ليُعطي القدوة لمن بعده ﷺ، لأنه الأُسوة الطيبة ..

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: **((المريد الصادق يفهم إشارة المرشد قبل كلامه))**، فإذا كان في مجلس يشعر بأن المرشد يحتاج إلى كوب ماءٍ من باطن قلبه، فيسعى لإحضار الماء، حتى لا يكلِّف شيخه حتى أن يطلب الماء، أو يطلب من يسعى

---

٣ المطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس رضي الله عنه
٤ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

له لإحضار الماء، وهكذا، فهو يسعى لأن يُؤثر شيخه على نفسه في الأمور التي تحتاج إلى عناء، أو تحتاج مشقة وتعبٍ في العمل، فذلك سبيل السعداء، نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون منهم أجمعين.

٢- عينُ الأدب مع الشيخ

س: ما عين الأدب مع الشيخ؟

الأدب مع الشيخ فيه كلام كثير يحتاج إلى سرد ووقت طويل، وقد لخصناه في كتابنا (المنهج الصوفي والحياة العصرية) في واجبات المريد نحو شيخه، وجَمعه الإمام أبو العزائم ﷺ في إحدى حِكَمه العلية فقال: ((شيخك، اجعله أباً رءوفاً رحيماً لك، أو أخاً صادقاً معك)) إما أن تُنزله منزلة الأب، .. وتقوم له بالواجبات التي ينبغي عليك أن تقوم بها للأب.

فهذا أب الروح، وأبوك أبو الجسد، وأبو الروح كما قيل أفضل من أبي الجسد، لأنه هو الذي يملك بإرشاداته وتوجيهاته وشفاعته ودعائه أن يخلصني من هموم الدنيا وغموم الآخرة، فيقوم له الإنسان بما ينبغي عليه أن يقوم به لأبيه، بأن يؤثره على نفسه، بماله وبوقته وبنفسه، وبكل شيء يملكه، إذا كان حضرة النبي قال في أب الجسد:

{ أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ }[٥]

فأنت ونفسك وروحك وكلك لشيخك الذي يُخرجك من الظلمات إلى نور الإشراقات والتهاني وعالم الكمالات، أو تتخذه أخاً صادقاً معيناً لك، يكون كما قال ﷺ:

{ صَاحِب مَن إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[٦]

تكون فيه هذه الخلال، وأنا أبادله بهذه الأوصاف الكريمة، أُعينه على الطاعات، وأنبهه برفقٍ ولطفٍ عند المخالفات، وآخذ بيده عند المعاصي والآثام والذنوب، وأُعينه بما أستطيع وما أقدر عليه في أي طاعة يقوم بها لحضرة علام الغيوب ﷻ.

---

٥ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن جابررضي الله عنه
٦ الإخوان لابن أبي الدنيا

هذا الأدب مع الشيخ يظل يرتقي إلى أن يكون كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ لتلميذه النجيب سيدي أبو العباس المرسي ﷺ، فقد روى سيدي أبو العباس وكان في تونس بعد مهاجره من بلاد الأندلس أنه رأى رؤيا، أن سيدي أبو الحسن الشاذلي نزل من السماء، فسقط فوقه ودخل فيه وتوارى في جسمه.

وإذا بسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ – وكان قد توجَّه إلى الحج واستقر في مصر بعد الحج لبعض الوقت – يرجع إلى تونس، وعندما رأى أبو العباس قال:

والله ما رجعت إلا من أجل هذا الفتى!

فتذكر أبو العباس رؤياه، فقال سيدي أبو الحسن له:

والله ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت.

فما دام المريد يجعل حاجزاً بينه وبين شيخه: ... تصبح بينهما كُلفة، ... والكُلفة تُذهب الأُلفة، يعني يحرص على آنيته!!، ويجعل نفسه غير شيخه!! وله حيثية !!، ولشيخه حيثية!!، ويفرّق بينهما!!، ويحرص على حيثياته!!، ولا يهتم بحيثية شيخه !!، لأنها ليست له ولا ملكاً له ؟؟؟ !!

فهذا محبٌ في بداية الطريق !!

وليس رفيقٌ سار معه على الدرب وعلى الطريق ...

أما أهل التحقيق: فيتواروون في المرشد ...

وتكون همومه هو هم مرشده، ... وحاجاته هي حاجات مرشده، ... وما يطلبه هو ما يطلبه مرشده !!!

ومرشده حاجاته هي حاجات رسول الله، وطلباته هي ما يطلبه رسول الله، ومحبوبه هو ما يحبه رسول الله ...

ورسول الله ﷺ ليس له همٌ إلا رضا مولاه، وليس له طلبات إلا ما يطلبها منه مولاه، وليس له حاجة في الكونين في الدنيا والآخرة سواه، أو طلباً لرضاه ...

وبذلك فهو يكون على النهج السديد الذي سار عليه كُمَّل العبيد.

أسأل الله أن يوفقنا أجمعين إلى الأدب الراقي الذي يبلِّغنا أعلى منازل الأفراد الوارثين والصديقين والموقنين.

٣- أدب المريد مع شيخه

س: الآداب مع الصالحين هى البراق الرافع للمريد الصادق فى طريق الله، حدثنا فضيلتكم عن تلك الآداب؟

الصالحون أجمعون يأتسون بخير النبيين وإمام المرسلين، ويأخذون مناهلهم من كتاب رب العالمين، ولهم أسوة طيبة في الصحابة المباركين، ومَن بعدهم من الصالحين في التأسي بهم في الأدب الواجب مع الصالحين في كل وقت وحين.

هذه الآداب ذكرها الله تبارك وتعالى في الكتاب، فالأدب مع رسول الله ﷺ هو الأدب مع ورثته، والقائمين بإذنه وإرشاده بدعوته، وهو كذلك الأدب الواجب الذي نبَّه عليه الولي الصالح كليم الله موسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فأول الآداب الرافعة للمريد الواجب اتباعها مع شيخه في الله تبارك وتعالى هي السمع والطاعة: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٥٩النساء) وأولي الأمر منا هم الأولياء الراشدون المرشدون، المأذونون بالإرشاد من الله ورسوله ﷺ.

والطاعة لا بد أن تكون في معروف، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا أمرني بأمر أعلم علم اليقين أن فيه صلاحي، وفيه رفعتي، وفيه نجاحي، فلا أتردد في تنفيذه، ولا تنثني نفسي وتحاول أن تغويني أن أخالف الأمر بحسب الهوى، وتُفسر هذا الأمر بحسب هواها بما لا يريد شيخي وأستاذي في طريق الله، فأنا أنفذ مراده لا مرادي أنا، وأعلم علم اليقين أن مراده هو الذي فيه الفلاح والنجاح لي، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ هم السابقون المقربون في هذا الباب، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ: اجْلِسُوا، فَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: اجْلِسُوا، فَجَلَسَ فِي بَنِي غَنَمٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَاكَ ابْنُ رَوَاحَةَ جَالِسٌ فِي بَنِي غَنَمٍ، سَمِعَكَ وَأَنْتَ تَقُولُ لِلنَاسِ: اجْلِسُوا، فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ }٧

٧ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

كان صوت النبي ﷺ بتوفيق الله له تسمعه حتى الظعائن في أجواف البيوت!!

فلما سمع هذا الصحابي قول النبي: اجلسوا، فجلس حتى انتهى النبي ﷺ من خطبته، وخرج المسلمون فوجدوه جالساً، فقالوا له: يا فلان لِمَ أنت جالس؟! قال: لأني سمعت النبي ﷺ يقول: اجلسوا: ولم أسمعه وهو يقول لكم: قوموا، فلا أقوم حتى أسمع صوت النبي ﷺ!.

هكذا كانت الطاعة التي تُبلِّغ المرء أرفع الدرجات، وتجعله يحقق الله تبارك وتعالى له أعظم الأمنيات.

ومما يُعجب له في هذا الشأن ...

أن سيدي أبو سليمان الداراني وكان من أكابر الصالحين، وكان له تلميذٌ اسمه أحمد بن أبي الحواري، فجاء التلميذ يوماً وشيخه في حالة شهود وتجلي بين يدي الله، وكان أمام بيته فرن يوقدون فيه النار ليخبزوا فيه الإدام والخبز لضيوف هذا الشيخ المبارك، فلما رآه وألقى عليه السلام قال له شيخه بعد انتباهه: أحمد، ألق نفسك في هذا الفرن، وبعد لحظات طالت أفاق الشيخ وقال لهم: ابحثوا عن أحمد فإني قد أخذت عليه عهداً أن لا يعصي لي أمراً، فذهبوا إلى الفرن فوجدوه جالساً في وسطه، والنار من حوله لا تؤذيه ولا تقترب منه! فكان شبيهاً بأبي الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام بسبب طاعته لشيخه، وإخباته لأمره، وعدم منازعة نفسه في خلافه.

فينبغي أن يتنبه المريد الذي يريد الرفعة في طريق الله لهذه الأهواء، والمنازعات التي تنازع الإنسان عندما يسمع أمراً من شيخه، ويحاول أن يفسره بهواه، أو يفسره بغفلته، أو يفسره من قِبَل نفسه، وليقُل لنفسه دائماً:

مرادي أو مرادك قد يكون فسلّم لا تغيرك الشئون

الأدب الثاني:

بعد الطاعة هو التسليم:

وعدم المنازعة لأي أمر يقوله شيخه أو يفعله، .... إلا إذا رأى أمراً يخالف شرع الله، ... ومن يخالف شرع الله ويمشي على هواه فهو مدَّعي للمشيخة وليس شيخاً في طريق الله تبارك وتعالى.

ولذلك ينبغي عليه أن يعظم مراد شيخه ويُسلم له في كل ما يأمره به، فإن أمره بقيام الليل قام على قدره، وإن أمره بصيام صام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإن أمره بتلاوة القرآن يقوم بذلك ولو ببضع آيات كل يوم وليلة، ولو أمره بذكر يواظب عليه ولا يتحول عنه إلى غيره إلا بإذنه، وإذا أمره بالأسباب لأنه لا يُحسن التوكل فلا يتوكل، إلا إذا أمره شيخه بالتوكل على الله.

وهكذا يسلم كل أموره لشيخه، ومعنى ذلك أن يشاوره في كل شئونه المهمة التي تتعلق بالآخرة، وكل شئونه التي لا غنى له عنها في الدنيا كالزواج أو الفراق أو السفر أو الحج إلى بيت الله، أو طلب العلم، وما شابه ذلك، و عليه أن يسلم له في كل ذلك، ولا يخالف نهجه حتى يدخل في قول الله

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥ النساء)

الأدب الثالث:

أن لا يرفع عينيه إليه، ويُكثر من النظر إليه وهو في حضرته، والمراد هنا تثبيت النظر، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يُثبت بصره في وجه أحد.

وأن لا يرفع صوته زائداً عن الحد عند مخاطبته، وأن لا يمشي أمامه في طريق إلا إذا كان يتحسس له الطريق، وأن لا يتحرك أي حركة في مجلسه إلا إذا كان له فيها سندٌ شرعي، وكان عليها أصحاب النبي وأتباع الصالحين من بعدهم إلى يومنا هذا.

الأدب الرابع:

أن يعينه على إبلاغ رسالة الله، ولا ينظر إلى ما قدَّمه، فلو نظر إلى ما قدَّمه فإن هذا من نفسه وهذا قد يُحبط عمله، فمن قدَّم مثلاً طعاماً للأحباب الزائرين، وظن أنه بذلك ينال منزلة عند شيخه فقد أخطأ، لأنه يقدِّم الطعام لله، والأجر يكون عند الله.

وهكذا أي شيء يقدِّمه لشيخه:

إن كان مالاً أو طعاماً أو فاكهة أو ملبساً أو أي نوع من أنواع المعونات، يجعل ذلك خالصاً لله، وينتظر الأجر والثواب من الله، لأن المقامات ليست مقابل الأعمال، وإنما هي منٌ من الله من بحر المنة الإلهية، لا تقابلها أي أعمال دنيوية.

٤- التلقي من الشيخ

س: كيف أصل قلبي بقلب شيخي، ... وأتلقَّى منه العوارف و اللطائف؟

بالحب الذي يملأ تجاويف قلب الإنسان السالك الصادق إلى الله، ولا يتم الحب بين المريد وشيخه إلا إذا كان كما قال البعض: **((لا يتم الحب بين اثنين، حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا))**.

حتى يكون صورةً من حضرة المحبوب ﷺ باطنه، وإن كان الظاهر له خصوصية إلهية من الله ﷻ.

ويظل يرتقي الإنسان في الحب كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

هو الحب يرفعنا إلى العالم الأعلى ... فيُشهدنا نور الحقيقة والمولى
هو الحب حب الله يحيي نفوسنا ... وحب رسول الله من هو بي أولى

يظل يرتقي في هذا الحب، وهذا الحب يسحق الأغيار التي في قلبه، ويقضي على الصور الكونية التي ظهرت في أرجاء فؤاده، حتى لا يكون في قلبه إلا الله، والصور الجميلة والمرائي النبيلة لحبيبه ومصطفاه ﷺ.

فإذا اكتمل هذا الحب، فإنه يمحق من القلب ما سوى المحبوب، فيراه لا بمثال، فيُمحق من القلب كل هذه الصور الكونية، وتظهر فيه الأنوار الملكوتية، والأنوار الجبروتية، والأنوار والعظموتية، والأنوار اللاهوتية، والأنوار الملكوتية والجبروتية والعظموتية واللاهوتية كلها مزينة بزينة محمد رسول الله ﷺ.

فيشهد فيها قبساً من أنوار الحبيب ﷺ، وهنا لنا مثالٌ في ذلك بالصدِّيق ﷺ وأرضاه، فقد بلغ في حبه لرسول الله ﷺ أنه كان يؤثر حياته على حياته، ويؤثر ماله على ماله، ويؤثر أهله على أهله، ويؤثر خدمته على منامه وراحته، ويفضل كل شيء في سبيل النظر في وجه حضرته، حتى قال فيه حسان بن ثابت ﷺ مستحضراً حال الصدِّيق:

أُحبك حبا لو يُفاض يسيره على ... الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موف بالذي أنت أهله ... لأنك في أعلى المراتب من قلبي

انظر معي إلى واقعة بسيطة توضح هذا الحب وقدره:

فقد كان الصديق ﷺ عند البيت الحرام قبل الهجرة، وكان النبي ﷺ يطوف بالبيت، وأراد أهل مكة ومكذبوها ضربه أو ايذاءه، فذهب أبو بكر مسرعاً وقال لهم: أتقتلون رجلاً يقول ربي الله؟! فالتفتوا إليه وأخذوا يضربونه ضرباً شديداً، قيل: حتى لم تعد ملامح وجهه ظاهرة من شدة الورم الذي حدث لوجهه، فلم يعد يتبين أحدٌ عينيه من أنفه من فمه من شدة الورم، وصُرع وراح في غيبوبة.

فحملوه إلى بيته وأخذت أُمه تطببه، ومعها بعض أهله، حتى استفاق، فقالت له أُمه: آتيك بطعام؟ قال: لا، آتيك بشراب؟ قال: لا، قالت: فماذا تريد؟ – وانظر إلى الحب الشديد – قال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أطمئن على رسول الله ﷺ، قالوا: إنك لا تستطيع المشي، قال: ولو، فلما رأوا إصراره – وكان في هذا الحب شديد الإصرار – أخذ يتوكأ على أُمه من ناحية، وعلى رَجل قريبه من ناحية، حتى وصل إلى رسول الله ﷺ، وكان سيرهما بعد اجتهاد أمه ومناشدتها له أن لا يمشي إلا بعد انتصاف الليل حتى يهدأ الناس لكيلا يؤذيه الكافرون.

ولم يهدأ حتى ذهب إلى حضرة النبي واطمأن عليه، وكأنه سيق إليه كل النعيم وكل الطيبات عندما رأى النبي ﷺ.

فإذا بلغ العبد السالك في طريق الله في حب شيخه إلى هذا المبلغ، أو قريباً منه يفوز بقول الحبيب ﷺ في الصدِّيق ﷺ:

{ مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شَيْئَاً إِلَّا وَصَبَبْتهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ }[٨]

ما صُب في صدره شيء من العلوم الإلهية، والحكم الربانية، والأنوار القدسية، والأسرار الكنزية، والعلوم القرآنية، وغيرها، إلا وصبَّه في قلب الصدِّيق ﷺ، لماذا؟ لأنه في حبه لحضرة النبي ﷺ ليس له شبيه ولا مثيل.

فيا من يريد أن يتلقَّى العوارف من العارفين، واللطائف من الروحانيين، والحكمة من الحكماء الربانيين، السر في ذلك، والموصل إلى ذلك، والمفتاح لهنالك هو الحب الشديد لهؤلاء، لما جمَّلهم الله تبارك وتعالى به من نِعم وجمال وآلاء.

---

٨ أورده ابن الجوزي، وابن القيم

فنحن لا نحب الشيخ لطينته، وإنما لزينته التي زيَّنه بها حضرة الرحمن، نحبه للأوصاف الإلهية التي جمَّله بها مولاه، وللعطايا الربانية التي أفاضها عليه حضرة الله، وهذا الحب يكون في الحقيقة لله تبارك وتعالى، فنحن نحبه لجمال ما ظهر عليه من الأسماء الإلهية، والأوصاف الربانية، والحلية القرآنية ... نحبه من أجل هذه الجمالات الإلهية، لا من أجل الدنيا الدنية، ولا العطاءات الدنية، وإنما لما ذكرناه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوصلنا إلى ذلك، وأن يجعلنا أهلاً لذلك أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

٥- التلقي من الشيخ كشفا

س: هل يمكن أن يتلقَّى المريد من شيخه كشفاً؟ ... وكيف تقوى روحه لشهود هذا المقام؟

هذا السؤال ليس له إجابة في هذا المجال، لأننا في حضرة المقال، وإجابتنا لسؤال يُلقى باللسان، والإجابة تُسمع بالآذان.

أما أهل الكشف فهم أهل العيان، وهؤلاء ينظرون بعين أفئدتهم الخلية من الدنيا الدنية، فيرون بعيون حقائقهم؛ الحقائق الإلهية جلية، وهؤلاء يدخلون في قول الله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ (التكاثر) يرون بعين القلوب:

بعين الروح لا عين العقول ... شهدت الغيب في حال الوصول

وعين الروح عندما تشهد، وعين القلب عندما تنظر، هل يستطيع اللسان أن يتكلم للآذان بما شاهده بعين قلبه أو عين روحه؟! كلا وألف كلا، لأن هذه مشاهد عليِّه، تُفاض فيضاً على أهل هذه المنازل الراقية التقية النقية:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾ (المطففين)

رُوي أن رجلاً من الصالحين ... هو سيدي أبو عبد الله القرشي ﷺ، وهو دفين بيت المقدس:

اجتمع حوله نفرٌ من كبار أصحابه وقالوا له: يا سيدي نريد أن تُخبرنا ببعض علومك الكشفية الوهبية، فقال لهم: كم عدد أصحابي الآن، قالوا: ستمائة، قال: اختاروا من الستمائة مائة هم أتقاهم وأورعهم وأخشاهم لله تبارك وتعالى، فاختاروا مائة، فقال: اختاروا من المائة خمسة وعشرين، فاختاروا من المائة خمسة وعشرين، قال: اختاروا من الخمسة والعشرين خمسة، فاختاروا خمسة كلهم من أهل الكشف الجلي الإلهي، فقال لهم: لو أبحتُ لكم بعض ما رأيته بعيون الكشف، لكان أول من يُفتي برجمي هؤلاء الخمسة!.

فهناك أسرار لا تُباح إلا إذا مُلكت الأرواح، وتُباح مباشرة من حضرة الكريم الفتاح إلى قلوب ليس فيها شيء مما يعكر صفو المحبة، أو يؤخر الإنسان عن أعلى درجات القرب من الله ﷻ ..

يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

بالفضل حقاً قد بلغتُ مقامي ... فرد الوجود إمام كل إمام
السابقون الأولون جميعهم ... خلعوا العذار وما رقوا لمقامي
ولو أنهم في عصركم يا أحبتي ... لأتوا بذلٍّ طالبين مدامي

لأنه بلغ من المقامات العلية ما قال فيه:

فمائةٌ من الآلاف عشرون بعدها ... مشارب رسل الله بالإجمال
فلي قد تجلت، بل وفيَّ قد انجلت ... فسلّم لنا تحظى بخير وصال

كيف نصل إلى ذلك؟ ... يقول:

يا مريداً شهود ما قد شهدنا ... فاخلع النعل واستمع لمقالي

لابد أن يخلع الإنسان كل ما سوى مولاه، ويُقبل بصدق وتوفيق من الله على حضرة الله، ... حتى يصل إلى هذه المقامات العلية التي يكون فيها التلقي مباشرةً من حضرة الله:

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ (النمل)

أسأل الله:

أن يُهيّم أرواحنا، وأن يقوّي عيون أفئدتنا، حتى يشهدنا شميماً من هذا المقام.

٦- علامات حب الشيخ للمريد

س: ما علامات حب الشيخ للمريد ؟

أول علامات حب الشيخ للمريد أن تجد الشيخ يلاحظه دواماً، ويحاول أن يقوّمه على النهج الصحيح، تارةً بالنُصح، وتارةً بالملاطفة، وتارةً بالأُنس، وتارةً بالشدة، لأن كل مقام له ما يناسبه وما يلائمه من المشايخ للمريدين.

فإذا رآه دائماً وأبداً من المعنيين بقول الله: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ ﴾ (﴿٢٨٥﴾البقرة) سامعٌ لندائه بقلبه قبل آذان رأسه، مطيعٌ له في كل ما يأمره به ظاهراً، وكل ما يشير إليه أو يتوجه به إليه باطناً، تبناه وجعله ابناً له روحياً، وهذه هي الدرجة الأعلى.

فإذا صار ابناً له روحياً، وخاطبه بقوله له: يا بنيَّ، أو بقوله لها إن كانت أنثى: يا بُنيّة، أو يا ابنتي أو يا ابنة، رفع التكليف فيما بينه وبينه، وهذا دليلٌ على أنه رضي بالأُبوَّة له ... فإذا رضي بالأبوة له تنساب عليه العطاءات الإلهية، والفتوحات الربانية، ميراثاً من أبيه له على قدر قربه وحبه وإقباله على الله ﷻ، وهذه هي الدرجة العُظمى.

والابن لا ينتظر من أبيه أن يكلّفه بأمر، لأنه من نفسه يحرص على قضاء طلبات أبيه، وعلى أن يُهيئ له ما يريد، فإذا جاءه ضيفٌ مثلاً لا يحتاج إلى أن يقول له الأب افتح الباب، أو هيئ المكان، أو هات واجبات الضيافة، لأن الابن البار يسارع إلى ذلك كله من قِبل نفسه، لأنه يرى ذلك واجباً عليه.

وكذلك الابن البار لشيخه دائماً نظره على شيخه، يطالع مراده ويسارع في تحقيقه له، حتى يفوز بميراثه، وهو ميراثٌ عظيم يقول فيه الرب الكريم: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (﴿٣٢﴾فاطر) .. فيسارع دائماً وأبداً إلى البحث عما يحتاجه شيخه، ... والشيخ لا يحتاج شيئاً لنفسه، ... ولكن لإبلاغ دعوة الله، ... ولتنفيذ مراد مولاه بين عباد الله، ... ولنشر سُنَّة حبيب الله ومصطفاه.

فيا هناء من يقوم بهذا المقام، فهذا هو السعيد حقاً في دنياه وأُخراه وعند الله، لأنه نال بنُوَّة الصالحين، وميراث سيد الأولين والآخرين ﷺ.

أما الذين لم يبلغوا هذه الدرجة، فهناك درجة الأنصار الذين يناصرون المرشد والمربي والشيخ في إبلاغ دعوة الله، ويقفون بين يديه متعرضين، ليكلِّفهم بأي أمر يقومون به لنفع المسلمين، أو لنشر الدين، أو لإكساب القلوب المحبة لسيد الأولين والآخرين، ويفرحون فرحاً لا يعادله فرح إذا كُلِّفوا بأمر من هذه الأمور، لأن الله يقول لهم ولنا أجمعين: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨ يونس) ...

فيفرحون بفضل الله، وبرحمة الله، والعمل في هذا المجال بين يدي العبيد الذين هم جندٌ لرسول الله في هذه الأكوان يبلغون بالنيابة عن حضرته، وفيهم يقول الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٣٩ الأحزاب)

أما الدرجة الأقل من هذه .. الذين يكلِّفون أنفسهم من ذوات أنفسهم بالقيام بخدمة الشيخ، كمن يقوم بتحضير الطعام له، ومن يقوم بخدمة الأضياف وتقديم الواجبات لهم، ومن يقوم بقضاء المصالح للشيخ ولضيوفه طلباً لمرضاة الله، ولمن يقوم بتجهيز أو تنظيف المكان الذي يجتمع فيه الأحبة ابتغاء مرضاة الله، والذي وصفه النبي بأنه روضةٌ من رياض الجنة، والذين يشرفون على طباعة الكتب، والذي يساعد في توزيع الكتب، والذي يساعد في أي مهمة من مهمات الدعوة، هؤلاء هم الأنصار الذين أثنى الله عليهم في القرآن وقال فيهم النبي العدنان ﷺ:

{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ }[٩]

هؤلاء يكتسبون محبة الشيخ: لأنهم يعاونونه في رسالته، ويشاركونه في دعوته، وكل ما وصل إليه من الفتح الإلهي يكون لهم نصيبٌ منه يشاركونه فيه على قدرهم، لأنهم يُوزَّع عليهم من الغنائم بقدر ما غرموا في هذه الأمور التي توصل إلى هذه الغنائم والفتوحات الإلهية.

ونكتفي بهذا القدر في هذا المقام، لأن هذا المقام واسعٌ ليس له حدٌ ولا مقدار، والله يبلغنا رضاه ورضا مشايخنا أجمعين إن شاء الله

---

٩ البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

٧- توارد الخواطر بين الشيخ والمريد

س: كيف يكون توارد الخواطر بين الشيخ والمريد؟

الحقيقة أن هذا الأمر إلهام من الله تبارك وتعالى، فالشيخ إذا أكرمه الله تبارك وتعالى وفنى عن نفسه وعن حسه، ولم يعد له مآرب دنيوية، ولا رغبة في مظاهر كونية، ولا يريد في الدنيا أو الآخرة إلا وجه رب البرية، فإن الله ﷻ يُلهمه بما في قلوب الصادقين تأييداً له، وتصديقاً له، بمثابة هذا وليّ فصدقوه واتبعوه.

والمريد إذا كان صادقاً في طلبه، ولا يريد إلا وجه الله، فإن ما يريد أن يحدثه به شيخه يأتيه به ملك الإلهام في قلبه قبل أن ينطق لسانه، تبشيراً له بأنه على قدم التحقيق سائرٌ في هذا الطريق، وأن له نصيبٌ في هذا المدد الإلهي، وأنه دخل تحت رعاية الله، وعناية الله، وولاية الله، لأن الله تولاه وأرسل له ملك الإلهام بهذا المدد، ويواصله معه على الدوام، وهذا وذاك: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحديد).

وكتب الصالحين تحكي لنا في هذا الأمر العجب العجاب، فالإمام الجنيد ﷺ وأرضاه كان له ولأحبابه مسجداً بجوار المقابر في بغداد اسمه مسجد الشُنزية، يجتمعون فيه في الصلوات المفروضات ليكون أصفى لقلوبهم، بعيداً عن ضجيج المعترضين وأهل الدنيا المنهمكين فيها على الدوام، فيجلسون مع بعضهم في صفاء ونقاء.

فرأى الإمام الجنيد في المنام إبليس، ولكن جاء بصورة مذرية، فكان أصفر اللون، ومحني الظهر، ويظهر عليه علامات القبض والوجوم والحزن، فقال له: ما الذي أحزنك؟ قال: عُمَّار مسجد الشُنزية، قال له: لماذا؟ قال: لا أجد لهم وسيلة لأنفذ إليهم، فقد سدوا كل المنافذ.

فاستيقظ من نومه، وكان هذا قبل الفجر بساعة، فتوضأ وذهب إلى المسجد، وعلى باب المسجد عندما هم بالدخول نظر إلى المسجد فوجد فيه نفرٌ قليل، بعضهم يصلي، وبعضهم جالس ويضع رأسه بين رجليه وروحه في الملأ الأعلى يشاهد مشاهد عالية، وبعضهم يتلو القرآن، وكل واحد منهم في العبادة المحببة إلى نفسه.

فليسوا كالمريدين في هذا الزمن، كيف؟ يعني لو أحب واحد منهم عبادة من العبادات يريد الكل أن يكون مثله، ويقول لهم: هذا هو الصواب، وغيره خطأ، لكن لماذا تضييق فضل الله؟ فأبواب فضل الله كثيرة، وكل واحد يختار الباب الذي يستريح له: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ (٦٧يوسف) كل واحد يبحث لنفسه عن باب يلائم ميوله، ويلائم هوى قلبه، وليس هوى نفسه، ويلائم ما يرجوه وما يصبو إليه عند الله تبارك وتعالى.

فدخل الإمام الجنيد المسجد، وواحد ممن كان يضع رأسه بين فخذيه رفع رأسه وقال له: يا جنيد لا يغرنك قول الخبيث الذي قاله لك في المنام!!، يعني لا يغرك كلام إبليس لأننا أيضاً لن نغتر بهذا الكلام، لأننا نعلم أنه عدوٌ مبين.

فانظر إلى الشفافية والصفاء والكشف، ومعرفة المريدين لخواطر الصالحين، وليست الخواطر فقط، بل الذي رأوه في المنام.

وذات مرة ذهب الإمام الجنيد ليحج، والذي يذهب للحج لنا حقوقٌ عنده وله حقٌ علينا، فينبغي عليه قبل سفره أن يطوف على إخوانه قدر استطاعته، وعلى أهله وأحبابه ويودعهم، ويطالبنا أن نسامحه إن كان قد أساء، ونستغفر له إن كان قد أخطأ، وهذا لم يعد يحدث الآن، فهو يجلس في البيت ينتظر الناس، والذي لا يأتي ليسلم عليه يحزن منه، مع أن هذا هو الواجب عليه.

لكن بعد أن يعود من الحج، ينبغي علينا أن نذهب إليه لاستقباله، ونسلم عليه، لأنه قادم طاهر ونظيف، ونطلب منه أن يستغفر لنا، لأن استغفاره قال فيه ﷺ:

{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ }[١٠]

نلقاه وهو قادم قبل أن يتلوث بالدنيا ونطلب منه أن يستغفر لنا.

فالإمام الجنيد شيخ الطريق كان يحج، وعندما عاد من الحج، فالمفروض أن ينتظره المريدون على أبواب البلد بسبع أو ثمانية كيلومترات، لكنه من أدبه الجم قال: سأمر عليهم في بيوتهم أولاً حتى لا أكلفهم أن يتعبوا أنفسهم ويأتوا إلي، فانظر إلى أدب الصالحين، هل هذا مريد أم شيخ؟ شيخ!، وهل الشيخ من المفروض أن يفعل هذا؟

---

١٠ الحاكم في المستدرك والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

لا، لكن الشيخ هو الذي فعل ذلك.

وكذلك المريدون الصادقون كانوا يفعلون ذلك، عندما يصل من الحج يذهب للشيخ أولاً قبل أن يأتي ليزوره وحتى لا يكلف الشيخ بشيء مثل هذا.

فذهب الإمام الجنيد لأحد المريدين وطرق الباب، فقال: من؟ قال: الجنيد، فالرجل يحكي ويقول: أخذت أفتش في عقلي عن أحد اسمه الجنيد في البلد فلم أجد غير شيخي، ولا يعتقد أن الشيخ جاء إليه حتى باب منزله، لأن الشيخ يحج !!

فطرق الإمام الجنيد للمرة الثانية والثالثة، فلما فتح الباب قال له: لِمَ لم تفتح الباب عند الخاطر الأول؟!! فبم يتعامل هؤلاء القوم؟ بالخواطر، لأنهم جميعاً في بحر الإلهام يتلقون من حضرة الملك العلام تبارك وتعالى، وما دام الكل يتلقى من حضرة الله، فالمياه التي في البحر كلها واحدة.

والحقيقة الحكايات في هذا الباب لا تُعد ولا تُحد، وقد حكيت لكم قبل ذلك عن تصحيح مولانا الشيخ محمد علي سلامة لنا عن طريق هذه الخواطر.

كنا ذات مرة في العُقبية في الأقصر، وكان الشيخ في زيارات منزلية، وكانت الزيارات وقتها لها مهام علوية، فذهبت مع الأحباب لنصلي الظهر، وطلب بعض الحضور مني أن أتحدث معهم بعد صلاة الظهر، فتناولت حكمة للإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه تقول:

((الورثة أربعة: ورثة الأقوال، وورثة الأعمال، وورثة الأحوال، والوارث الفرد الجامع)).

وبينت على قدري ورثة الأقوال، وهم حملة الشريعة، أي العلماء الذين يحملون الفقه والحديث والتفسير، فهؤلاء وارثين أقوال رسول الله ﷺ.

وبينت ورثة الأعمال، وهم العباد، منهم من ورث قيام الليل، ومنهم من ورث الصيام، ومنهم من ورث تلاوة القرآن، ومنهم من ورث الذكر، ومنهم من ورث الصدقة، ومنهم من ورث الخدمة، وإن كانت وراثة الخدمة أصبحت نادرة، مع أنها الباب الأعظم لدخول الصالحين في كل زمان ومكان، لكن الكِبرَ زاد عن الحد فلا أحد يريد أن يدخل في وراثة الخدمة، كخدمة الأحباب، وخدمة الفقراء، وخدمة المساكين، وخدمة العجزة، فهذا هو الباب الأعظم للدخول على حضرة الله تبارك وتعالى، لكن إذا كانت كرامته

تمنعه أن يوزع الشاي مثلاً على إخوانه الجالسين، فلن يكون له نصيب في إكرام الله تبارك وتعالى، لأن الخدمة دليل على موت النفس، وإذا ماتت النفس فهذا دليل على أن له نصيب هذا المقام.

ومنهم من يرث الحال وهم الذين هاموا في حب الله، مثل الشيخ ابن الفارض ﷺ وأرضاه، ومنهم من ورث مقام التوكل وترك السعي والعمل، ويأتيه بالأرزاق الله من فضل الله، ولا يقيم نفسه ولكن الله هو الذي يقيمه في هذا المقام، لأنه لو أقام نفسه سيضيع.

رأيت رجلاً في هذا المقام، وكان شيخاً لي قبل الإمام أبي العزائم، وكان ينتقل من بلد إلى بلد، وكان هناك أُناس صالحون هم الذين يدعوه ليقيم عندهم التماساً لبركته، ويجهزوا له بيتاً، فأول ما يدخل البيت يقول: أين الفرن؟ – ولم تكن تلك الأفران قد انتشرت – فيقول: اهدموه!، لأنه متوكل على الله.

فكان يأتي الأكل جاهزاً من الصالحين الذين يسعون في خدمة الصالحين، وفي معظم الأيام يأتي الطعام مطهي وجاهز، كيف؟ يُلقي الله في بعض القلوب أن جهزوا كذا وأعطوه لكذا.

كنت معه في مولد سيدي أحمد البدوي ذات مرة، فقال: نريد أن نأكل ملوخية خضراء، وبعد عشرة دقائق إلا ووجدنا حلة قادمة بملوخية خضراء ساخنة.

فهذا مقام، لكن لا يصح لأحد أن يتكلف ويقيم نفسه في هذا المقام، وإلا سينكشف ويُفضح أمره، لأنه لن يحضر له أحد شيء، والناس سيضحكون عليه، لكن الآخر قد أحسن التوكل على الله، وهذا اسمه مقام أو حال التوكل على الله تبارك وتعالى.

فانتهيت باختصار الكلام عن ورثة الأقوال وورثة الأعمال وورثة الأحوال، وقبل أن أتكلم عن الوارث الفرد الجامع جاء رجل وقال الشيخ محمد علي سلامة يريدكم عند فلان، فذهبنا وبمجرد أن جلسنا وجدنا الشيخ يقول: والوارث الفرد الجامع، وأخذ يشرح هذا المقام، يعني أنه كان معنا على الدوام رضوان الله تبارك وتعالى عليه.

وما أكثر هذه الأحوال التي حدثت لنا معه رضوان الله تبارك وتعالى عليه، لأنه دخل في قول الله:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الزمر)

٨- نظرة الشيخ للمريد

س: ما أثر نظرة الشيخ فى قلب المريد ؟

النظرة ذكرها الله في كتاب الله، وطلب من المؤمنين أن يطلبوها من سيدنا رسول الله ﷺ، وقال فيها ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ (١٠٤البقرة) أمرنا الله ﷻ أمراً صريحاً في هذه الآية أن نطلب النظرة من رسول الله ﷺ، والنظرة من رسول الله ﷺ يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

لـو نظـرةٌ منـه لإبلـيس انمحـت عنـه الشـقاوة بالعطـا المـدرار

ونقرب الأمر إلى الإخوة المحبين، فإن الإنسان إذا نظر نظرة بحقد من قلب مملوءٌ بظلمات الأحقاد والأحساد، فإنها تؤثر فيمن ينظر إليه، فالحقد والحسد محلهما القلب، ولكنه يسري إلى المحسود عن طريق العين، فالعين العائنة تؤثر إذا نظرت بما في القلب من ظلمات فيمن تنظر إليه ويراها ونراها جميعاً، ولذلك قال رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ (۝الفلق) فأثبت أن للحاسد شر إذا نظر بنظرة مملوءة بالظلمات والأحقاد والأحساد في قلبه.

أما النظرة إن كانت بعطف وحنان وشفقة ورحمة وامتنان، فإنها تؤثر كذلك، فنظرة الأب ونظرة الأم لصغارهما تؤثر فيهما، فتنضج صحتهم، وتكسبهم السعادة النفسية في أنفسهم، وتجعلهما في بهجة وحبور وسرور بسر هذه النظرة التي يُنظر بها إليهم من الأبوين، لأنها مملوءة بعطف وحنان من قلب مملوءٌ بالشوق والحب والحرص والشفقة والحنان لهؤلاء الصغار الذين هم ضنائنهم.

والرسول ﷺ ورد أنه في ليلة الإسراء وقف على طريق إسرائه نفر منهم امرأة قالت له: يا محمد انظرنا فسأل عنها جبريل، فقال له: هذه الدنيا ولو نظرت إليها لغوت أمتك، بل إن داعي اليهود أخذ يقول: يا محمد انظرنا ومثله داعي النصارى يقول أنظرنا يا محمد، فكان الكل واقفاً في طريق اسراءه يطلب منه النظرة من حضرة الحبيب ﷺ.

وكانت نظرة الحبيب ﷺ تغير الإنسان من حال إلى حال، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ أخذ سيفه وزعم أنه سيذهب إلى رسول الله ليقتله في مقر إقامته هو وأصحابه الكرام، وعندما واجه النبي أمسك به النبي وجذبه من ثيابه ودعاه للإسلام، فأسلم

الوجه لله، بنظرة من رسول الله ﷺ.

وكان ذلك في كل أمور الصحابة المباركين، فكل منحة حصلوا عليها، وكل إكرام تعرضوا له، إنما كان ذلك بنظرة نبوية من الحبيب المصطفى ﷺ.

فعندما طلب ستة من أصحابه ليسلمهم رسائل إلى بعض الملوك حولهم، هرقل ملك الروم، وكسرى ملك فارس، وملك الحبشة، وملك عمان، وملك اليمن، وملك الغساسنة، وقالوا: يا رسول الله نحن لا نُحسن الكلام بلغة البلد التي سنذهب إليها، فأمرهم أن يذهبوا إلى رحالهم، وأخبرهم أنهم عند استيقاظهم سيجدون أمرهم ميسراً، وفي الصباح وجد كل رجل منهم أنه يُتقن لغة البلد التي سيذهب إليها أكثر من أهلها بسر نظرة رسول الله ﷺ.

وكذلك الصالحون، لو نظر رجلٌ من الصالحين نظرة بقلب مملوء بالنور والهدى واليقين إلى رجل في المعاصي يتمرغ، وفي الظلمات يتوحَّل، فإن هذه النظرة مع الدعاء له عند الله تغير حاله إلى أحسن حال، وتحوله من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات البعد إلى نور القرب من حضرة القريب ﷻ.

لكن لا ينخدع الصالحون بما يبديه المنافقون وأشباههم، ولو طلبوا النظرة آلاف المرات فلا يعطونها لهم، ولكنهم يتفضلون بها على الصادقين والمخلصين إذا أخلصوا في العمل لله، وصدقوا معهم في دعوة الله، فإنهم ينظرون إليهم نظرة روحانية نورانية، ترفعهم إلى أعلى مقامات القرب من رب البرية، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:..

((وإن نظرت بعيني للعبد قد صار مولى)).

ولو تفحصنا دواوين الصالحين نجد أن الذين نالوا المقامات في دائرتهم فازوا بها بنظرات حنان ووداد من جملتهم، فالذي ينظرون إليه يرفعه الله، ولا ينظرون لمن لا يستحق النظرة، لكن ينظرون لمن هو غارقٌ في الإخلاص، وماشياً دائماً بنور الصدق، ويحاول قدر استطاعته أن يجعل كله وماله وما يملك لله، فإنهم ينظرون إليه نظرة برضا ويقين، تحول حاله في طرفة عين إلى أعلى المقامات، يقول أبو العزائم ﷺ:

((من هو أبو بكر الصديق؟ كان يُسمى عتيق، نظر إليه رسول الله ﷺ نظرة، فرفعه إلى مقام الصديق)).

فالنظرات هي سر رفع أحوال الصادقين ودرجاتهم وقربهم عند ربِّ العالمين، نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بنظرات الصالحين أجمعين.

٩- كلمة " الشيخ " !

س: : هل يجوز إطلاق كلمة "الشيخ" مطلقة على أحد سوى الشيخ؟ كأن أتحدث مع أخ لي في الله أعلى مني وأرقى مني مقاماً، وأنعته بلفظ الشيخ؟ أو أقول له يا سيدي؟

هذه الألفاظ يا أحبة تُقال للتكريم وللأدب في التعامل مع الآخرين.

فقد علَّمنا نبينا ﷺ أن نكون في غاية الأدب مع الأحباب أجمعين، بل مع الخلق أجمعين، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة).

هناك القول! وهناك العقيدة

فإذا كان هناك شيخٌ شيَّخه السلطان، فأنا أقول له الشيخ فلان، أو سيدي الشيخ فلان، لأنه مُقامٌ في مقام الشيخ.

لكن الشيخ الحقيقي هو الذي جمع الحقائق كلها، وكبُر في فهمها ومعرفتها ومشاهدتها: ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٣القصص).

وهذا مقامٌ يكون في قلبه، فإذا قلت الشيخ وأقصد الشيخ الذي يوصلني إلى الله، ويأخذ بيدي إلى الله، فأنا بقلبي ويقيني أعلم أن هذا لشخص واحد ارتضيته وارتضاه لي الله تبارك وتعالى.

أما كلمة الشيخ للآخرين فهي مجازاً، تطلق على الكبير في السن، نقول له: الشيخ فلان، وتُطلق على حفاظ القرآن، نقول له: الشيخ فلان، وتطلق على أمراء الخليج يسمونهم الشيوخ، وهذا إطلاقٌ مجازي، لا حقيقي لأنه كبيرٌ في المقام، أو كبيرٌ في السن، أو كبيرٌ في هذا الباب من العلم.

لكن الشيخ في باب التربية الروحانية شيخٌ واحدٌ أضعه في قلبي، ولا يهمني الألفاظ، والذي يُقال له شيخاً لا يعبأ بما يُقال له إذا كان يعلم يقيناً أنه ما زال في أول الطريق، فإذا اغتر بقول الآخرين له: الشيخ فلان فقد أضاع نفسه وليس له بعد ذلك سلوك إلى حضرة الرحمن.

١٠- الاكتفاء بالصلاة على النبي عن الشيخ

س: هل لو اتخذ الإنسان الصلاة على رسول الله ﷺ ورداً دائماً .. فهل يكفي بدون إتباع شيخ؟

شاعت قالة وينسبها البعض إلى الإمام أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء، وهذا غير صحيح، لأن الإمام الغزالي عندما ننظر إلى تاريخ حياته، كان عالماً لا يُشق له غبار في دين الله، وكان يحضر مجلس وعظه ودرسه في بغداد ما لا يقل عن عشرة ألاف فرد بينهم العلماء والأمراء، وهو يُسمعهم بدون ميكروفون ولا أجهزة صوتية.

لما وجد أنه لم يتذوق بعد هذا العلم كله أعظم شيء يتذوقه المرء في الحياة، وهي معرفة الله، ماذا يفعل؟ أكرمه الله ﷻ بشيخ ذهب إليه، وطلب منه أن يرقيه ويأخذ بيده حتى يصل إلى لذة المعرفة، نظر إليه الشيخ فوجد أنه فُتن قليلاً بالجمع الذي حوله، والعلوم التي تُفاض عليه، فقال له: أنت تخرج من هذه البلد وتذهب إلى بلد لا يعرفك فيها أحد، وتقيم في بيت من بيوت الله، وأعطاه ما تيسر له من الأذكار التي يذكر بها حتى يصل إلى الله.

أخذ يبحث في الأرض حتى وصل المسجد الأموي في دمشق، ... واختار له حجرة عالية في المئذنه، حتى لا يصل إليه أي أحد، ... ومكث بها سنتين، ولما عرفه الناس ترك البلد وذهب إلى بيت المقدس، وظل على ذلك حتى فتح الله تبارك وتعالى عليه فتوح العارفين.

وساق هو هذه القصة كلها في كتاب سماه **(المنقذ من الضلال)** يصف فيه أن الذي كان فيه ضلال، وأن هذا الذي أنقذه من هذا الضلال.

فالإنسان الذي يصلي على حضرة النبي ﷺ له أجره وثوابه عند الله،...

وإذا صلى على حضرة النبي ﷺ واستحضر صورته، أو استحضر أنه في روضته يناجيه، جائز أن يُكرم بمرأى رسول الله في المنام، وقد قال ﷺ:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }[١١]

لكن أنا أريد أن أتربَّى على يديه، ويوصلني، وهذا دور العارفين !!!

فما دور العارفين؟ يأخذ بأيدي المريد حتى يوصله إلى رسول الله، ويقول له: أنت مع رسول الله وهو شيخك ﷺ.

ولا يحصل لي ذلك بنفسي !!

بل لا بد أن أبدأ أولاً مع معلم بصير يعلمني هفوات النفس، ويعلمني الفتن التي تعطلني وتعوقني عن السير إلى الله، ويعلمني الآداب التي ينبغي أن أتحلى بها مع حبيب الله ومصطفاه، وهذا المعلم لا بد أن يكون حياً، لأني لا بد أن أجالسه ويكشف عليّ كالطبيب، ويعطيني الدواء بعد أن يشخص الداء، إلى أن تتم سلامة القلب:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء)

ثم يسلمني إلى الرؤوف الرحيم رسول الله ﷺ.

هذا هو طريق السابقين والمعاصرين واللاحقين، وليس هناك طريقٌ غيره لمن أراد أن يصل إلى رتبة العارفين !!!

لكن يظل يصلي على حضرة النبي من نفسه، قد يحنُّ عليه ويراه في المنام !! ولكن ما رتبتك؟ وما منزلتك؟

ما زلت سالكاً، !!! وستظل سالكاً على الدوام !!!، لأنك لم تسلك الطريق الصحيح الذي وضعه المصطفى ﷺ.

وهو الطريق الذي وضعه الرسول حتى في حياته، فقد كان ﷺ قد ربَّى أكابر أصحابه، وبعد ذلك كل واحد منهم أصبح له مريدين يشرف على تهذيبهم وتربيتهم.

سيدنا علي بن أبي طالب كان له مريدون، وسيدنا عبد الله بن مسعود كان له مريدون، وسيدنا زيد بن ثابت كان له مريدون، وسيدنا عبد الله بن عباس كان له مريدون، كل واحد منهم كان له مريدون يأخذ بأيديهم حتى ينقيهم ويهذبهم ويؤدبهم ويوصلهم إلى أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

---

١١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

١١- الشيخ الحقيقي

س: ما علامات الشيخ الحقيقي ؟

الشيخ الحقيقي هو الذي فنى عن نفسه، ولم يعد له فيه منه بقية، وأصبح ميكروفوناً يتحدث بما يمليه عليه رسول الله ﷺ، أو إلهامٌ من حضرة الله.

والإلهام من الله أو الحديث الآتي من رسول الله يكون على قدر سماع قلوب الحاضرين، ومن ليس له نصيبٌ من الحاضرين يغيبه عن سماع هذه المعاني العالية، فتمر عليه ولا يشعر بها، حتى أننا نلاحظ أحياناً أن بعض الحاضرين يُلقى عليه النوم في بداية الدرس ولا يستيقظ إلا في نهاية الدرس، فلا سمع شيء في أوله ولا في آخره ولا في وسطه، لماذا؟ لأنه لا يستطيع أن يستوعب هذا الكلام أو هذه المعاني،

وفيه ناحية أخرى فإن الكلام الإلهامي كالزئبق تماماً بتمام، يعني قد يسمعه، وإذا أراد أن يستحضر ما سمع لا يجد شيئاً، لأنه يريد أن يكيد، أو يريد أن ينشر الكلام بما لا يفيد، فيبحث عن الكلام الذي سمعه فلا يجده لأن: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف).

وقد ذكرت لكم أن أحد الأحباب في زمن الإمام أبي العزائم ﷺ من مدينة السويس رأى في المنام أن الإمام أبو العزائم جالس على منصة عالية وخلفه ستارة و خلف الستارة سيدنا رسول الله ﷺ جالس على كرسي، وكلما ذكر سيدنا رسول الله ﷺ عبارة كررها الإمام أبو العزائم، يعني الإمام أبو العزائم هنا كان مبلغاً، فتعجب الرجل، وفي الصباح ركب وتوجه إلى القاهرة، ولما وصل إلى القاهرة وجد الإمام أبا العزائم مع الأحباب في ساحة منزله في درس علم، وعندما دخل الرجل إذا بالإمام ﷺ يقول:

لولا ولولا ولولا ... عهدٌ وثيقٌ لمولى
لكشفت عني ستاري ... وبحت بالسر قولاً
لست المغني بقولي ... إلا إذا الفرد أملى
أغيب عني وأملي ... لمن بسرّي تحلَّى
إن كان ما قلت نوراً ... فالسرُّ أعلى وأغلى
يُعطى لفردٍ مراد ... عن كل غيرٍ تسلَّى
باع النفوس ومالاً ... حتى به صرت أولى

وهؤلاء كُمَّل العارفين وكُمَّل الوارثين، والأئمة الذين ينبغي أن نقتدي بهم في كل وقت وحين، لأن هناك أدعياء للإمامة، وهؤلاء ليس لنا شأنٌ بهم، لأني أريد من كان معه ترخيص وإذن من الحبيب ﷺ، لكن هل يجوز لطالب أن يجعل نفسه طبيب بدون أن يتخرج من كلية الطب ويفتح عيادة ويعالج الناس؟! لا، ولو فعل ذلك سيعرض نفسه للمساءلة، ولو قتل أحداً، أو أعطى دواء غير مناسب لأحد سيحاكم عليه.

لكن من الذي في الحصانة؟ الذي أخذ كلية الطب وتدرب، وأعطته نقابة الأطباء تصريح بأن يفتح عيادة ليعالج الناس.

وكذلك نفس الأمر، هل يستطيع أحد أن يفتح عيادة حقانية نورانية بدون إذن من سيد البرية ﷺ؟ لا أحد.

بداية الجيلاني

كل الصالحين في الأزمنة الفاضلة كانوا على هذه الوتيرة، فسيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه جاءه رسول الله ﷺ يقظة وليس مناماً، وقال: يا بني حدث القوم لينتفعوا بك، قال: فقلت يا سيدي أنا رجلٌ أعجمي – لأنه كان تربى في بلاد فارس – ولا أُحسن الحديث بالعربية، قال: افتح فاك، ففتح فاه فتفل فيه سبع مرات.

وهم أعطونا علامة (إذا أقاموك أعانوك)، فذهب ليُصلي الظهر، ففوجئ بالمسجد مملوء عن آخره، وهل المسجد يمتلئ في صلاة الظهر؟! لا، وفوجئ بأن الناس بعد الصلاة أتوا له بكرسي وقالوا له: نريد أن تسمعنا شيئاً!!.

كما قلنا: إذا أقاموك أعانوك، فهو لم يرسل أحداً لينادي الناس ليسمعوه، ولم يقُل لهم أنه سيلقي درس ولا غيره، قال: جلست على الكرسي فحدث عندي رجَّة وخفت لما رأيت الجموع كثيرة، وإذا بي أرى الإمام علي بن أبي طالب أمامي، قال: يا بني حدث الناس لينتفعوا بك، قال: يا أبت – لأنه من ذرية الإمام علي – إني لا أستطيع الحديث بالعربية لأنني تربيت في بلاد العجم، قال: افتح فاك، فتفل فيه ست مرات، قال: لِمَ لم تكمل السابعة؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ.

فخرق الله له الآذان، وبدأ يتكلم بعلوم لا عد لها ولا حصر لها، وكان الله ﷻ يُصغي له الآذان من مسافات بعيدة، ولم تكن هناك ميكروفونات ولا تليفونات ولا وسائل إتصالات، لكن هؤلاء سخر الله لهم الهواء مكان هذه التليفونات، فالهواء يحمل الكلام ويوصله إلى آذان من يريد الله له سماع هذا الكلام.

الإذن للجنيد

ومثله تماماً الإمام الجنيد الذي يسمونه سيد الطائفة، إخوانه الذين حوله لاحظوا أن الله فتح عليه، فطلبوا منه أكثر من مرة أن يحدثهم فرفض، فذهبوا لشيخه، وشيخه كان اسمه الشيخ السري السقطي، وقالوا له: مر الجنيد يحدثنا، فقال: يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله عليك . وكلمة بما فتح الله عليك، يعني الأشياء الخاصة التي جاءتك من الله، وليس من كلام السابقين، فكان سيدي أبو الحسن الشاذلي عندما يتكلم بعض الأحباب يقول لهم: حدثونا بما فتح الله به عليكم، ولا تحدثونا بكلام غيركم.

قال الإمام الجنيد: وكنت قد عقدت العزم في نفسي أن لا أتحدث حتى يأذن لي رسول الله ﷺ بذاته، وذات ليلة جاءه رسول الله قبل الفجر في المنام فقال: يا جنيد حدث الأحباب بما يفتح الله عليك، فقام من نومه فرحان، وذهب إلى بيت شيخه الشيخ السري السقطي، فطرق الباب فقال له: أنا أعرف ما جئت من أجله!، .... يعني لا تريد أن تتكلم إلا إذا جاءك رسول الله، فأنا الذي أرسلته لك!، و... كلهم دائرة نورانية ذات صلة.

نفس الذي حدث مع الشيخ الجيلاني حدث مع الإمام الجنيد، فقد ذهب ليصلي الظهر فوجد الجامع مملوءاً عن آخره، وبعد الظهر جاءوا له بكرسي وقالوا له: نريد أن تكلمنا بما فتح الله به عليك، وعندما همَّ بالكلام قام رجل يلبس عمامة وكان يلبسها المسلمون والعرب أجمعون لأن حضرة النبي كان يقول:{ الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ }[١٢]، وكانت هي الفارق بين المسلم وغير المسلم، لأن غير المسلم لا يلبس العمامة، فقال له هذا الرجل: ما معنى قول رسول الله ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[١٣]

فنظر الجنيد في الأرض قليلاً ثم رفع رأسه وقال له: معناه أنه آن أوان إسلامك يا نصراني، ... فكان نصرانياً ولبس العمامة ليمتحن المشايخ بهذا الموضوع، .... وجاء أوان إسلامه.

فمتى يأخذ الإذن؟

---

١٢ مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

إذا كان معه البصيرة، ولو لم يكن معه البصيرة هل كان يستطيع كشف هذا الأمر؟

لا، فقال له: لقد عجز عن الإجابة قبلك سبعون رجلاً من الذي يدَّعون المعرفة!!

يقول الحديث ولا يعرف ما يقصده من الحديث، وهو يريد أن يعرف هل معه الشفافية النورانية أم كلام اللسان فقط ؟؟؟ وهذا لا يصلح أن يكون داعياً إلى الرحمن، بل داعياً لسبيل الله، لأن هناك داع إلى السبيل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥النحل) يدعو للدين وللإسلام وللفقه!

وهذا يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن هناك داع إلى الله، وهذا شيء آخر: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف).

ففرق بين الداعي إلى سبيل الله، والداعي إلى الله، فالداعي إلى سبيل الله يبين طريق الله الذي يوصل للجنة وينجي من النار، لكن الداعي إلى الله وعطايا الله ونفحات الله لا بد أن يكون على بصيرة، ومعه إذن من سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو تتبعنا سير الأئمة الكرام نجدهم كلهم على هذا السند العظيم، جميعهم على بصيرة، ومعهم إذن من حبيب الله ومصطفاه، ولا يبغون ولا يريدون من علومهم ودروسهم وزياراتهم إلا وجه الله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان).

الذي يطلب أجراً نظير الدعوة لا تمشوا وراءه ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ (٢١يس) فمن يسأل الأجر نقول له: ليس لنا شأنٌ بك، وطريقك لا يصلح معنا.

الدعاة إلى الله، عندما يصل إلى هذا الأمر يصبح كما يقول سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه: ((أنا آلةٌ والله جل الفاعل، أنا قلمٌ والإقتدار أصابع)) يتكلم بما يُلهمه به الله، فلا يجهز الكلام، ولا يقرأه، ... لكن الكلام يأتي في الوقت والحال من الله، ... ولذلك ينفع قلوب المريدين.

المطر لماذا ينفع؟ ... لأنه نازل من السماء فوراً !!

وكلام الحكماء الربانيين والعلماء النورانيين للقلوب النيرة يكون كمطر السماء، فيحييها من مواتها لأنه نازل من الله تبارك وتعالى، ومن سماء سيدنا رسول الله مباشرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثاني

مع جهاد النفس

١- أسباب التقصير والتأخر في طريق الله			٣٣
٢- عوائق الفتح	٣٧	٣- معرفة العوائق	٤٠
٤- المريد في أرض السلوك			٤٣
٥- ذكرى الدار	٤٥	٦- محو الصور الكونية	٤٦
٧- الخيال والسلوك إلى الله			٤٩
٨- الخواطر الإلهية والخواطر النفسية			٥١
٩- الحزن في طريق الله			٥٢
١٠- الحزن وتزكية النفس			٥٥
١١- قيد النفس	٥٧	١٢- حجاب النفس	٥٨
١٣- الرياء	٥٩	١٤- مرض الكبر	٦٣
١٥- النفس الأمَّارة			٦٦
١٦- التخلص من الصفات البشرية			٦٩
شهوات البشرية	٦٩	الخلاص من العوائق	٧٠
رفقاء السوء	٧١	التسامى برغبات الجسم	٧٢
١٧- التخلي والتحلي	٧٤	١٨- سلامة الصدر	٧٩
١٩- ايقاظ القلب	٨٣	٢٠- التجريد	٨٨
٢١- شوق المذنب	٩١	٢٢- ظن الخير بالله	٩٣
٢٣- مقام الرجاء			٩٦
٢٤- حسن الظن بالله			٩٧

١- أسباب التقصير والتأخر في طريق الله

س: ما أسباب التقصير وتأخر السير في طريق الله؟ وما علاج ذلك؟

نرى كثيراً من الأحباب يكون لهم صولة وجولة في طريق الله لفترة ما، ثم نرى بعد ذلك منهم قصوراً وتقصيراً، وربما نوماً تاماً عن أهل الطريق، وعن أعمال الطريق التي توصل إلى ما يُرضي الله ﷻ.

يرجع سبب ذلك إلى الدافع الذي يدفع الإنسان إلى أي عمل، فإن أي عمل ظاهر أو باطن للدنيا أو للآخرة أو لله ﷻ لا بد له من دافع داخلي، يدفع الإنسان ويحثه ويحضه على القيام بهذا العمل، فمثلاً الذي يبحث عن عقد ليعمل في إحدى الدول العربية أو الأوربية أو غيرها، لماذا يبحث عن ذلك؟ قد يكون الدافع له أن يبني له مسكناً، أو يبني مسكناً ويتزوج، أو يحسن أحواله المعيشية .. هذا الدافع هو الذي يجعله يبحث هنا وهناك بجدية ونشاط لكي يحقق الأمل الذي يحدوه وهو في داخله، كذلك نفس الأمر.

والدافع إلى الدار الآخرة غير الدافع إلى الأمور الدنيوية، فالذي يدفع في العادة إلى الأمور الدنيوية هو النفس، لأنها تريد أن تنال مشتهياتها وملذاتها ومستحسناتها، فهي التي تحبذ للإنسان الأعمال الدنيوية التي فيها تحسين لمعيشته الدنيوية، أما الذي يدفع الإنسان لعمل الصالحات والتقرب بالنوافل والقربات، والتردد على الصالحين، ومصاحبة الصادقين، والأعمال التي يحرص على التشبه فيها بسيد الأولين والآخرين هو قلبه.

والقلب له حسابات، والنفس لها حسابات، فالنفس حساباتها تبنيها على أساس المكاسب العاجلة، وتُسوِّف للإنسان المكاسب الآجلة، فهي تريد مكسباً عاجلاً سريعاً ترى أثره في الدنيا، وذلك يحدث أيضاً في الأعمال الصالحة لكن بطريقة لطيفة خفية إلهية لا يشعر بها إلا أهل القلوب التقية النقية.

فالإنسان إذا أراد أن لا تفتر همته، فدائماً وأبداً يحرص على النوايا، وفي النوايا يستحضر فيها الكلام الذي ورد في شأن هذا العمل في كتاب الله، وما للعامل بهذا العمل عند مولاه، والأحاديث النبوية التي تحبذ هذا العمل، وما فيه من أجر له وثواب

يجعله يحرص عليه ويسابق إلى فعله.

فإذا حسبها من هذه الوجهة سارعت الأعضاء مستجيبة للقلب، ولا تستمع لداع النفس والهوى، فيُقبل الإنسان على مولاه ﷻ.

ولنأخذ مثلاً واحداً، فمجلسنا الذي نحن فيه الآن، ما الذي يجعل الإنسان يحرص عليه؟ أولاً: أننا نتلو فيه آيات من القرآن، وفيه أحاديث طيبة واردة عن النبي العدنان، وما أدراك ما تلاوة القرآن والحسنات المضاعفات التي يأخذها التالي للقرآن عند الرحمن؟! يكفي فيه قوله ﷺ:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[١٤]

ثم بعد ذلك نصلي على النبي ﷺ، وما أدراك ما الصلاة على النبي؟! وليس بوسعنا أن نحصر أو نستقصي فضائل الصلاة على النبي لأن لها فضائل لا تعد ولا تحد، يكفي فيها قول النبي ﷺ لسيدنا أُبي بن كعب ﷺ عندما قال له: أَجْعَلُ لكَ صَلاتِي كُلَّها؟ قَالَ:

{ إذاً تُكْفي هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذَنْبُكَ }[١٥]

فهي تكفي الإنسان هموم كل دنياه وأخراه، ويفوز بعد ذلك بمغفرة الغفار لكل ما ارتكبه من ذنوب في هذه الحياة، ويكفي فيها أيضا قوله ﷺ عن مولاه:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا }[١٦]

الصلاة الواحدة التي نصليها على رسول الله ﷺ يُصلي بها الله تبارك وتعالى علينا عشراً، وهذا أمر لا نستطيع شرحه ولا توضيحه، لأنها صلاة تليق بحضرة الألوهية، وحضرة الألوهية أمور غيبية لا تهضم ما فيها العقول البشرية.

ثم بعد ذلك ندعوا الله ﷻ بالحصن الحصين والاستغاثة، وهو دعاء مجاب ومستجاب، وما أحوجنا إلى الدعاء، لأن أقل ما فيه أنه يرفع عنا كل بلاء، فكما ورد عن سيد الرسل والأنبياء:

---

١٤ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
١٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه
١٦ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

{ إِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[١٧]

أي يتصارعان، فيغلب الدعاء البلاء، فالدعاء يرفع عنا كل بلاء.

ثم ناهيك بعد ذلك من درس العلم، ودرس العلم لا يضاهيه شيء من العبادات النفلية، التي نتقرب بها إلى الله، لأنه فريضة، ويكفي أن كل واحد منا الآن كأنه في ميدان الجهاد لقوله ﷺ:

{ مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ }[١٨]

ودرس العلم ولو كان صغيراً وكلماته قليلة أجره كما ورد في الأثر: ((مجلس علم وإن قل خيرٌ من عبادة سبعين سنة، ليلها قيام ونهارها صيام)) ويقول ﷺ:

{ حُضُور مُجلِس عَالِم أَفْضلُ مِن صَلاةِ أَلفِ رَكعَة، وَعِيَادَةِ أَلفِ مَرِيض، وشُهود أَلفِ جِنَازة، قِيلَ: يا رَسُول الله، ومِنْ قِرَاءَة القُرآن؟ قَالَ ﷺ: وَهَل يَنفَع القَرآن إلا بِالعِلم؟! }[١٩]

هذا ما ذكرناه من حوافز لعمل واحد نفعله الآن، فما بالكم إذا كان العمل هو زيارة أخ في الله لتفقد أحواله، وإذهاب الحزن الذي في القلب للأنس به، فإن لقاء الإخوان يُذهب الأحزان، يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ وَصَلَهُ فِيكَ، فَصِلْهُ }[٢٠]

والأخبار في هذا الباب لا تعد ولا تحد، ولذلك ينبغي على السالك في طريق الله أن يطالع دوماً أو يسمع الأخبار الواردة إن كان في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، أو من أقوال الصالحين التي تحث على الخير، والتي تحض على عمل البر، والتي تجعل الإنسان يسارع في الخيرات، ويدخل في التنافس فيما يقول فيه الله:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (المطففين)

---

١٧ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عائشة رضي الله عنها
١٨ سنن الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
١٩ أورده الجوزي وذُكر في الإحياء عن أبي ذر رضي الله عنه
٢٠ الجامع في الحديث لابن وهب

إذاً العلم هو الذي يحفز على ذلك:

والعلم من:

- العالِم التقي النقي الذي يخشى الله.
- أو من الأخ الصادق المُذكِّر الذي يقول ما يفعله، وينصحني بصدق ابتغاء وجه الله هو العلاج لما ذكرناه ..

فدائماً الإنسان طالما يتردد على العلماء العاملين، وعلى الإخوة الصادقين الصالحين فإنه يكون في حصن متين، وفي ركن ركين من الغفلة والنسيان، ودائماً وأبداً تجده حافزه موجود لأنه يستمع إلى ما يدعوه إلى الله ﷻ، والعمل الموصل لحضرته.

- ما بالك إذا كان الحافز له أن يتشبه برسول الله ﷺ ليكون في معيته؟!
- أو إذا كان الحافز له هو أن يُختم له بالإيمان، ويضمن ذلك، وهو أغلى شيء نطلبه من الرحمن في هذه الحياة الدنيا؟
- ما بالك إذا كان الحافز له أن يكون من أهل الحُظوة العظمى الذين يختارهم الله ويجتبيهم ويصطفيهم ليقعوا في قوله عز شأنه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة)
  - وكل ذلك يحتاج إلى العالِم العامل الذي يفصل لنا هذه الأحوال، ويسوقنا سوقاً إلى العمل الصالح، والمتجر الرابح، أو إلى الاقتداء بحضرة النبي، أو إلى الاقتداء بالصالحين، أو إلى التلهف على رؤية رب العالمين ﷻ.

وهناك كتاب نستطيع أن نحصل عليه، وهو متوفر وموجود بالمكتبات التي في حي الأزهر بجوار الإمام الحسين اسمه **(المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح)** للحافظ الدمياطي، والحافظ الدمياطي كان حافظاً من حُفَّاظ الحديث لأنه كان يحفظ أكثر من مائة ألف حديث، وكان من أولياء الله الصالحين، وله وقائع ذكرها الإمام الشعراني في ديوانه العظيم الذي يحكي فيه أحوال الصالحين، وهو **(الطبقات الكبرى)**.

وكل هذا الكتاب مبني على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحبب في كل أعمال الخير التي تخطر على البال، فيا ليتنا نطالعه ونأخذ بما فيه لعل الله يأخذ بأيدينا أجمعين، ويجعلنا من عباده الصادقين.

٢- عوائق الفتح

س: ما العوائق والحجب التى تعوق السالك عن فتح الله ﷻ؟

معظم الحُجب التي تحجب السالك في طريق الله مهما كان زمن اتباعه في الطريق عن العطايا، الحُجُب القلبية، وأخطرها داء الكبر:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[٢١]

وأحياناً تجد الواحد متواضعاً ويخدم إخوانه، ولكنه مصاب بداء الكِبر، وتقول: كيف يكون هذا عنده كبر؟! كونه يُصر على رأيه، ولا يأخذ برأي رسول الله ﷺ، أو آراء أحبابه وأصحابه في أي أمر، دليل على أنه مريض بداء الكِبر، لأنه يستأسد برأيه رغم معارضة المجموع له.

وكونه يخرج بنظام جديد مخالف لنُظُم السلف الصالح الذين اتفقوا عليها ومشوا عليها، فهذا دليل على أنه مريض بمرض الكِبر، والإمام أبو العزائم ﷺ يقول:

ألا مـن يكـن في قلبـه بعـض ذرةٍ مـن الكِـبْر والأحقـاد مـا هـو ذائـقُ

لأنه رأى نفسه في ذات يوم من الأيام أنه أفضل حتى من أقل واحد من الأحباب، وهذا دليل على أنه مريض بالكِبر، لأن نفسه لا زالت حية وموجودة والكِبْر منعه من النظر إلى عيوب نفسه والنظر إلى محاسن غيره، وهذه نظرة الصالحين، قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }[٢٢]

ومرض الكِبر دائماً يُصاب به الأكابر، فتجد أكابر في الطريق يمشون مع الصالحين يكون مرضهم الأساسي الكِبر، ويصعب عليهم العلاج.

ذهب رجل للشيخ البسطامي وكان عالماً من العلماء وقال له: أنا لي معك سنين ولم أذق شيء مما تكلمون عنه، وأريد أن أتذوق، قال له: لن تقدر، قال له: ولِمْ؟ قال له: نفسك فقال: قل لي ماذا أفعل؟ قال: إن كنت تريد أن تمشي معنا وتذق هذه الأشياء

---

٢١ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٢٢ مسند البزار ومسند الشهاب عن أنس رضي الله عنه

املأ جيبك لوز وقف في الشارع ونادي على الأطفال، وقل لهم: الولد الذي سيضربني على وجهي أعطيه لوزة، قال: لا أقدر أن أفعل ذلك، فقال له: ولذلك أنا قلت لك لن تصل إلى ذلك!، هو يريد أن يخرجه من داء الكِبر ولكنه لم يستطع.

الإمام الغزالي كان يحضر مجلسه في بغداد ما لا يقل عن عشرة آلاف فرد، منهم العلماء والأُمراء والوزراء وغيرهم، لكن الرجل كان عنده طموح داخله، ويريد أن يصل إلى الفتح الإلهي، فهداه الله لصدقه إلى شيخ اسمه الشيخ يوسف النساج، فقال له: أنت تريد أن تمشي في طريق الفتح؟قال: نعم، قال له: تخلع هذه العمامة، وتلبس ملابس سقَّاء، وتأتي لك بقربة، وتمشي في الأسواق، وتسقى الناس، ولا تأخذ من أحد شيئاً وإنما لوجه الله تبارك وتعالى، فسمع الإمام الغزالي الكلام لذلك نجح.

الرجل الذي نسمع عنه المشهور جلال الدين الرومي، وهو من الصوفية المعدودين في العالم، وكان عالماً كبيراً من علماء الفقه، وكان يلبس العمامة ويُدَرِّس الفقه، لما تعرَّف على شيخه واسمه الشيخ شمس الدين، وكان رجلاً من المجاذيب، فقال له: أنا أريد أن أمشي معك لأشرب من شرابك، قال له: لن تقدر، قال: سأقدر، قال له: إذا كنت تريد أن تمشي معنا خذ خمرة وبعها في السوق!، فالكِبر ليس له علاج إلا الكي بالنار، قال ﷺ: { الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَار }[٢٣]

هناك من يجذبه لعقة عسل يعني كلمة حكمة وهم قلة قليلة، وهناك من يأتي بشرطة المحجم يعني بالجهاد، ومن لا ينفع معه هذا أو ذاك فليس له غير الكي بالنار.

فقال: أنا الشيخ الذي يُدرِّس الفقه، آخذ خمرة وأبيعها في السوق، ولكن لأن له نصيب طاوعته نفسه، فأخذ الخمرة وذهب إلى السوق ليبيعها، وظل طوال النهار ورجع، قال له: ماذا بعت؟ قال: لم يشتر أحدٌ مني شيئا، فقال له: أنت عملت ما عليك، وما دمت قد ذللت نفسك فقد خرج الكِبر منك، ومشى معه حتى فتح عليه الفتاح، وكما نسمع مشنوياته التي ملأت العالم كله، والتي تعتبر أرقى شعر صوفي قديم، ويضاهيها حديثاً وأعلى منها مواجيد الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه.

سيدي أحمد البدوي ﷺ جاءه رجل اسمه عبد الوهاب الجوهري، وكان تاجر جواهر وذهب، وقال له: أنا أريد أن أمشي معك، قال له: لن تقدر، قال: سأقدر إن شاء الله، قال له: هات الذهب الذي عندك كله، فأحضره، وأخذه منه وألقاه في بئر

٢٣ صحيح البخاري وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما

الساقية التي يشربون منها، ويُخرجون منها الماء للوضوء، وقال له: عليك كنس وتنظيف المراحيض، والمراحيض قديماً غير مراحيضنا الحديثة الآن، فالمراحيض الآن يسهل تنظيفها، وفي ذات يوم من الأيام حدَّثته نفسه، وقال: أنا الذي كنت جواهرجي ولا أحد مثلي في الرقة والنعومة، أنظف المراحيض الآن؟ وبمجرد أن فكر في ذلك وجد الشيخ أمامه، قال له: هات دلو واملأه ماء من الساقية، فملأه، قال له: أفرغه، فإذا به يجد كل جواهره، فقال له: خذ جواهرك ونحن لا نريدك!.... يحاسبون حتى على الخواطر!، فاعترف بخطأه وقال: تبت ولن أعود لذلك مرة ثانية، وبعدة مدة حدثته نفسه مرة ثانية، لأن النفس وراء الإنسان، وقال: أنا الرجل المرفَّه أفعل ذلك!، ولكنه كان قد استوعب الدرس!! فعلى الفور نزل لينظف المرحاض بلحيته، فوجد يداً امتدت تحت لحيته ومنعته، وكانت يد الشيخ، وقال له: ذللتها فأعززناك.

أمراض القلوب هي الخطر الأعظم لإبطاء الفتح، أو الحرمان من الفتح والعياذ بالله، وخاصة الكِبر، وبعده الحقد، وبعده الحسد، إبليس كان طاووس الملائكة، لكن ما الذي أخرجه من الجنة؟ الكِبر، لأنه رفض الاسجود لآدم، ماذا كانت النتيجة؟ ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ ﴾ (١٨الأعراف) .. يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: **((عجبت لمن سجد لإثنين فوحَّد، ولمن سجد لواحد فأشرك)).**

كيف؟ الذي سجد للعبد يعني خضع وسلم للعبد، فقد خضع وسلم لله، وهذا ينجح، لكن معظم الذين يتعالون على الرجل في زمانه ولا يسلموا، يصل بهم الأمر كما قال الإمام أبو العزائم: **((من تعالى على الرجل في زمانه فقد إيمانه)).**

وهي حكمة الله، من الذي أقامه؟ الله، فأنت تسجد لمن؟ لله، لأن الذي أقامه هو الله تبارك وتعالى. لكن الذي امتنع عن السجود، فكانت النتيجة أن خرج منها، وكذلك كل من تعالى عن التسليم للعارفين الصادقين الصالحين يخرج من دائرة الفتح الإلهى والعطاء الرباني خاوي الوفاض في الدنيا والآخرة، لذلك لا بد من التسليم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء)۞ وهذا لن يتم إلا إذا تركت عقلي تماماً وحكَّمت القلب، قال ﷺ: **{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ }**[٢٤]

---

٢٤ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وهنا استفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك وأفتوك!! نسأل الله أن لا يحرمنا من الفتح الإلهي، والنور النبوي، والعطاء الرباني، طرفة عين ولا أقل، وأن يجعلنا من عباده المكرمين في الدنيا، والمكرمين يوم الدين، وأن يرزقنا معية سيد الأولين والآخرين، ويجعل إمداده لنا في الدنيا مستمراً ومتواصلاً في كل وقت وحين.

٣- معرفة العوائق

س: كيف أعرف أني خال من العوائق أو عندي عوائق؟

حتى أعرف أني خالي من العوائق، أو ما تبقى عندي من العوائق لا بد أن أعرف أولاً معنى الفتح: الفتح يظهر على الإنسان ويشعر به ويحس به بعض أحوال الصالحين السابقين التي اطلعنا عليها، أو سمعناها، أو قرأناها في كتب الطبقات للصالحين.

ولذلك يلزم للسالك في البداية أن يطالع سِير الصالحين، وهذا شيء جوهري وضروري، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه له كتاب اسمه **(شراب الأرواح من فضل الفتاح)** الطبعة الأولى من هذا الكتاب كتب فيها في المقدمة تعريف بنفسه، وقد حذفوا هذه المقدمة في الطبعات التالية، فكتب في المقدمة بداياته، وأنه ذهب لأسوان، وأنه ذهب إلى الإبراهيمية في الشرقية وتقابل مع الشيخ الصبيحي، وأنه تعلم الفقه على يد فلان، وأنه حفظ القرآن على يد فلان، وذكر المشايخ، ومن ضمن ما كتبه يقول: منذ نعومة أظفاري كنت أحب سماع حكايات الصالحين، حتى أني اشتريت كتاب **(روض الرياحين في مناقب الصالحين)** للإمام اليافعي، وكنت أُكثر من قراءته حتى حفظته، حفظ الكتاب الذي يتكلم عن كرامات وأحوال الصالحين، لأنها تجعل القلب يتعلق بهذه الإكرامات، ويطمع في هذه العطاءات وهذه الهبات، وهذا شيء أساسي.

فكلما وجد الإنسان همته وعزيمته خامدة، ولا يريد أن يقرأ الأوراد مثلاً، ما الذي يقوي الهمة والعزيمة؟ يأخذ كتاب من الكتب التي تتكلم عن حياة أحد الصالحين ويقرأه، فيجد الهمة قد علت، والشوق زاد، والغرام نما، وبدأت تريد أن تبتلع الأوراد وليس تتلوها فقط.

والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق كان له باع طويل في عصرنا في هذا المقام، فقد حقق كثير من كتب الصالحين السابقين الممتعة مثل (الرسالة القشيرية) للإمام القشيري، هذه الرسالة نصفها تقريباً يحكي عن تاريخ وحياة الصالحين، والنصف الآخر يتكلم عن مقامات وأحوال الصالحين.

ومع ذلك ﷺ أكرمنا وأكرم أهل العصر أجمعين بأن نسج سير الصالحين بصياغة عصرية غير الصياغة القديمة، وكتب حوالي خمس وعشرين كتاباً، كل كتاب مخصص لرجل من الصالحين السابقين، كتابة منهجية وعلمية، فنحن نحتاج أن نقرأ أمثال هذه الكتب، الذي يريد زيادة عن ذلك فهناك كتاب (الطبقات الكبرى) للإمام الشعراني، لكن من يريد قراءة هذا الكتاب يشتري الكتاب بتحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، لأن هذا محقق، أما الطبعات الأخرى ففيها مدسوسات، وقصص لا يقبلها العقل وليست صحيحة في النقل.

ومن أراد التوسع فعليه بكتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الاصفهاني، وهو عبارة عن عشرة أجزاء في خمسة مجلدات، وأبو نعيم الأصفهاني كان مُحدِّث وله كتاب اسمه (دلائل النبوة) وله عدة كتب في الأحاديث، لكن كتاب حلية الأولياء ذكر فيه الأولياء من أول سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، وأخذهم بالترتيب الزمني، ويذكر عن كل ولي تعريفه، وبعض كرامات الله له، ويركّز على الأقوال التي انفرد بها ولم يقلها سواه.

ومن العجب أن هذا الكتاب وضعه وهو في سن الثمانين، وبدون الرجوع إلى مرجع أو كتاب، ولا أي أحد، فانظر إلى عظمة العلماء، كتاب من عشرة أجزاء أملاه مرة واحدة بدون الرجوع إلى مرجع ليبحث فيه عن تاريخ أو قول أو غير ذلك، لكن هؤلاء القوم لأن قلوبهم كانت متعلقة بالله تعلق كلي فكان ما يقرأه يحفظه من أول مرة، وكذلك ما يسمعه يحفظه من أول مره بدون أن يعيد أو يكرر، وهذا فتح من الله ﷻ.

ومن أراد التوسع أكثر فعليه بكتاب (الكواكب الدرية في مناقب الصوفية) للشيخ عبد الرؤوف المناوي، وهو إمام من ائمة الصوفية في مصر.

فالكتب كثيرة لكن كُتب الدكتور عبد الحليم محمود مبسطة وبلغة عصرية، ولا بد من الرجوع إلى مثل هذه الكتب.

حتى في جلساتنا مع بعضنا بدلاً من أن نتكلم عن فلان وفلان وقيل وقال، يجب أن نتكلم عن سيرة سيدنا رسول الله، أو نتكلم في تفسير آية من كتاب الله، أو نتكلم عن سير الصحابة الكرام، أو نتكلم في أخبار الأولياء العظام، فتكون جلسة مفيدة وممتعة ورافعة ترفع الحالة الروحانية للإنسان رفعة عالية.

وهذه الجلسات كيف تكون؟ نتفق أن يقرأ فلان كتاب كذا، وفلان كتاب كذا،

وفلان كتاب كذا، وعند جلوسنا مع بعضنا يحكي كل واحد منا بعض ما قرأه، فيكون هناك تنوع، وهناك إفادة، وهناك رفع للهمة، وبالطبع هناك إدراك للطموح العالي لهؤلاء القوم الكرام .... هذه البداية بالنسبة للإنسان، عندما يكون عنده طموح في هذه المقامات العالية، وعنده طمع في هذه الإكرامات الربانية، وعنده رغبة ملحة من قلبه وروحه وفؤاده إلى الوصول إلى هذه المعالي، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: **((أرى فؤادي يطالبني برؤيته))** فؤادي همته عالية فيطلب مني أن أبذل كل المحاولات وأجاهد كل المجاهدات حتى يرى حبيبه ويتمتع به.

وهذه هي الرغبة الملحة !!

إذا كانت هذه الرغبة غير موجودة عند أي إنسان من الذي يستطيع أن يوجدها له؟ لا أحد، نحن نقوي العزيمة، لكن هو ليس عنده رغبة، مثل الطالب الذي يتوسم فيه أبوه وأهله الخير، ويريدون أن يكون معيداً أو يسجل الدراسات العليا ويصبح دكتوراً له شأن في مجاله، لكنه ليس لديه رغبة، ويقول لهم: يكفيني أن أحصل على البكالريوس أو الليسانس فقط، هل رغباتهم تستطيع أن تفعل له شيء؟ لا، ولو أتوا له بناصحين من هنا، ومصلحين من هنا، ومرشدين من هنا، هل سيسمع كلام أحد؟ لا، لن يسمع الكلام إلا إذا كان له طلب من داخله، وإذا كان له طلب من داخله فإنه هو الذي سيسعى ويبحث عن المشرف، ويسأل عن المراجع ويبحث عنها، ولن يهدأ له بال حتى ينتهي من هذه الأمور لأن عنده الرغبة.

لذلك دائماً ننصح الأحباب عندما يسألني أحدهم ويقول: ابني انتهى من الثانوية فأين أقدم له؟ فأقول له: أهم شيء رغبته، هو يريد كلية معينة ولو كان مجموعه يسمح له بدخول كلية أعلى منها لكنه لا يريدها ولن يفلح فيها، وقد رأيت ذلك كثيراً، فكثير من المصريين الذين يعملون في دول عربية، حرصوا أن أولادهم يأخذوا الثانوية العامة من هناك لأن الدراسة والامتحانات عندهم سهلة، فكان كثير منهم يحصلون على الدرجات النهائية، فيدخلوا كلية الطب، لكن كثير منهم كان يرسب في سنوات الطب، وفي النهاية يبحث له عن كلية أخرى!! لأنه ليس عنده من البداية الرغبة الملحة التي تلح عليه.

الرغبة لا بد أن تكون ملحة!!

وإذا وُجدت الرغبة الملحة فإنها توجد العزيمة، ولذلك نسمي هؤلاء آل العزائم!

يعني أصحاب العزائم القوية.

٤- المريد في أرض السلوك

س: متى يقف المريد في أرض السلوك ويطلبه ملك الملوك؟

يقف المريد على أرض السلوك إذا عرف قدره، وأنه من تراب جمَّله رب الأرباب، أو من نطفة صوَّرها الله وخلقها وأبدع تصويرها، فإذا عرف هذه الحقيقة رأى نفسه لا شيء بين يدي مولاه، ويطلب من الله أن يجمله بجمالاته وأن يكمله بكمالاته، ويتحقق بقول الله في كتاب الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (١٥فاطر) إذا صح هذا الفقر يكون الأمر: ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥ ﴾ (فاطر)

فإذا دخل العبد على ربه فقيراً أغناه الغني، وإذا دخل على ربه جاهلاً علَّمه العليم، وإذا دخل على ربه ذليلاً أعزَّه العزيز، وإذا دخل على ربه ضعيفاً قواه القوي، وهكذا يقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((بأضداد الصفات أنال قربي)) أضداد الصفات الإلهية، وأضدادها هي أوصاف العبودية التي ينبغي أن يكون عليها أي عبد يريد القرب من مولاه تبارك وتعالى.

ولذلك أوصى سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ المريد في بدايته بقوله: ((ادفن نفسك في أرض الخمول، تشرق عليك أنوار الوصول)) يعني ادفن ما في نفسك من رغبات تريد بها الظهور، وتريد بها الشهرة، وتريد بها العُلو، كأن يريد الإنسان أن يكون شيخاً، أو يريد أن يكون له كرامات، أو يريد أن يؤتى له بإلهامات، أو يريد أن يلتف حوله طلاب، أو يريد أن يكون له مآرب لا تعد ولا تحد، فلا بد أن يكسر كل هذه المآرب، ويقضي على كل هذه المطالب، ولا يكون له إلا مطلب واحد، أن يكون عبداً لله، وإذا كان عبداً لله تحرر من كل ما سواه. فإذا تحقق بالعبودية، جمَّله الله تبارك وتعالى بأوصاف الربوبية التي تليق بالعبيد حتى يكون عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون.

فينبغي أن يُكسِّر أولاً الأصنام التي تجيش في صدره وفي فؤاده، وهي الآمال العالية في الوصول إلى مناصب، أو الحصول على مكاسب دنيوية أو أُخروية، أو في طريق الله تبارك وتعالى، فإذا تحقق في ذلك أصبح هذا العبد هو السالك الحقيقي الذي

يكرمه الكريم ﷻ، ويتحقق فيه قول الله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (الزخرف)

فإذا تحقق بكمال العبودية، أنعم الله تبارك وتعالى عليه بالنعم الإلهية التي يخص بها عباد الله الصالحين.

كان سيدي أبو العباس المرسي ﷺ جالساً في مجلسه مع أصحابه يوماً، وزاره ملك مصر في هذا الزمن وكان يسمى السلطان حسن، وكان من عادة الأكابر من الصالحين أن لا يقوموا للتسليم على السلاطين، ولا على الوجهاء والأغنياء، بل يسلمون عليهم وهم قاعدون ليُرُوهم عزتهم بالله تبارك وتعالى.

فسلم على السلطان وهو قاعدٌ في مكانه، وجلس السلطان، وبعد برهة إذا بتلميذ نجيب من أولاده هو سيدي ياقوت العرش ﷺ وأرضاه يدخل عليه، وكان في أصله عبداً حبشياً، فقام سيدي أبو العباس واحتضنه والتزمه، فحدث للملك شيء في صدره من ذلك، وأحس سيدي أبو العباس بذلك بفراسته النورانية، فأراد أن يكشف له عن جلية الأمر، فقال ﷺ: يا ياقوت إني أشعر باكتئاب نفس وبضيق صدر، فأخذ ياقوت يبكي، والسماء كانت منبلجة وجوها صحوٌ ليس فيها سحابة أو قطعة من سحابة، وإذا بها تتلبد بالغيوم، وينزل المطر لدموع ياقوت العرش، وسمي بياقوت العرشي لأن قلبه كان يطوف بالعرش على الدوام وإن كان جسمه على التراب بين الإنام:

إن الرجال كنوزٌ ليس يدريها ... إلا مرادٌ تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم ... قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى وهمو ... سفينة الوصل باسم الله مجريها

فقال: يا ياقوت لقد انشرح صدري وانفرجت نفسي وذهب الهم والغم عني، فأخذ ياقوت يتبسم ويضحك، فانجلت السماء، وذهبت السحب التي بها، وظهر صحو الجو، فقال سيدي أبو العباس ﷺ للسلطان حسن: أنتم ملوكٌ أرضية، وهؤلاء ملوكٌ سماوية، وأشار إلى سيدي ياقوت، ولما رأى دهشته قال: أما تقرأ القرآن، هذا وأشباهه يقول فيهم القرآن: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (الزخرف)

هو عبدٌ لله ﷻ تحقق بمقام العبودية، وتجمل بأوصاف العبودية، فأنعم الله تبارك وتعالى عليه بعطاءاته الإلهية، وعطاءاته الربانية التي لا تحد ولا تعد.

إذاً كي يقف المريد على أرض السلوك، ينبغي أن يتجمل بأوصاف العبودية، ولا يرى لنفسه في هذا المقام حالاً، ولا مقاماً، ولا يملك لنفسه حولاً، ولا طولاً، بل يرى كل ما فيه إمداد من خالقه وباريه تبارك وتعالى.

فإذا تخلص من هذه النفوس أصبح صالحاً لمناجاة الملك القدوس، لأنه مكتوبٌ على حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس.

٥- ذكرى الدار

س: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾(ص)
ما ذكرى الدار التي أخلصهم الله بها؟

الدار دار الآخرة ...

طالما الإنسان على باله ذكر الآخرة ويستحضر مشاهد الآخرة، وأنه إن آجلاً أو عاجلاً سيخرج من الدنيا ويعيش لحظات في البرزخ ثم تأتي الآخرة، ويحاسب فيها على القليل والكثير، والنقير والقطمير ....

طالما الإنسان يستحضر في باله هذا الأمر فهو في خير إن شاء الله.

معظم الذنوب التي يقع فيها الخلق يكون السبب الرئيسي فيها النسيان

﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ (١٩الحشر)

نسي أن الله يطلع عليه ويراه، ونسي أنه سيرجع إلى الله في يوم يحاسبه فيه الله على كل ماجنت يداه !!

فلو أنه تذكر أن الله يطلع عليه في كل شأن ويراه، ويعلم ظاهره وخفاياه، وأنه سيُعرض على الله، والخلق جميعاً يشهدون حسابه أمام وجه الله، هل سيقع في خطأ أو في ذنب إذا كان ذلك على باله؟

أبداً .. !!

وهذا إكرام الله للأنبياء والمرسلين، وعلى أثرهم الصالحين والصادقين والمُخلصين الذين أخلصهم الله تبارك وتعالى في هذه الدار الدنيا ليكونوا سعداء عنده يوم الدين.

٦- محو الصور الكونية

س: كلما خلوتُ بنفسي تواردت على خاطري صور الأكوان، ... دلني على طريقة أمحو بها هذه الصور؟

هذه الصور الكونية إذا انتقشت على صفحة القلب أصبح محوها في غاية الصعوبة إلا بمعونة إلهية، فالإنسان بنفسه ليس له جهاد يوصله إلى ذلك، إلا إذا سقاه الله تعالى من عنده شراباً طهوراً: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان)

وهذا الشراب لم يقُل: وسقاهم الله، وإنما يسقيه المربي له، وأول المربين هو سيدنا رسول الله ﷺ، وهو يأخذ من الله ويعطيه:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[٢٥]

فإذا شرب هذا الشراب الطهور وهو من النور، طهَّر جوفه من هذه الصور الكونية، فانتقشت فيه الأضواء القدسية والصور الملكوتية، وإذا أراد أن تلوح فيه عوالم قدس الله الذاتية، لا بد أن يمحو أيضاً بعد ذلك الصور الملكوتية، وهذا المحو لا يتم إلا بقول الله: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (٣٩ الرعد)

فلا يتم إلا على يد سيدنا رسول الله ﷺ، أو على يد وارث نوراني كلَّفه حضرة النبي وأقامه هذا المقام العليّ.

وما دورنا في ذلك؟ يسَّر لنا إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه الطريق إلى ذلك في حكمة عالية، ولا تصلح هذه الحكمة إلا لهذه الثُلة الراقية، ولا يجوز أن نخاطب بها العوام، ولا أن نطالب بها جميع الأنام، ولا حتى أن نطالب بها العوام من السالكين بيننا، لكنها لخاصة الخاصة، وهي في الحقيقة منحةٌ من الله تبارك وتعالى، فقال ﷺ: **((استحضار صورة المرشد يحجب واردات الحسِّ عن القلب، فيكون الحسُّ تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الرب تبارك وتعالى)).**

إذا استحضر الإنسان صورة المرشد حتى الظاهرة، وليست حتى النورانية أو

---

٢٥ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الروحانية، وركَّز فيها وجعلها في سُويداء قلبه وبؤرة فؤاده، تمنع الصور الكونية التي تشغل العين، أو التي تشغل الأُذن، أو التي تشغل الحواس حتى عن طريق الإحساس، وتجعل القلب في هذه الحالة خاضعاً لله، والقلب في نفس الوقت مسيطر على هذه الحواس.

وإذا صار القلب هو السلطان على الحواس، وهو الذي يُهيمن عليها، وهو الذي يديرها، وهو الذي يحرِّكها كما شاء الله تبارك وتعالى، فالقلب بيت الرب وهو الذي يتلقَّى من الله تبارك وتعالى، فلا يكون في القلب إلا صورة الوارث النواري، ثم بعد ذلك صورة النبي، ثم بعد ذلك صور أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا، أما الله تبارك وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى).

كيف أستحضر صورة المرشد في قلبي؟ بالحب الصادق: **((القلب بيت الرب فطهره له بالحب))** إذا صدق الإنسان في حبه بقلبه فإن صورة المرشد يقلِّبها الله في باطنه فضلاً من الله تبارك وتعالى ونعمة، ليس بتكليفه، وليس بكده وجهاده، وإنما فضلاً من الله تبارك وتعالى.

وهي الصورة المشار إليها في سورة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، عندما أرادت نفسه أن تُغويه بما دعته امرأة العزيز، ... قال الله تعالى: ... ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (٢٤يوسف)

ما هذا البرهان؟ قال البعض: هو ملكٌ من الملائكة ظهر له، وقال البعض الآخر وهو الأصَّح: رأى صورة أبيه يعقوب، أو رأى أبيه يعقوب.

ففي البداية يرى الإنسان صورة المرشد في باطنه:

وقد يصل إلى حالٍ يرى المرشد بكله ظاهراً أمام عينيه، رأى صورة يعقوب وأشار إليه أن كُفَّ عن هذا: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (٢٤يوسف) صرف الله تبارك وتعالى عنه هذا السوء، وجعله مكرماً ومبجلاً بما رآه من هذه الآية العُظمى.

فاستحضار صورة المرشد في القلب يمنع واردات الحسِّ عن القلب:

ويكون الحسُّ تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الله تبارك وتعالى.

أما من لم يصل إلى هذه الأحوال:

فعليه أن يديم ذكر الله، ولا يتوقف عن الذكر طرفة عينٍ ولا أقل، حتى يُطهِّر الله قلبه من صدأ الغفلة، ومن الأهواء المُردية، والنزغات الإبليسية، والوساوس النفسية، فقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٥٣ يوسف).

فالنفس دائماً أمَّارة وليست آمرة، لأنها لا تكفُّ عن تكرار الأوامر للإنسان بالعصيان والغفلة عن طاعة الرحمن تبارك وتعالى.

وهذه الغفلة تجعل القلب النوراني ينتابه جفاء، يقول فيه سيد الرسل والأنبياء ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾}[٢٦]

والران يعني الغطاء أو الحجاب أو الستارة التي تحجب هذا القلب عن الأنوار الإلهية: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين) ..

كيف نزيل هذا الران؟ قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[٢٧]

أديمـوا لـذكر الله فالـذكر نـوره لأهـل الهـدى والـغي لا شـك فـارقوا

فإذا فارق الإنسان صُحبة أهل الغفلة وأهل الغي وعُصبة الجهالة، وصاحَب الصالحين والصادقين، واشتغل في ذكر الله في كل وقت وحين:

فإن الله ﷻ يُجلي مرآة قلبه، ويجعلها مرآة شفافة، يظهر فيها أيضاً أنوار الملكوت، وأقدار الحي الذي لا يموت، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من خيار أهل ذلك.

---

٢٦ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٧ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٧- الخيال والسلوك إلى الله

س: الخيال عند العامة ليتخيل به ما لا يستطيع تحقيقه من أحلام، أو ما يسعى لتحقيقه، ... ولكن ما دور الخيال فى السير والسلوك إلى الله؟

هو نفس الدور ...

فإذا كان العامة يتخيلون القصور، والسيارات الفارهة، والنساء الجميلات، والمناصب المغرية، والأموال الطاغية ...

فإن أهل الله الصالحين يتخيلون المطالب العالية عند الله، والآمال التي يرجون أن يحققوها مع سيدنا رسول الله ﷺ.

فمثلاً إذا كان في زمن الحج المبرور:

يتخيلون أنهم بين الحجيج في عرفات، أو أنهم يسعون بين الصفا والمروة، أو يطوفون حول البيت، أو أنهم يزورون الحبيب المصطفى في روضته المملوءة بالأنوار، فتهيم أرواحهم، وتهيم أجسادهم، وتهون الأموال التي ينفقونها في سبيل ذلك، فلا يعيرون المال التفاتا، ويضحون بالنفس والنفيس في سبيل الوصول إلى ذلك.

فإذا نزلوا إلى رياض القرآن:

وهم يقرأونه عياناً سر قول الله ﷻ في أهل هذا المقام: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود) فيقرأون منازل أهل الجنة، فيشتاقون إليها ويتخيلونها، ثم يقولون لأنفسهم: إن الحبيب قال في شأنها:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٢٨]

أي أن كل ما يتخيلونه لا يصل إلى ذرة من كبد الحقيقة التي تهفوا قلوبهم إليها،

---

٢٨ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وتهيم أرواحهم إلى النزول فيها.

- ويتخيلون حالهم وهم واقفون وخطاب الحق في قلوبهم، وهم يرددون:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة)

- ويتخيلون القيامة وأطوارها، وكيف يكون حالهم عند تطاير الصُحف، وعند المرور على الصراط، وعند السؤال، وعند كل أحوال أهل الموقف، وأنهم يكونوا في ذلك اليوم داخلين في قول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ (٨٢الأنعام).

- ويتخيلون منازل الصالحين في الدنيا، الذين صفُوا ووفُّوا، فأعطاهم الله قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر)

- لطُفت الأجسام بعد لُطف القلوب وصفاؤها:

  - فأصبحت الأرض تُطوى تحت أقدامهم، السماء لا تحجبهم عن نيل مطلوبهم، بل ما بين السماء والأرض يُطوى في كلمة تخرج من شفاههم، قيل للإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: كم بين السماوات والأرض؟ قال: **((دعوةٌ مجابة)).**

  - كلمة تخرج من بين شفاههم تخترق أجواز السماوات السبع، وتصل إلى حضرة السميع، بل يبشرون بالإجابة ويسمعون الإجابة من البشير النذير ﷺ.

فالخيال عاملٌ أساسي في بلوغ هذه المقامات، والوصول إلى هذه الدرجات:

- على أن يكون الخيال محفوظاً من نزغات النفس، ووساوس الشيطان:

  - لأنه يُخيل للإنسان ما لا يصل إليه في عالم الحقيقة، وما لم يقدِّره له مولاه، ويضحك عليه به فيُخدع ويظن أنه من الصالحين، وقد خدعته نفسه وحظه وهواه.

أسأل الله تبارك وتعالى:

أن يحققنا بهذا الكمال، وأن يوصلنا إلى هذه الآمال.

٨- الخواطر الإلهية والخواطر النفسية

س: قال تعالى ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٤ البقرة) وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٩آل عمران) ما الفرق بين ﴿ما في أنفسكم﴾ .. وبين ﴿ ما في صدوركم ﴾؟

بيَّن الله ﷻ في هاتين الآيتين الكريمتين نوعين من الخواطر تخطر على بال الإنسان، فهناك الخواطر النفسية التي تجول في النفس، وهي من النفس: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٤البقرة)

وتُبدوا يعني تُظهروا الخاطر الذي مر على النفس، فإن كان هذا الخاطر خاطر شرٍّ ولم نعمله يحاسبنا الله عليه فيكتب لنا به حسنة، وإن كان خاطر خير ولم نعمله فأيضاً يكتبه الله تبارك وتعالى ويحسبه لنا بحسنة.

وإن كان خاطر شر وأظهرناه وأبديناه أو عملنا به، كُتب لنا سيئة واحدة، ويغفر الله ﷻ لمن يتوب، ويعفو عمن يشاء، وإن كان خاطر خير وعملناه، فعلى حسب ميزان التقوى في قلوبنا يكون الأجر والجزاء من الله، وبدايته عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وبعد ذلك يضاعف الله تبارك وتعالى لمن يشاء.

هذا في الخواطر النفسية التي تخطر على بال الإنسان ومصدرها من النفس، إن كانت من النفس الإبليسية تكون خاطر شر، وإن كانت من النفس الملكوتية تكون خاطر خير، وإن كانت من النفس السبعية تكون خاطر شر، وهكذا فإن خواطر النفوس لا يعلم هيئتها ومداها إلا الملك القدوس ﷻ.

أما الخواطر الإلهية فإنها تتنزل في الصدور التي امتلأت بالنور لأن الله شرح هذا الإنسان بنور حضرة النور: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (٢٢الزمر)

فالصدور تنزل فيها الخواطر الإلهية، ولذلك قال فيها رب البرية: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٩آل عمران) إن أخفيتم هذه الخواطر

بحيث لا يطلع عليها – إن عملنا بها – إلا حضرة الله، ويكون هذا عملاً سِرياً، وعمل السر يفضل عمل العلانية بسبعين ضعفاً.

أو إذا أبديناه ليقتدي به من حولنا ويتأسى بنا أصحابنا في الله، فإن الله على كلتا الحالين يطلع على ذلك، ويعلمه بعلمه المكنون وسره المصون وغيبه المخزون.

وهذه الخواطر الإلهية لا يكون فيها إلا محض الخير والبر والصفاء والنقاء لله تبارك وتعالى، لأن صاحب هذا الصدر أصبح قلبه سليماً، وحاله مستقيماً، وصدره قويماً، فهو يتلقى من العزيز الحكيم ما به نفعه في الدنيا، وما به رفعه في الدار الآخرة.

٩- الحزن في طريق الله

س: يقولون الحُزن من أوصاف الصوفية، والمريد الحزين يُيسَّر له الإنتقال من مقام إلى مقام، وأن ما يقطعه المريد الحزين فى شهر، يقطعه غير الحزين فى سنة، فكيف ذلك وقد نهى الله عن الحزن فى كتابه الكريم .. وقال عن أولياء الله: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس)؟

سبق أن طالبنا الأحباب إذا أتوا بمثل هذا القول أن ينسبوه لمن قاله، من قال هذا القول؟! وأنا على قدر علمي وقد أكرمني ربي تبارك وتعالى واطَّلعت على قدري على أقوال النبي الكريم، وأقوال الصحابة المباركين، وأقوال السلف الصالح والتابعين أجمعين؛ القدامى والمعاصرين، ولم أقع على هذا القول، ولم أدري من أتى به من بعث به إلينا؟! ومن الذي قاله؟!.

ربما يستند إلى أن سيدنا رسول الله ﷺ كان أحياناً يبدوا عليه الحُزن والكآبة وهذا عندما ينتابه هم، أو يفاجئه شدة، وكان بمجرد أن يرفع أمره إلى الله، وكان يلجأ في هذه الآنات إلى الصلاة، كما قيل فيه:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزِبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ }[٢٩]

٢٩ معجم الصحابة وجامع البيان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

فإذا اتصل قلبه بالله في الصلاة ذهب عنه الهم، وذهب عنه الحزن، ويُرى عليه البشاشة، ويُرى على فمه البسمة الصافية الصادقة، وقد قيل في شأنه مع أصحابه الكرماء: **(كان لا يبدو إلا متبسماً)**.

فالله ﷻ يطلب من حبيبه، ويطلب من أصفيائه لمقتضى الوقت أن يأخذوا أنفسهم بما يقتضيه الوقت.

- فإذ أجرى عليَّ الله تبارك وتعالى شيئاً من القبض لهمٍّ نزل بي، أو – لا قدَّر الله – كارثةٍ حلَّت بي، أو شيء أضاق صدري، فهل ينبغي عليَّ وأنا في ذلك أن أضحك أو أتبسَّم؟! هذا يخالف واجب الوقت.
- فكان يتجمَّل بما ينبغي عليه أن يتجمَّل به في حكم الوقت، فيُظهر في الشدات الكآبة والحزن وما شابه ذلك استحضاراً لواجب الوقت، وإن كان ﷺ قلبه يتقلب دوماً في الجمال لأنه في أكمل أحوال القرب من الواحد المتعال ﷻ.
- لكن البشرية وهي موضع الاقتداء لمن حوله من أهل الأمة المحمدية، تقتضي أن يُظهر أحوال البشرية، حتى يقتدي به من بعده، على هذه الهيئة النورانية النبوية.
- وإذا انتابه فرح، أو جاءه سرور، أو جاءه خبرٌ مفرح، كان يبدو السرور في مُحياه، والبسمة في وجهه الشريف، ويظهر عليه هذا الأمر العظيم، حتى أن من رآه يُعديه فرحه صلوات ربي وتسليماته عليه، وفرحه ﷺ في الحقيقة لا يكون إلا بالله تبارك وتعالى.

والأولياء والصالحون ينتابهم حال القبض، ويأتيهم حال البسط، وينظرون إلى كلا الحالين على أنه من الله، لأن الله قال في ذلك في كتاب الله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ **(النجم)** فهو الذي يُضحك، وهو الذي يُبكي، وهو الذي يقول لنا: ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ **(الأنبياء ﴿١٧﴾)**.

فيفرح لما أقامه الله تبارك وتعالى فيه، ولكنه يُظهر على بشريته وهيئته الظاهرة ما ينبغي أن يكون عليه بحكم الوقت، وواجب الوقت اقتداءاً بنبينا المبارك صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولذلك قال الله تعالى عن أولياء الله الصالحين، ونحن إن شاء الله منهم أجمعين: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس) لا يخافون على أنفسهم بعدٌ ولا صدٌّ ولا هجرٌ ولا نارٌ ولا جحيمٌ، لأنهم يعلمون علم اليقين أن الله ﷻ ما دام قد رضي عنهم فإنه يُدخلهم في قوله ﷻ: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس).

ولا يحزنون على أصحابهم، ولا أتباعهم، ولا مريديهم، لأنهم يعلمون أن الله سيُشفِّعهم فيهم، وما دام قد أذن لهم في الشفاعة فيُنجِّي هؤلاء، وأخذ هؤلاء إلى كوكب السعود في جوار النبي ﷺ وصحبه المباركين.

لا خــوف يعلــوه إذ مــولاه قرَّبــه ولـيس يحـزن مـن في روض جلـوات

الذي يرى أنه جالساً على أرائك القرب من الله بقلبه أو بروحه، وأنه يتمتع في حضرات الوداد بالأُنس مع الله، وبالمحادثة والمصافاة والمكالمة والمشافهة مع حضرة الله، أو يرى تنزل الملائكة المباركين عليه يحادثونه ويتبادلون معه الحكم الإلهية والعلوم الوهبية، أو يرى أنبياء الله السابقين أو أولياء الله السابقين أو المعاصرين، يأتونه مناماً يبشرونه بفضل الله، ويعجلون له البشرى التي يسوقونها له من الله، كيف يحزن وهو في هذا المقام؟! وكيف يخاف وهو في هذا القرب القريب من الله تبارك وتعالى؟!.

إن هؤلاء لا يخافون إلا من شيء واحد يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

أنــا لا أخــاف وحقــه مــن نــاره كــلا ولا أبــغي الجنــان لطيبهــا
فــالقرب منــه جنــتي ومحاســني والبعــد عنــه نــاره ولهيبهــا

لا يخافون إلا من البعد عن حضرة الله !!

ولا يخشون إلا الصد عنهم أو الهجران لهم.

ولكنهم ما داموا يتمتعون بأنوار القرب من القريب، وتلحظهم عناية الحبيب، فهم دائماً وأبداً في سرور لا يستطيع أحدٌ وصفه، وبِشرٍ لا يستطيع أحدٌ الإشارة إلى كُنهه!!

ولا يأتيهم شيء من الذي يُذكر في هذا المقام لأهل المقامات الذين لا يثبتون على حال، ولا يسبقون في فعل ولا مقال ...

نسأل الله الحفظ من أحوالهم !!

وأن يُثبت أحوالنا مع الحبيب وصحبه المباركين أجمعين.

١٠- الحزن وتزكية النفس

س: هل الحُزن طريقة من طرق تزكية النفس وتهذيبها، وسبيلاً إلى ترقيتها والسموُّ بها؟

كأن السائل يُصر على سؤاله الماضي !!

من الذي قال: أن الحزن سبيلٌ إلى تزكية النفوس؟!!.هذا مشرب الزاهدين!

وقد كانوا في السلف الصالح في القرون الخالية يعظون الناس:

- **بذكر النار ودورها وعذابها وأهوالها ..**
  - **وذكر الجانب المظلم في الموقف العظيم من الأهوال والشدائد في السؤال والشدائد في الميزان .. والشدائد في المرور على الصراط.**
- **ويأتونهم بالآيات التي تتحدث عن ذلك !!**
- **ويتحدثون وهم يبكون ويجزعون فترى الجالسون جميعاً كأنهم في محزنة تنهمر دموعهم، وبعضهم يصرخ من شدة الخوف والوجل، وبعضهم يُغمى عليه من شدة الصدمة التي ألمَّت به !!!**
- **ويفرحون (أى الدعاة) بذلك ويظنون أنهم يزكون هؤلاء!!**
  - **. هذه التزكية في هذا المقام هي تربيةٌ للخوف !!**
    - **ولكن للخوف من الجحيم، أو الخوف من العذاب الأليم، أو الخوف من الموقف العظيم، وهذه أدنى درجات الخوف.**

أما أعلى درجات الخوف :

- **أن يخاف الإنسان أن لا يلحق بالنبي الكريم وأصحابه الحنفاء !!**
- **أو يخاف أن يُحرم من النظر إلى وجه الله !!**
- **أو الخوف من أن لا يتمتع بمنازل الرضوان !!**

- أو يخاف أن لا يضمن حُسن الخاتمة وهو في هذا العالم قبل نَفَسه الأخير.

- فلا يطمئن حتى يُطمئنه الله ويريه مقامه في الجنة، ومقامه في الزُلفى والقرب من الله، ومقامه في جوار رسول الله، فيطمئن قلبه: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد).

فهؤلاء الذين ذكروا هذا الجانب من الخوف فقط الذي أشرنا إليه سابقاً:

كأنهم يسوقون الناس إلى القيامة بالسياط!!؛ يجلدونهم بالسياط حتى لا يقعوا في مشقة العذاب وأهوال القيامة، وحتى لا يهوى بهم في نار جهنم والعياذ بالله !!

ولكنهم كان ينبغي لهم مع ذلك:

أن يُذكِّروهم بمقامات القرب من الله، وكيف يمنحها الله لأحبابه وأوليائه، فضلاً منه ومنَّة، واكراماً منه ﷻ ورحمة، فيفرحون بفضل الله، ويكونون بذلك قد عملوا بقول الله:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨يونس)

إذاً ينبغي علينا أن نُكثِّر – وخاصة في هذا الزمان – من التذكير بفضل الله، وإعلام الناس بمدى رحمة الله.

أُنظر إلى أبي اليزيد البسطامي ﷺ وكان من خيار المقربين، وهو يقول في مقام الدلال مع ربه تبارك وتعالى .. ، عندما قال له ربه:

لو أنبأتُ الخلق بقدر حبي لك لقتلوك، فقال ﷺ: ولو أنبأتهم بسعة رحمتك ما عبدوك، فقال: يا أبا يزيد لا تقول ولا نقول.

فنبشر الناس بفضل الله وبرحمة الله .. ولكن لا يصل بنا التبشير إلى جعلهم:

- يتواكلون عن القيام بما كلَّفهم به الله.
- ولا أن يتهاونون بالفرائض التي فرضها علينا في كتاب الله !
- ولا ان يستهينون بالمخالفة في أي أمر لسيدنا رسول الله ﷺ.

هذه هي تربية الأفراد للمرادين ...

نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون منهم أجمعين.

١١- قيد النفس

س: ما أشد قيد على النفس؟؟

قيود النفس كثيرة، ولكن أشد القيود عليها في الحياة الدنيا هي الشهوات، فالنفس حريصة على أن تنال شهواتها بغير قانون وبغير شيء يحذر عليها أشياء، فتريد أن تكون الشهوات كلها لها مباحة لتقضي منها إربها بغير حساب ولا عقاب.

والله سبحانه لم يمنع الإنسان المؤمن من الشهوات، ولكنه قيدها له بقيود حتى يكون دائماً وأبداً يمشي على قانون الله في كتاب الله، وفي سُنَّة سيدنا رسول الله ﷺ.

النفس تريد دوماً أن تأكل ما لذ وطاب، وتشرب ما تشتهيه من أنواع الشراب:

ولكن الله ﷻ هذبها وأدبها، فأباح لها أطعمة وأشربة وجعلها حلالاً، ومنعها من بعض الأطعمة والأشربة وحرمها عليها، وهذا هو الجهاد الاعظم الذي يجاهد به المؤمن النفس في هذا الهوى وهو الطعام والشراب.

ولذلك نجد أكثر الذين ينسلخون من الدين لا رغبة عن الدين وإنما لإعطاء النفس مناها من هذه الشهوات:

فهو يريد أن يأكل كل ما تشتهيه نفسه، ولا يكون عنده قائمة بأن هذا حلال وهذا حرام، ويريد أن يشرب من كل ما تشتهيه النفس، ولا يتوقف عندما يخبره الشرع أن الخمر حرام وأن المسكرات حرام ولا يجب أن يشربها ولو كان ملء الكف، فإن هذا الأمر يُقلقه ويُضجره، ويظن أنه يحجزه عن حريته، مع أن الله ﷻ ما منعنا طعاماً ولا شراباً إلا وتحققنا تحققاً علميا ودينياً أن فيه ضرر محقق لمن يأكله ومن يشربه، ولذلك ما حرَّمه الله علينا إلا حرصاً علينا وخوفاً علينا معشر المؤمنين.

وكذلك النفس تريد أن تقضي شهوة النكاح في أي باب وبأي وسيلة وبأي طريقة، ولكن الله ﷻ – وهو العليم القدير – يعلم أنجح الوسائل لنا، والتي بها حفظ الأنساب، والتي بها عدم انتهاك الحرمات، والتي بها يكون الإنسان إنساناً يستحق الخلافة عن الله، لأنه شريف في كل ما يأتيه، وشريف في كل ما يهواه، فإن الله سنَّ لنا القوانين التي تجعل الإنسان بحق خليفة عن رب العالمين.

فشرع لنا الزواج، وجعل قوانين الزواج من البدء إلى الختام كلها في صالح بني

الإنسان، وإصلاح المجتمعات الإنسانية، وهي وقاية من كل الأمراض العصرية التي نتجت ممن يستهينون الأحكام الشرعية، ولا يبالون بالتعاليم القرآنية.

إذاً هذه الشهوات وهذه الملذات هي أشد قيد يقيد النفس، وما قيَّدها الله تبارك وتعالى إلا لحرصه على الإنسان، ولتدريب هذا الإنسان على التسامي عن هذه الشهوات، حتى يلحق بالملائكة الكرام، ويكون منهم، أو أعلى منهم قدراً عند الملك العلام تبارك وتعالى.

١٢- حجاب النفس

س: جهاد النفس وانطوائها لمراد الله، هو أكثر الحُجب في طريق الله، فما كيفية جهادها والثبات على ذلك؟

السؤال يحتاج إلى تصحيح:

فليس جهادُ النفس حجابٌ في طريق الله، ولكن الحجاب هو النفس، فأكبر حجاب يحجب الإنسان عن حضرة الله هي نفسه، فنفسك الحجاب وأنت البراق لوصل الأحباب، إذا تخلصت من النفس بالجهاد الذي ذكره الله في الكتاب.

فجهاد النفس هو الذي يُخلِّص الإنسان من هذه الحجب التي تحجبه عن حضرة الله، وخاصة ونحن نعلم أن النفوس كثيرة، فهناك النفس الإبليسية، والنفس الحيوانية، والنفس الجمادية، والنفس النباتية، والنفس الملكوتية، والنفس القدسية، وكل نفس من هذه النفوس لها جهادٌ يلائمها حتى تتخلص من هذا الكابوس، وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في معظم كتبنا، وأجملناه في كتابنا: (النفس وصفها وتزكيتها) فليرجع إليه المريد ليعرف كيفية مجاهدة النفس.

ونقول كلمةٌ واحدةٌ هي الأساس في جهاد النفس، يقول فيها الإمام البوصيري ﷺ:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محَّضاك النُّصح فاتهم

كل ما أشارت به النفس أعرضه على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسول الله، وعلى عمل الصالحين الأتقياء من عباد الله، فإن كان هذا الذي أشارت به النفس يوافق عليه

كتاب الله، ويُمضيه رسول الله، وكان عليه الصالحون من عباد الله، أقوم به ابتغاء وجه الله، لا أريد به جزاءاً ولا شكوراً، ولا منزلة ولا درجة، وإنما كل ما أرجوه هو رضاء الله تبارك وتعالى، ورضاء الله هو غاية الغايات.

وإن كان الذي تأمرني به النفس بخلاف ما أمرني به ربي في كتابه، ويخالف ما أوصى به النبي في سنته، ولم يكن عليه الصالحون بمناهجهم وسيرهم وسلوكهم:

أعرف أن هذا من هواجس النفس، ومن لممها ووساوسها، فأرجع عنه وأستعيذ بالله منه، وأعمل عملاً صالحاً أكفر به عن هذا الخاطر النفسي، ليظل لي منزلة تُقى عند الله العلي ﷻ.

١٣- الرياء

س: ما مفهوم الرياء؟

الرياء : .. من الأشياء التي تُفسد العمل وتبطله، وتجعل صاحبه ليس له أجرٌ ولا ثوابٌ عند الله، ولا ينال بعمله أي خير أو بر من مولاه.

- لأن الرياء هو العمل من أجل أن يراه الناس يفعل هذا الفعل فيحمدونه، أو يُثنون عليه، أو يخصونه بشيء لما يرونه عليه.
  - والذي يفعل ذلك يأخذ أجره الذي طلبه من الذين رآهم وعمل أمامهم وانتظر الأجر والثواب منهم.
  - قال ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[٣٠]

فالله تبارك وتعالى لا يقبل العمل، ولا يُقبل على العمل إلا إذا كان خالصاً لوجهه الكريم، يعني الذي يعمل العمل لا يريد من وراء العمل دنيا، ولا أموال، ولا رياء، ولا

٣٠ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

سمعة، ولا شُهرة، ولا منزلة بين الناس، وإنما يعمل العمل يريد به فقط الوجاهة والمنزلة عند رب الناس تبارك وتعالى.

فإن الناس إذا كانوا لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكيف ينفعون غيرهم؟! أو كيف يدفعون الضُر عن غيرهم وهم لا يستطيعون دفع الضر عن أنفسهم؟! فالضار النافع هو حضرة الله، وينبغي أن يعمل المؤمن وفي أُفق قلبه قول مولاه: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١٤غافر) وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

فالإخلاص هو شعار المتقين، وهو سبيل العارفين، وهو السبب الأوحد لنيل المنزلة العُظمى عند رب العالمين، والفوز بالحُظوة مع أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ووصف النبي ﷺ الرياء بوصف ذميم حتى نتبرأ منه ولا نقترب منه، فقال ﷺ:

{ إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ }٣١

يعني الرياء ولو قليل فإنه فيه شرك، لأنك أشركت مع الله في الوجهة غيره، ولا يُقبل هذا العمل عند الله تبارك وتعالى.

وبين الله تبارك وتعالى أن أغلب الناس المؤمنين الذين لا يلاحظون هذا الخُلق الذميم في أعمالهم وتوجهاتهم قد يقعون فيه وهم لا يشعرون، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ (١٦يوسف).

وإذا كان المؤمن قد فرَّ من الشرك وأصبح موحداً، فإن هذا الشرك يسمى الشرك الخفي، والشرك الخفي الذي يخفى إلا عن المخلصين، أما غيرهم فقد يقع تحت طائلته فيُحبط الله تبارك وتعالى عمله، ويخرج من الدنيا وليس له عملٌ مقبولٌ عند الله، نسأل الله تبارك وتعالى الحفظ والسلامة.

فقد يعمل الإنسان جاهداً في دنياه، ولكنه يريد من وراء هذا العمل أن يحمده الناس على ذلك، كأن يبني مسجداً، أو يبني مستشفى، أو يصنع عملاً خيرياً، ويفرح إذا قال الناس: إن فلاناً بنى مسجداً، أو إن فلاناً أقام مستشفى، أو إن فلاناً عمل كذا وكذا من البر، فهذا قد يوقعه في الشرك الخفي إذا أحب ذلك، وركن إلى ذلك، ... وأحبَّ أن يستمع إلى ذلك.

---

٣١ سنن ابن ماجة والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

لكن الذي يعمل العمل لوجه الله، ويحاول الخلق أن يُثنوا عليه أو يشكروه أو يعظموه ويعطون له منزلة عندهم، وهو لا يصغى إلى ذلك، ولا يلتفت إلى ذلك، ولا يهمه ذلك، فهذا بريء من هذا المرض العضال؛ مرض الرياء، ورزقه الله تبارك وتعالى الإخلاص، وهؤلاء يقول ﷺ فيهم:

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى، تَتَجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ }[٣٢]

ويقول فيهم ضلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ لِلَّهِ ضَنَائِنَ مِنْ خَلْقِهِ يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، وَإِذَا تَوَفَّاهُمْ تَوَفَّاهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ تَمُرُّ عَلَيْهِمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَهُمْ فِيهَا فِي عَافِيَةٍ }[٣٣]

فالرياء هو العمل من أجل الناس:

- أما إذا كان العمل من أجل الله، ويحب الإنسان أن يمدحه الناس على ذلك، أو يعظموه لذلك، فهذا يُنتقص من أجره، ولا يُحبط عمله، لأنه يبغي من ذلك وبذلك وجه الله ﷻ ...
- لكن الرياء المحض شرك، ولذلك قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ }[٣٤]

- وهذا الذي لا يُصلي إلا إذا رآه الناس، وإذا لم يروه ترك الصلاة:
  - أما الذي يُصلي ولكنه يُحسن الصلاة إذا رآه الناس، فليس مراء وإنما يُنتقص من أجره على قدر التفاته إلى الخلق.
- كذلك الذي يصوم من أجل أن يحمده الناس ويقولون: فلانٌ يصوم الإثنين والخميس على الدوام، فلانٌ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر على مدى الأيام،

---

٣٢ شعب الإيمان للبيهقي عن ثوبان رضي الله عنه
٣٣ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٤ الحاكم في المستدرك والطبراني عن شداد بن أوس رضي الله عنه

وإذا لم يره الناس أفطر:

- فهذا العمل هو محض الرياء الذي يُحبط العمل.

- أما إذا كان يعمل العمل من ذات نفسه خالصاً لله:
  - ولكنه لضعف نفسه يُحب أن يستمع إلى ثناء الخلق عليه:
    - فهذا يُنتقص من أجره، ولكنه لا يُحبط عمله بالكلية، لأن له نيةٌ خفية يقصد بها وجهة رب البرية عند القيام بهذا العمل لله تبارك وتعالى.

ولذا نجد أصحاب النبي ﷺ والصالحون من بعدهم إلى يومنا هذا أجمعين، يحرصون على أن يكون عملهم بينهم وبين حضرة الله فقد قيل:

((إن عمل السر يُضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفاً)).

وقال ﷺ:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ ؛ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ }[٣٥]

وهذا الذي يجعل الإنسان يزن عمله دوماً بميزان الإخلاص حتى يكون من الخواص، وحتى يتقبله الله منه بقبول حسن، فيزنه بهذا الميزان، إذا كان هذا العمل خالصاً لله فإنه لا يتركه إن كان في خلوة أو في جلوة، إن كان في سر أو في علن، إن كان خفاء أو في ظهور.

أما إذا كان يعمل العمل للظهور ويتركه في السر أو في الخفاء، فيبكي على نفسه:

ويُصحح حاله ليعمل العمل خالصاً لله تبارك وتعالى، حتى يكون من الخالصين المخلصين، الذين يحبهم الله تعالى ويُقبل عليهم في كل وقت وحين.

نسأل الله أن يحفظنا من الرياء والمرائين أجمعين، وأن يجعلنا مع عباده المخلِصين، وأن يجعلنا من عباده المخلَصين.

---

٣٥ معجم الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه

١٤- مرض الكِبر

س: أعظم مرض فى طريق الله مرض الكِبر، وهو سبب حرمان القلب من تذوق زاد الصالحين، فما كيفية الوقاية منه وعلاجه؟

داء الكِبر إذا كان في قلب أي مريد ولو ذرة منه لا يذوق ما ذاقه الصالحون، ولا يتحصَّل ولو على ذرة من مدد النبي ﷺ، ولا على بعض ذرة من فضل الله تبارك وتعالى، لأن الله كتب على الجنة العاجلة والآجلة ما قال فيه ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[٣٦]

ويقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ:

ألا مـن يكـن في قلبـه بعـض ذرة مـن الكِـبر والأحقـاد مـا هـو ذائـق

والكِبر أن يرى الإنسان نفسه خيراً من غيره، وهو مرض إبليس عندما أمره الله تبارك وتعالى أن يسجد لآدم، فقال كما قال الله: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (ص) فظن أنه خيرٌ منه!!

فهذا الكِبر الذي طُرد بسببه من جنة الله ورحمة الله تبارك وتعالى.

فمن ظن في طريقنا أنه خيرٌ من أصغر أخ له في الطريق، إن كان لعلم وهبه له الله، أو حصَّله بطريق الدراسة، أو لصوت نديٍّ وهبه له الله، أو لوظيفة كرَّمه بها الله، أو لمال أغناه به الله، أو لأي موهبة ظن أنه انفرد بها عن جميع من حوله من خلق الله، فهو بعيدٌ كل البعد عن زاد الصالحين، ومائدة النبي الأمين، وفتح رب العالمين تبارك وتعالى.

ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

((كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه والشر في إخوانه))

ولكن المؤمن يرى الخير في إخوانه دوماً، فإن كان عالماً وهم جهلاء، قال: هم خيرٌ مني لأن الله يحاسبني حساباً عسيراً شدياً، ويحاسبهم حساباً يسيراً.

---

٣٦ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وإن كان جاهلاً قال: العلماء خيرٌ مني، لأن الله وهبهم العلم وإذا أحب الله عبداً فتح له باب العلم ووهبه إياه.

وإذا كان محسناً في العبادات قال: ربما دخلتها بعض الشبهات كالرياء أو قلة الإخلاص فمنعتها من القبول.

وإذا رأى مذنباً قال: ربما يتوب الله عليه في لحظة ويقربه وليس عنده ﷻ إعجازٌ في ذلك، لأن الله ﷻ لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فنظرةٌ منه تجعل الكافر ولياً، والشقي تقياً إذا نظر إليهم نظر ود وحنان تبارك وتعالى، وشواهد التاريخ والسير تشهد بذلك كثيراً.

وإذا كان شريفاً وغيره غير شرفاء، قال لنفسه: لقد قال إمام الرسل والأنبياء لأئمة الشرفاء:

{ يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا }٣٧

ولا يخلص الإنسان من مرض الكِبر إلا إذا لازم المرشد الرباني حتى يوقفه على حقيقته الأصلية، ويقف عندها، ويداوم على النظر إليها على الدوام، فيعلم أن حقيقته في البدء كانت من الطين، أو من التُرب، أو من الماء المهين، والطين والُترب والماء المهين لا يسمعون ولا يبصرون ولا يتحركون، فيردد دائماً قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ (مريم) وكما قال في سورة الدهر:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإنسان).

أي أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم جعلناه سميعاً بصيراً!! فكل ما زاد عن الطين فهو جمالٌ من رب العالمين ... ليس لي، وإنما هي أمانةٌ أحملها عن الله ...

لأعمل فيها وبها بما يرضي الله، فأنال المقام العظيم عند الله تبارك وتعالى.

---

٣٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

هذا الأصل يقف عنده الصالحون دائماً وأبداً، ولذلك كان الإمام أبو العزائم ﷺ يُعلِّم المريدين أن يخاطبوا أنفسهم قائلين:

يا أيها الماء المهين من الذي سوَّاك ... ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاك
يا نطفة بقرارها قد صورت ... من ذا الذى بحنانه يرعاك
يا صورة من حسنه قد جملت ... من ذا الذى بجماله حلاك
يا أيها الإنسان صرت مقرباً ... من الذى بشهوده رقاك
ومن الذى بألست أسمعك الندا ... ومن الذى بوصاله ناداك
ومن الذي تعصى ويغفر دائماً ... ومن الذي تنسى ولا ينساك
ومن الذى شق العيون فأبصرت ... ومن الذى بظهوره أعلاك
ومن الذى يدنو إليك بفضله ... وإذا سألت جنابه أعطاك

هذه الأبيات العظيمة يكررها الصالحون دوماً على أنفسهم :

حتى يقول في النهاية:

علمت نفسي أني كنت لا شيء ... فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنزه صرتُ الآن موجوداً ... به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا؟ عدمٌ الله جملني ... فصرت صورته العليا بلا نيل

ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

((لا يشفي الإنسان من مرض الشرك الأكبر والأصغر؛ إلا إذا رجع إلى حقيقته الأصلية وهي : أنه من طين أو من تراب أو من ماء مهين))

ولذلك يرده الله إلى ذلك دائماً:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ (الطارق)
﴿ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ (الملك)

دائما يرجعون إلى هذه الحقيقة، وهي التي تُخلِّص الإنسان من أوحال التوحيد، وتُخلِّصه من داء إبليس وهو الكِبر ....

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُطهرنا من الشرك الأصغر، ومن الكِبر والرياء، ومن كل داء يباعد بيننا وبين الأحبة، وبين القرب من رب البرية.

١٥ - النَّفس الأمَّارة

س: ما طبيعة النفس الأمَّارة بالسوء؟

النفس الأمارة بالسوء ذكرها الله ﷻ على لسان امرأة في موضع في قرآنه تبارك وتعالى، يُوحي بأن الله لا يُحبها، ولا يُحب المشغولين بقضاء شهواتها، فقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (٥٣يوسف) لم يقُل إن النفس لآمرة، لأنه لو قال (لآمرة) فهي تأمر بالشر وبالضُر مرة واحدة وتنتهي، ولكن قال الله: (لأمَّارة) بصيغة المبالغة، يعني لحوحة لا تكف عن الأمر بالمعاصي، وعن الأمر بقضاء الشهوات، وعن الأمر بالوقوف دائماً وأبداً في مواطن الغفلات، وعما يُغضب الله تبارك وتعالى في كل الأوقات.

فإذا أمرت صاحبها بأمر ولم يلتزم أمرته بغيره وانتقلت إلى سواه، ولا يزال هناك صراع بين الإنسان المؤمن وبين النفس الأمَّارة حتى يُحيي الله ﷻ فيه النفس الملهمة، فتُلهمه بواردات إلهية تعينه على مجابهة هذه النفس الأمارة، إن كانت إبليسية، أو كانت شيطانية، أو كانت حيوانية، أو كانت جمادية، ليعمل بما يُرضي الله ويخذُلها ولا يستجيب لها طمعاً في مرضاة مولاه تبارك وتعالى.

وإذا جاهد في ذلك وواصل ذلك، رقَّاه الله تبارك وتعالى إلى النفس المطمئنة التي تطمئن بذكر الله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد).

تطمئن بطاعة الله، وتطمئن بحُسن الإقبال على الله، وتطمئن بمصاحبة الصادقين، وتطمئن بمجالسة الصالحين، وتطمئن مناماً برؤية أنوار الأنبياء المرسلين والصالحين، وأخيراً برؤية سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

وطبيعة النفس الأمارة هي التي تقود الشهوات التي تُوقد في الإنسان، شهوة الطعام، وشهوة الشراب وشهوة الزيّ واللبس وشهوة النكاح والنساء وشهوة المناصب، وشهوة المكاسب، وشهوة المال، وشهوة حب الدنيا .. وغيرها من الشهوات، هذه النفس الأمارة هي التي تُؤجج في صدر الإنسان الرغبة في الحصول على هذه الشهوات، ولو من أي طريق، ولو كان طريقاً حرَّمه الله في قرآنه، وحرَّمه النبي ﷺ في بيانه.

وجمع الله ﷻ هذه الشهوات الثمانية في قوله:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (١٤آل عمران).

فتصرف النفس الإبليسية الأمارة بالسوء يكون بتزيين هذه الشهوات للإنسان، بحيث تكون كل همه، وهي التي يسعى من أجلها، وهي التي يكافح في سبيل الوصول إليها ونيلها، ولو من حرام.

ولو نظرنا في قرآن الله، وفي سُنَّة حبيب الله ومصطفاه، فإن الله تبارك وتعالى لم يحرمنا من شهوة من هذه الشهوات، ولكن وضَّح لنا كيفية الحصول عليها من الحلال، فلا نترك الطريق الحلال ونحصل عليها من الحرام، مع أن الله ﷻ وعدنا أن كل من ترك شهوة عُرضت عليه في الحرام، سيبدله الله تبارك وتعالى خيراً منها في الحلال، وأعطانا أمثلة ونماذج لا تعد ولا تُحصى، منها في كتاب الله، ومنها في صحابة رسول الله، ومنها ما حدث مع أولياء الله الصالحين أجمعين، نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون منهم أجمعين.

فإن يوسف نبي الله لما عَرضت عليه زُليخه نفسها في الحرام، وحفظ نفسه، وأبرأ نفسه من الوقوع فيما يُغضب الله وقال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (٢٣يوسف) كانت النتيجة أن الله تبارك وتعالى بعد أن أعزَّه إعزازاً بليغاً، وحكَّمه في مصر كلها، وجعله عزيز مصر، وكان يمشي في موكبه ورأت زليخة يوسف، وكانت قد كبرت في السن وشاخت وذهب جمالها، فأمرت من بجوارها أن يُعرِّضها ليوسف، فعرَّضها له، فعرفها، فسأل الله تعالى أن يردها إلى شبابها، فردَّها الله إلى شبابها، وردَّ لها جمالها، وتزوجها في الحلال، لأن الله ﷻ وعد وهو لا يُخلف الميعاد أن كل من ترك شيئاً في الحرام أبدله الله تعالى خيراً منه في الحلال.

وهذا يجعل الإنسان المؤمن الحريص على دينه وعلى رضاء ربه، لا يُقبل على عمل إلا بعد العلم، فيعلم أولاً، ويتعلم من أهل الذكر إن كان لا يعلم الحلُّ والحُرمة، قال ﷺ:

{ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ }[٣٨]

فيربأ بنفسه عن الوقوع في الحرام إن كان في مطعم، أو كان في مشرب كخمر أو مخدرات أو مسكرات أو ما شابه ذلك، أو شهوة نساء، أو أي شهوة من الشهوات، لا يُحاول أن يتوَّصل إليها بطريقة حرام، أو بشيء من الذنوب والآثام، ويرفع قلبه إلى الله

٣٨ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

يدعوه بتضرع أن يرزقه بخير منها في الحلال، فإن الله ﷻ يستجيب له في الوقت والحال، ويرزقه خيراً منها، قال ﷺ في النظرة المحرمة:

{ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }[٣٩]

ومن ترك مالاً عُرض عليه في الحرام، أغناه الله ﷻ من فضله، وأعطاه مالاً يتعجب منه أصحاب الأموال، أي يُرزق هذا ولا نعرف له باباً واسعاً للرزق الذي هو فيه، فقد ورد في بعض الأثر عن الله تعالى: **((ما كان لك سيأتيك على ضَعفك، وما ليس لك لن تناله بقوَّتك، وعزتي وجلالي لأرزقن من لا حِيلة له، حتى يتحيَّرَ أصحابُ الحِيَل))** وأيضاً: **((إني أرزق الضعيف من القوي حتى يتعجب القوي))**.

فمجاهدة النفس الأمارة يكون أولاً بعلم ما أحلَّ الله وما حرَّم الله، وتكون ثانياً بمصاحبة الصادقين والجلوس معهم في كل وقت وحين، ولذا قال الله تبارك وتعالى لنا أجمعين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩)التوبة) وحذَّرنا من مجالسة الظالمين، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (١١٣)هود) والركون هو الميل بالقلب ... يعني إياك أن تميل بقلبك يوماً أن تكون كفلان الظالم، إن كان ظلمه في منصبه، أو ظلمه لنفسه في الحصول على الأقوات، أو ظلمه لنفسه في معاملته للخلق، أو أي ظلم، فإياك أن تميل إليه بقلبك.

وكذلك لا تقعد مع هؤلاء ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٦٨)الأنعام) فإذا ابتعد الإنسان عن مجالسة الظالمين، وحفظ قلبه من الميل إلى أعمال الظالمين، وتحصَّن بالعلم، وعرف الحلال والحرام، وصاحب الصادقين والمتقين، فإن الله ينصره على نفسه نصراً مبيناً، ويحظى بفضل الله، وإكرام الله، وتوفيق الله تبارك وتعالى له على الدوام، وينجو من النفس الأمارة وجنودها: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١)الزمر).

أسأل الله تبارك وتعالى ... أن يُعيننا على أنفسنا وينصرنا عليها نصراً عزيزاً، ... وأن يبّلغنا المراد، ... وأن يمتعنا بمجالسة الصالحين والأفراد، ... وأن يحفظنا من مجالسة أهل الكفر والشرك والمعاصي والعناد.

---

٣٩ الحاكم في المستدرك ومسند الشهاب عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

١٦- التخلص من الصفات البشرية

س: كيف أتخلص من الصفات البشرية؟

التخلص يكون ليس من كل الأوصاف البشرية، ولكن من بعض الصفات البشرية التي تؤثر على الطاقات الروحانية والملكوتية التي تؤخرني عن القرب من رب البرية ﷻ، والتي تعوقني عن السير في المنازل العلوية، وموافقة النفس الملكوتية، حتى أصل إلى مقام القرب من رب البرية ﷻ.

وكيف يكون هذا؟ بأن أعلو وأتسامى بالأوصاف البشرية، فلا تكون هي كل همي، ولا كل شغلي، ولا تكون هي شغلي الشاغل.

شهوات البشرية

فالبشرية ما شهواتها؟ وما طلباتها؟

الطعام والشراب والنكاح وحب الظهور والعُلو في الأرض:

فأنا أتسامى بهذه الرغبات، لا أمنعها لأني أحتاجها، ولكن لا أجعلها في الدرجة الأولى من اهتمامي، ولا هي محط شأني وكل موضع نظري، وأرجع فيها إلى الشريعة المطهرة وأطبق الأحكام الشرعية، والأوصاف التي كانت عليها الحضرة المحمدية في التعايش مع هذه الأوصاف البشرية، يعني كمثال، لا غنى للجسم أو للبشرية عن الطعام، ولكن عندما يكون الإنسان في الحياة الدنيا كل همه في شهوة الطعام، تجده في الصباح قبل أن يخرج لعمله مشغول بطعام الغذاء، وقد يتصل بزوجته يسألها عن أنواع الطعام، وكل همه في نوعية وأصناف الطعام، لكن هذا الأمر كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ }[٤٠]

هذا الطعام أنا أريد ما يقيم به أَوَد الإنسان، ويحفظ جسم الإنسان من الفناء ويجعله صالحاً لطاعة خالق الأرض والسماء ﷻ.

---

٤٠ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي رضي الله عنه

فنحن جئنا لعبادة الله وطاعته، وأنا أُعطي الجسم ما يعينني على بلوغ ذكر الله وشكره وحسن عبادته، ولا يأخذني بزيادته إلى المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن، يقول الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: ما شبعت بطن إنسان إلا وهمَّ بالوقوع في معصية.

عندما أعطيها كل حظها من الطعام فإن الأوردة والشرايين تملئ بالدم فيُفكر الإنسان في معصية الله تبارك وتعالى، لكن أنا أعطيها ما يقيم الأودُّ ولا يجعلها تتحول إلى وجهة المعاصي.

الخلاص من العوائق

فالتخلص من الأوصاف البشرية التي تعوق الإنسان عن الوصول إلى المقامات العلية لخصها السادة الصالحين، وقالوا:

- لا يأكل الإنسان إلا عن ضرورة!، ولا ينام إلا عن ضرورة!
- وألا يغفل عن ذكر مولاه طرفة عين ولا أقل ..
- وأن لا يُكثر الجلوس مع الغافلين:
  - إذا أراد الجلوس يجالس الصادقين، ويجالس الذاكرين، ويجالس المقربين، ويجالس الروحانيين.

هذه العناصر الأربعة التي جمعها سادتنا الصالحين وقالوا: **هذه عناصر الطريق لمن أراد يتخلص من عوائق الجسم التي تعوقه عن القرب من الله ﷻ.**

إذا قويت الروح بذكر الله، ومجالسة العارفين والروحانيين والصادقين من رجال الله، فتجذب الروح الجسم:

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلى المنازل

- الجسم يريد أن يجذب الروح إلى أسفل في أرض الشهوات، كالطعام والشراب والنساء واللهو واللعب ...
- والروح تريد أن تشد الجسم إلى منازل أعلى، كمجالسة الملائكة، والحديث مع أرواح الصادقين من الأنبياء والصديقين والصالحين، والارتفاع والتحليق في الآفاق العليا في ملكوت رب العالمين، فالاثنان يريدان أن يشداً بعضهما.

من الذي يرجَّح كفة أحدهما؟

أنت!! ... كيف؟

أنت من يقوي جهة من هذه الجهات!!

فإذا قويت الجسم، وهمك كله أن تعطيه كل ما يشتهيه من طعام وشراب، وشهوة الجماع التي أصبحت مطلباً حتى للكبار، فيشتري منشطات، والزوجة قد تكون كبيرة في السن، ولم يعد عندها قوة لهذا الأمر، فتحدث المشاكل، ولو بحثت في مشاكل كبار السن ستجد كثير منها بسبب هذه العملية.

فأنت يأخي في عمرك هذا المفروض أنك تساميت عن هذه الأمور، وأصبح همك كله تلاوة كتاب الله، والإكثار من ذكر الله، والرغبة الشديدة في رؤية حبيب الله ومصطفاه، وتبحث عن الوسيلة التي توصلك إلى ذلك.

لكنه قوَّى الجسم والنفس على حساب الروح، فالروح أصبحت مهضومة الحقوق، وهو أيضاً حبسها في الجسم فلا تجد لها مُتنفَّس، ومتنفسها فيما ذكرناه، فهو منعها عن كل هذه الأشياء وشغلها بشهوات الجسم.

أنت تريد لقاء الله، وتستعد لوجه الله، أو لقاء حبيب الله ومصطفاه، فيجب أن تؤهل نفسك لهذه المنزلة.

رفقاء السوء

مثال آخر: ضحك عليه جماعة من رفقاء السوء، عندهم وقت فراغ فيجلسون مع بعضهم، ففي أي شيء يتكلمون؟

في القيل والقال، ... ويشغلوا الوقت كله في إضاعة رأس المال ... إذا كنت قد جمعت رأس مال من الصالحات في عمرك الماضي، وله قدرٌ ومقدارٌ عند الله، فكله أوزعه، لأن كل من أتكلم في حقه بكلمة لا بد أن يخرج له من رصيدي حسنات تُحوَّل إلى رصيده توازي هذه الكلمة.

وهو مسكين لأنه يوزع في رصيده هنا وهنا وهنا، حتى إذا جاء الموت يكون قد أفلس، ويأتي يوم القيامة وهو من المفلسين، لأنه ضيَّع وقته الذي هو أغلى شيء في الوجود في هذا الذي ذكرناه.

وقد يزيد الأمر سوءاً بسبب صحبة هؤلاء !!!

فقد يسألوه: ماذا تشرب؟ فيقول: أنا لا أشرب، فيقولون له: متع نفسك في الدنيا قبل أن تتركها، ويعرضون عليه شرب السجائر مثلاً، فبعد أن شاب وبلغ الستين المفروض أن يعتذر لرب العالمين، لكنه يرجع ليشرب ما يغضب رب العالمين ﷻ ..

وهذه مصائب موجودة في المجتمع ونختار كيف نعالجها؟.

بدل من أن يشرب في هذا الوقت:

﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإنسان)

أو يشرب من: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ (﴿١٥﴾ محمد)

إذا غلب الروح وظهر له الفتوح، لكنه سيحرم نفسه المسكين، ويعيش في الطوب والطين، ويشرب ما يغضب به رب العالمين، ويشتري جهنم بفضل الله الذي آتاه، وأمره بإنفاقه على أولاده ليرضيهم ويرضي مولاه تبارك وتعالى في علاه، وهذا الإنسان الذي غلَّب شهوات الجسد على طلبات الروح.

فالأمر باختصار أن روح الإنسان تجذب الجسم إلى المنازل العالية، والجسم يحجب الروح ويردها إلى السفل في المنازل الدانية.

التسامي برغبات الجسم

وأنت لتتخلص مما يعوقك عن الوصول إلى الله من الجسم فتتسامى بطلبات الجسم، وتمشي فيها على منهج حبيب الله ومصطفاه ﷺ ..

سيدنا رسول الله ﷺ على سبيل المثال: هل حرَّم نفسه من مطاعم أحلها الله تبارك وتعالى للمؤمنين وجعلها طيبة لهم؟ لا! ...

فماذا حرَّم؟ ... الخبائث التي نهى عنها الله ﷻ: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (﴿١٥٧﴾ الأعراف) ... لكن الطيبات: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ (﴿٣٢﴾ الأعراف).

ولكنه كان يأخذ منها بالقدر الذي لا يشغله لحظة عن طاعة مولاه تبارك وتعالى، كيف؟ هذا هو الميزان:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[٤١]

ما قدره يا رسول الله؟ قال:

{ مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ }[٤٢]

إياك أن تضع في بطنك أكثر من الثُلث، ولا تأكل حتى تجوع ثانية، وسبحان الله! هذا منهج الطب العصري، فالذي يريد صحة بدنية تامة في العصر الحاضر يقولون له: تناول الطعام في النهار خمس مرات، ولكن أشياء خفيفة، ولا تأكل وتملأ البطن، لأنك لو أكلت وملأت فإن العروق تمتلأ بالدم، فيريد الجسم أن ينام، أو يريد أن يفعل معاصي تخالف بها الملك العلام.

لكن إذاوضعت في بطنك شيء خفيف، فإن الروحانية تصبح عالية، لماذا؟ لأنك مشيت على منهج رسول الله ﷺ.

تريد أن تعطي للجسم شهوة الجماع، فأعطيها له لأقوم بحق الزوجة التي أمرني الله ﷻ أن أوفيها حقها، لكن لا أجعل هذا الأمر هو شغلي الشاغل، ولا أركز فيه على الدوام، ولكن يكفي مرة كل حين، لأن شغلي الشاغل إرضاء الله، والعمل الموصل لرضاه، ومتابعة حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولذلك كان سيدنا رسول الله أحياناً يصوم عن كل شيء أياماً متتالية، ... لا طعام ولا شراب ... ولا نساء ... ولا غيره، لماذا؟

لأن النفس سلمت، والبشرية سلمت، وأصبح ﷺ بتغليبه للروحانية هي المتحكمة في هذه المملكة الإلهية، ... فخلص من كل العوائق التي تعوق عن القرب من الله، وأصبحت هذه المملكة كلها خاضعة لما يرضي الله، ... وما يرفع الرتبة عند حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

---

٤١ زاد المعاد والبداية لابن كثير

٤٢ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي رضي الله عنه

١٧- التخلي والتحلي

س: ما معنى قول الإمام أبي العزائم رضي الله عنه:

واخلع سوانا في الجمع طُراً فالخلع يهدي والجمع يُفنى

الطريق إلى الله تبارك وتعالى في كل مراحله وفي كل أطواره لا بد له من أمرين، لا بد من التخلية حتى تأتي التحلية، فلا يصح أن أتحلى بدون أن أتخلى.

وأضرب مثال، فأنا أريد أن أتشبه بسيدنا رسول الله ﷺ في أخلاقه القرآنية، لأنها باب الفتح والقرب من رب البرية، فالعُبَّاد يعتقدون أن باب الفتح عندهم قيام الليل، وصيام النهار، والإقبال على العبادات اللسانية من تلاوة القرآن والأذكار وغيرها، لكن هذه أذكار تفتح لك أبواب الجنة في الآخرة إن شاء الله، وتعطيك ما تريد بل أضعافاً مضاعفة من نعيم الجنة، إذا كنت تطمع في قصر سيعطوك قصور، وإذا كنت في بستان سيعطوك بساتين، فهي تفتح أبواب الجنة.

لكننا نريد أن نفتح أبواب القرب وأبواب الفضل وأبواب المنة، فمن يريد هذه الأمور تكون عينه على الحبيب، ويقتدي به في خاصة أحواله، وليس في الأعمال العامة، فالعوام كلهم يقتدون به، لكن يقتدي به في خاصة أحواله التي مدحه بها الله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم).

هذه أعلى شيء مدحه وأثنى به عليه الله تبارك وتعالى، مع أنه شهد له بأنه أول العابدين، والعابدين كثير، فداود كان من العابدين، وأنبياء الله كلهم كانوا من العابدين، لكن أنت وحدك أمير الأخلاق حتى لكل الأنبياء والمرسلين ﷺ.

أنا أريد أن أتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ، فلا بد أولاً أن أتجرد من أخلاقي التي فيَّ، إن كان فيها قبس من الأخلاق الإنسانية، أو قبس من الأخلاق الحيوانية، أو قبس من الأخلاق الإبليسية، وغير ذلك.

الأخلاق الحيوانية كحب الطعام والشراب والجماع زيادة عن اللازم، والأخلاق الإبليسية كحب نقل الكلام من فلان لفلان، وهذا عمل إبليس لأنه يصنع الفتن، وهذا

لا يجوز في طريق الله ﷻ، أو أستخدم أسلوب الحيلة والمكر في الحصول على أحوال الصالحين والمتقين.

فماذا أعمل؟

أتخلص من كل هذه الأخلاق والأعلاق، لأُجمل نفسي بجمال الحبيب المصطفى ﷺ في الأخلاق، إذاً:

التحلي بالتخلي بعد محوي لمحلي
واتصالي بانفصالي عن سوى مجدي وأصلي

لابد أن أنفصل عن كل هذه الأمور ... لأتصل بالحبيب المحبوب ... المقرب لحضرة علام الغيوب ﷻ.

الإمام أبو العزائم ﷺ كان أحياناً يتكلم بلسان الحضرة الإلهية، يعني لو رقَّ الزجاج، وراقت القلوب والأرواح، فإنها تسمع هذا الكلام من الكريم الفتاح، وإن كان على لسان أبي العزائم.

كلنا نسمع القرآن ممن؟ من قارئ، لكن هناك فينا من يغيب عن القارئ ويسمع الكلام من مُنزل الكلام تبارك وتعالى، لأنه عندما يقول القارئ:

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ (١٣-١٤طه) فهل أعبد القاريء؟! لا، ولكنه يعبر عن رب العالمين تبارك وتعالى.

وهذا المشهد الأدنى، أما المشهد الأعلى فأنا أسمع الكلام من مُنزله تبارك وتعالى، وفي هذه الحالة تغيب البشرية، ويظهر ما فيَّ من قوى روحانية إلهية، وتسمع الأرواح من الكريم الفتاح، وهي في الأصل نفخة من نوره تبارك وتعالى، فبنوره سمعت إلى نور كلامه وأنا غير موجود.

وكان أحياناً يتكلم على لسان رسول الله ﷺ، وكان بعض الأحباب يشهدوا هذه المشاهد العالية فضلاً من الله تبارك وتعالى عليهم.

أحد الأحباب كان في مدينة السويس، وكان متيم بالإمام أبو العزائم، ويتعجب، من أين يأتي الإمام أبو العزائم بهذا الكلام؟ فيكونوا جالسين معه، ويجدوه غاب عن الحاضرين ونطق اللسان، ويُملي في الوقت نفسه عشرات القصائد، ولم يراجعها من ناحية

اللغة، ولا من ناحية القافية والوزن، ولا من ناحية الموضوع، والكلام يأتي بسهولة!.

ولأن الكلام إلهامٌ من الله، كان الله تبارك وتعالى يُهيئ له من يسجله في الوقت والحال، حتى أنه كان بعض الأحباب يذهب ينام تحت سرير الإمام أبو العزائم عندما يدخل ينام، حتى يكتبوا ما يقوله من قصائد، لماذا؟ لأن العارفين أكثر ليلهم يكون يقظة، يعني نومهم لحظات خفيفة، ويعود مرة ثانية للصحو واليقظة، ويكونوا في عوالم روحانية نورانية، وهو كان عندما ينزل عليه الإلهام ينور كله، فكانوا يكتبون على نوره، لأنه لا يوجد نور في الحجرة، فقال لهم ذات مرة:

أنا لو أغني في الخفا لتكلمت أحجار هذا البيت عن كلماتي

إياكم أن تظنوا أنكم وحدكم الذين تؤدوا شيئاً عظيماً، فهذه الحجارة ستبلغ إن كنتم غير موجودين، لماذا؟ لأن هذه إلهامات من الله نازلة لعباد الله تقريباً من الله لعباده المقربين والمؤهلين والمطلوبين لهذا الفتح المبين.

فهذا الرجل عندما رأى هذه الحالات العظيمة للإمام أبو العزائم وتعجب منها، ذهب ونام، فرأى في منامه الإمام أبا العزائم جالساً على مسرح كبير، وخلفه ستارة، وخلف الستارة كرسي جالس عليه سيدنا رسول الله ﷺ، وكلما نطق سيدنا رسول الله ﷺ بعبارة، فإن الإمام أبا العزائم يعيدها ويرددها، وإذا سكت يسكت.

ففرح بهذه الرؤيا، وسافر إلى القاهرة يريد أن يفرح الإمام أبو العزائم، وكان في نظره أنه رأى كذا وكذا، وأن الشيخ له قدر كبير وعظيم لا يعرفه وهو يريد أن يعرفه، فذهب ووجد الإمام أبا العزائم جالس في وسط الأحباب ويشرح بعض الدروس، وعندما دخل إذا بالإمام أبو العزائم ﷺ يقطع الدرس ويقول:

لولا ولولا ولولا عهدٌ وثيقٌ لمولى
لكشفت عني حجابي وبحت بالسر قولاً
لست المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى
أغيب عني وأملي لمن بسري تحلى
إن كان ما قلت نوراً فالسر أعلى وأغلى
يُعطى لفردٍ مراد عن كل غيري تخلى
باع النفوس ومالاً حتى به صرت أولى

قال مرة بلسان الحضرة الإلهية:

واخلــع ســوانا في الجمــع طُــراً فــالخلع يهــدي والجمــع يُــدني

يعني ما دمت ترقى وتطلب القرب من حضرة الله ..

فإن الله تبارك وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك!!! فلا يريد في القلب سواه:

لا تعلــق بالقلــب غــير إلــه قــد تجــلى في العــالمين هُــداه

تريد القرب من الله: ... وموضع القرب هو القلب:

والقلب مملوء بحب الدنيا، وحب الشهوات، وحب الأهواء، وحب الزوجة الزائد عن الحد، وحب الأولاد الشاغل عن طاعة رب العباد، وحب المناصب والسعي وراءها لنيل المكاسب .... فهل ينزل في قلب مملوء ومشغول؟! لا!!!!

أنت تريد الله ... فلا بد أن تفرغ القلب مما سوى حضرة الله:

فــرِّغ القلــب مــن ســوانا ترانــا يــا مريــداً جمالنــا وبهانــا

لا بد أولاً أن تخلع وتفرغ كل ما في القلب من مشاغل كونية تباعد بينك وبين القرب من الحضرة الإلهية.

هل يعني ذلك أن أترك حقوق الزوجة وحقوق الأولاد وحقوق العمل وحقوق الأب والأُم والأهل والأقارب؟

لا، لم يقُل هذا أحد !!!

لكن حقوقهم تقوم لهم بها بالجسم، لأنهم لا يريدون غير الجسم !!!

لكن ليس لهم شأنٌ بالقلب.

فأنا أقوم لهم بالواجبات التي كلفني بها الله، والمسؤليات التي أمرني بها رسول الله!

لكن القلب يكون صافياً وخالصاً لحضرة الله !!

وهذا هو الجهاد الشديد:

والجهاد الصعب العتيد، الذي لا يقوم به أي فرد إلا بمعونة وتوفيق من الحميد المجيد ﷻ، تقول فيه السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها مخاطبة حضرة الله:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل مؤانسٌ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

فلا بد أن نخلع كل ما سوى الله، نسميها السوى، أو نسميها الأغيار، أو نسميها الحجب، أو نسميها الموانع، كلها أسماء تدل على دلالة واحدة هي كل ما يباعد بيننا وبين القرب من حضرة الله ..

ونقوم بأكمل الواجبات التي كلَّفنا الله بها أكثر من أهل الدنيا وأهل الشهوات في القيام بها، وهؤلاء هم الرجال.

فلكي أترك عيالي وأترك زوجتي وأترك حالي وأترك أرزاقي، وأذهب لله في الصحراء أو في خلوة أو هنا أو هنا، فأكون نصف رجل وليس رجل، حتى ولو كان لي كرامات، لأني تركت كل مصالح الجسم، ولم أقتدي فيها برسول الله ﷺ.

لكن الرجل الذي يقتدي برسول الله ﷺ ظاهراً في أحواله الظاهرة، وباطناً في أحواله النيرة مع حضرة الله تبارك وتعالى، فهذه حقيقة الرجولة التي يقول فيها الله:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ ﴾ (٢٣الأحزاب).

تسأل عنه زوجته فتقول لك: يوفيني جميع الحقوق، ولا أحد مثله!

وتسأل عنه أولاده فيقولون: أحسن تربيتنا وتهذيبنا وبلَّغنا إلى أعلى المناصب والمراتب الدنيوية، ولم يشغله ذلك عن رب البرية.

وفي عمله باب رزقه، تجده أكفأ من يقوم بهذا العمل بين العاملين أجمعين، ولا يشغله عن ذكره لله بقلبه وقربه لحظة ولا أقل!!

ما هذا؟

هذا هو الإعجاز الذي كان عليه أصحاب حضرة النبي، والذي نحاول أن نتشبه بهم، ونوقظ في النفوس أحوالهم، حتى يعرف الناس أن هذا الدين هو الدين المتين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُلحقنا بالصالحين، وأن يرزقنا حُسن التخلق وحُسن الإتباع لسيد الأولين والآخرين.

١٨- سلامة الصدر

س: كيف يتحقق المؤمن بسلامة الصدر نحو أخيه المؤمن؟

أعظم خُلُق يتخلق به كُمَّل الصالحين في كل وقت وحين، نوَّه عنه إمام الأنبياء والمرسلين هو قوله ﷺ:

{ إِنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَلا صِيَامِهِمْ، وَلَكِنْ دَخَلُوهَا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ، وَسَخَاوَةِ أَنْفُسِهِمْ }[٤٣]

والبُدلاء ما يُسمون في عُرف القوم بالأبدال ..

وهم الذين يُبدل الله أوصافهم:

بأوصافه العلية، أو بأوصاف حبيبه النورانية، حتى يكونوا على أخلاق الله، وعلى أخلاق كتاب الله، وعلى خُلق حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فإذا بدَّل الله صفاتهم، أبدل الله ﷻ ذواتهم!، فيجعل ظاهرهم نوراً، وباطنهم نوراً، ويجعلهم يتجولون بما فيهم من النور في عالم الظلمات !!!، فيقطعون الكون في لحظات.

وقد يكون للرجل منهم أكثر من هيئة في أكثر من مكان، وهذا أمرٌ خارج نطاق الوصف والإمكان، ولكنه جليًّا واضحاً لأهل القرب والعيان.

هؤلاء نالوا هذه المنزلة بسلامة الصدور !!

فهي الأساس الأول لأهل النور!

فإن الله ﷻ لا ينظر إلى صورنا، ولا إلى أموالنا، وإنما ينظر كما قال نبينا ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٤٤]

---

٤٣ شعب الإيمان للبيهقي

٤٤ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

فمحل نظر الله تبارك وتعالى من العبد هو القلب، والقلب الذي ينظر فيه الله هو القلب السليم الذي يقول فيه الله في كتابه الكريم:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء)

وقال فيه عن خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤ الصافات).

والقلب السليم:

- هو الذي فيه الود والرحمة والمحبة والحنان والإيثار والإخلاص والخشوع والحضور.
- فيه الود والمحبة والحنان والإيثار لكل المؤمنين !!
- وفيه الإخلاص والصدق والخشوع والحضور والتوحيد الخالص لرب العالمين.

فإذا مرض القلب :

- كان ما فيه نحو الخلق البغضاء، والكره، وتمني زوال النعم، وتمني نزول الداء، وتمني الهلاك على يد الأعداء، وغيرها من الصفات الذميمة التي ذمها الله تبارك وتعالى في قرآنه.
- وكان فيه نحو ربه تبارك وتعالى عدم الرضا عن حضرته، وعدم التسليم لأقداره، ومساءلته في كل وقت وحين، والمقارنة بين ما يعطيه وما يعطي غيره، وكأنه يريد أن يجعل نفسه حسيباً على الحسيب ﷻ.
  - وهؤلاء يقول الله في شأنهم:

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ ﴾ (١٠ البقرة)

وأمراض القلوب لا تكون إلا في المنافقين، الذين يقول فيهم ﷺ:

{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }[٤٥]

٤٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ويقول فيها ﷺ أيضاً:

{ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }[٤٦]

وفي رواية أخرى:

{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }[٤٧]

فلكي يكون المؤمن مرضياً عنه من مولاه، وله قبولٌ وجاهٌ عند حضرة الله:

- لا بد أن يطهر قلبه وظاهره من أمراض النفاق أولاً:

فلا يكون في قلبه بغضٌ ولا حقدٌ ولا حسدٌ ولا غلٌ ولا كرهٌ لأحدٍ من المؤمنين.

يقول الله في أوصاف هؤلاء في قرآنه الكريم:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)

فإن الله نزع كل ذلك من قلوبهم، وكذلك طهَّرهم الله من أخلاق النفاق والمنافقين، وأبدلهم بخلق سيد الأولين والآخرين، فيُخاطَبون بقول الله لنبيه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (١٥٩آل عمران).

وأعطانا الله ترمومتراً إيمانياً نعرف به المؤمن كامل الإيمان مِن المؤمن الذي ما زال يتردد بين النفاق وبين الإيمان، فقال ﷺ:

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ }[٤٨]

فجعل وجود الرحمة في القلوب علامة على القرب من حضرة علام الغيوب!

---

٤٦ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
٤٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٤٨ جامع الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

والذي لا يتراحم !! ولا يرحم الكبير، ولا يرحم الصغير، ولا يرحم الوالدين، ولا يرحم الجوعان، ولا يرحم المرضى، ولا يرحم ذوي الهموم، قال فيه ﷺ:

{ لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ }[٤٩]

وقال فيمن ليس في قلبه رحمة:

{ لا تُنزَعُ الرَّحْمَةُ إلَّا مِن شَقِيٍّ }[٥٠]

- فالأشقياء وهم الكفار والمشركون ليس في قلوبهم ذرة من الرحمة لخلق الله أجمعين:
  - وإن ادَّعوا أن عندهم رحمة بالحيوانات، وشفقة بالطيور، فهذا تظاهر في غير موضعه، فالأولى أن تكون الرحمة لمن جعله الله خليفة عنه في الأرض، وهو الإنسان في كل زمان ومكان.
- فالإنسان المؤمن دائماً يحرص على سلامة صدره، ويجاهد نفسه كل ليلة على الأقل إذا أراد أن ينام أن يحاسب نفسه على سلامة الصدر.

قال ﷺ لأنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }[٥١]

أسأل الله تبارك وتعالى أن يطهِّر قلوبنا من الزيغ، ومن النفاق، ومن الأمراض التي لا يحبها الله ولا يرضاها ...

وأن يجعل في قلوبنا وداً للمؤمنين، ورحمة وشفقة حتى على العصاة والمذنبين !!

وأن يجعلنا دائماً وأبداً من أهل سلامة الصدور الذين يعمهم بالنور.

---

٤٩ مسند أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه
٥٠ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه
٥١ جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه

١٩- ايقاظ القلب

س: ما الذي يُوقظ القلب من غفلته؟

الذي يوقظ القلب من غفلته أولاً سابقة الحسنى التي قدرها الله تبارك وتعالى للعبد، فإن العبد إذا كان في البدء من الذين قال في شأنهم الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ (٣٠فصلت)

فإن الله يرسل له من يوقظه من غفلته، إما بإلهام، وإما بتحديث أي حقيقة من الحقائق له، أو بفتح آذان قلبه لسماع خطاب موجه له، فيرعوي ويرجع عما كان فيه، ونسوق بعض الأمثلة على هذا المقامك

فالإمام الفضيل بن عياض ﷺ كان زعيم عصابة في قطع الطريق، وقطع الطريق كان منتشراً وقتها، لأن الناس كانوا يمشون ولم تكن عندهم وسائل مواصلات غير الركائب، وكان أيضاً مع قطع الطريق إذا لم يكن في الطريق مشاة يخططوا للسرقة من البيوت، فكان هذا عملهم.

فذات يوم من الأيام كان واقفاً على سطح منزل، ويوزع العمل على أفراد عصابته ليسرقوا محتويات بيت، وإذا به يسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (١٦الحديد) من الذي قرأ؟ الله أعلم، فلم تصل إلى آذان رأسه، ولكن وصلت إلى آذان قلبه، فقال: بلى!، آن يا رب، ولم يستطع الوقوف وجلس، لأنه أُخذ من الآية، وبعدها نزل، فالجماعة الذين معه ظنوا أنه قد أصابه شيء، فأخذوا يتبعوه، فقال لهم: أنا تائب إلى الله، وأنتم أحرار إما أن تتوبوا معي، أو تبقوا على حالكم، قالوا: لا نحن معك!

ماذا يفعل؟ عمل بما ورد عن رسول الله ﷺ، وما حكاه في قصة الرجل الذي كان يريد أن يتوب، والبلد التي هو فيها لا يشجعوه على التوبة، وأصحابه دائماً لا يتركوه على حاله، لأن هؤلاء شياطين الإنس، ماذا يفعل؟ شاور أحد الصالحين فقال له: اترك هذه البلدة، وابحث عن بلد طيبة حتى يعينك الله ﷻ على إتمام التوبة!! .. وكان في زمنه من يريد التوبة النصوح يترك بلده ودولته ويذهب إلى مكة حيث البيت الحرام ويقيم

هناك، وكان النظام المتبع هكذا، وكان ميسراً، فلم يكن في زمنه جوازات ولا تأشيرة، وكان الواحد يتنقل في البلاد كلها من الصين إلى بلاد المغرب، بدون أن يسأله أحد أين جواز سفرك؟ وما هويتك؟ فلم يكن هذا موجود ويتحرك كما يريد آناء الليل وأطراف النهار، فذهب إلى مكة وتفقه على المذهب المالكي، وحفظ القرآن، لأن حفظ القرآن مُيسر لمن صدق حتى ولو كان كبيراً في السن.

الإمام الكسائي وهو يُعتبر أعلم العرب بالنحو بعد سيبويه الذي أسس علم النحو، كان يعمل راعي غنم، وعنده أربعون سنة، وواحدة أرادت أن تحفظ ابنها القرآن والولد رفض الذهاب للحفظ، فقالت له: يا بني أنا أريدك أن تحفظ القرآن حتى لا تكون مثل هذا الرجل، وأشارت للإمام الكسائي، فأخذته الحميَّة وقال: أنا يُضرب بي المثل في الجهل!!، وعزم على طلب العلم وكان عمره أربعين سنة، وذهب وبزغ في العلم حتى كان أوحد زمانه في علم اللغة، وهو أصعب علم في العلوم، لكنه طلب العلم وعمره أربعون سنة لنعرف أنه ليس هناك مستحيل، مادام هناك عزيمة ماضية، وكل شيء يهون إن شاء الله تعالى.

الإمام الفضيل بن عياض ﷺ ذهب إلى الحرم، وكان في زمانه ساحة الحرم عبارة عن حلقات من العلماء والفقهاء والمحدثين وحفاظ القرآن، وكل واحد يجلس في الحلقة التي يميل إلى دراسة ما فيها من العلوم والفهوم، فحصَّل هذه العلوم ثم تفرغ للعمل بها، حتى بلغ شأواً من قاطع طريق إلى أن هارون الرشيد ذهب ليحج، وكان يحج عاماً، ويغزو بلاد الكفر عاماً، وهارون الرشيد كان صالحاً ويحب الصالحين، والإشاعات التي نشرها عنه اليهود والمستشرقين ليست صحيحة، أنه كان يغوي النساء والأغاني وغيره، فهذه كلها مكذوبة عليه لتشويه الرموز الإسلامية القوية، لكنه كان رجلاً عالماً وصالحاً، فحج إلى بيت الله من بغداد ماشياً على قدميه، لأنه رأى النبي ﷺ يدعوه لأداء الحج، فأصَّر أن يحج ماشياً على قدمية، وهو خليفة المسلمين ودولته من الصين إلى المغرب، وكان يأمر بإحضار الصالحين ويطلب منهم النصيحة، وعند القاء النصيحة تنهمر دموعه، دليل على أنه متاثرٌ بهذه النصائح ... فجاء إلى الحج وطلب من وزيرة أن يُحضر له بعض الصالحين الحاضرين في موسم الحج، فجاؤوا له بهم واحداً وراء واحد، وكلما جلس إلى واحد منهم وتحدث معه لا يجد عنده القبول ويعطيه هدية ويصرفه، والهدية كانت عبارة عن صرة من المال لأنه كان يكرم العلماء، حتى كان في قصره في بغداد إذا دعا العلماء يُصر على أن يمسك الإبريق بيده ويصب على أيديهم الماء قبل الطعام وبعد الطعام، مع أن عنده الخدم والحشم، لكن تكريماً للعلم والعلماء.

فبعد أن أحضروا له العلماء قال لهم: ألم يعد هناك علماء غير هؤلاء؟ فقالوا: لا، قال: ألا يوجد رجلٌ صالح؟ قالوا: لا يوجد غير الفضيل بن عياض الذي كان قاطع طريق، ولكنه لا يخرج من البيت لأحد، قال: نذهب نحن إليه، فذهبوا للفضيل في الليل، لأنهم كانوا حريصين على منزلة الخليفة، فدقوا الباب، فقال: من؟ قال الوزير: الربيع، قال: ومن معك؟ قال: أمير المؤمنين، قال: انتظر، وكان يشعل مصباحاً ليضيئ له، فأطفأ المصباح، فقال له: هارون الرشيد: لم أطفأت المصباح؟ قال: حتى لا أرى وجه ظالم، ما هذا؟! هذه العزة دائماً في كل زمان ومكان للعلماء العاملين!، فجعل هارون يبحث في الظلام حتى وضع يده في يده، وعندما وضع يده في يده قال له: ما ألين هذه الكف لو نجت من عذاب الله غداً، فأراد الربيع أن يكلمه بشدة، فقال له: دعه واستمع إلى وصيته!، وأراد أن يترك له في النهاية بعض الصرر المملوءة بالدراهم والدنانير، فقال له: ما هذا؟ قال: هذه لك تستعين بها، قال: أأنصحك وتغشني؟! لأن هذا مال المسلمين، ولكل مسلم فيه حق!.... أضرب هذا المثل لماذا؟

وإذا العنايــة لاحظتــك عيونهــا نــم فالمخــاوف كلهــن أمــانٌ

العناية أتته بآية قرآنية، كيف سمعها؟! ومن الذي قرأها؟! الله أعلم، إلى وقتنا هذا لم يُكشف هذا الأمر.

مثال آخر، وهو سيدنا إبراهيم بن أدهم ﷺ، وكان أبوه أميراً في بلاد فارس، وهو ابن الأمير ووارث الإمارة، وكان من عادة أبناء الأمراء أن يخرجوا يوم أو يومين للصيد، وهذا الأمر موجود إلى الآن في دول الخليج، فالخليجيين يذهبوا للهند أو يذهبوا لإيران، ويجهزوا الصقور التي دربوها والخيول التي جهزوها، وعندهم هواية الصيد في الصحراء، فكانت هذه هواية أيضاً الأمراء في ذلك الزمن، فكان راكباً الفرس، ومعه كل المعدات والأدوات للصيد، وأثناء سيره قيل أن السرج الذي يضعه على الفرس نطق وقال: يا إبرهيم ألهذا خُلقت؟! أم بهذا أُمرت؟! أنطق الله هذه الشيء الأصم، ليقرع قلب هذا الرجل، لأنه من أهل سابقة الحسنى عند الله تبارك وتعالى، ... فوراً قال للحرس الذين كانوا معه: مكانكم كما أنتم، وأنا سأسير لوحدي، وظل يمشي حتى وجد رجلاً راعي غنم لأبيه، فقال له: أعطني ملابسك، وخذ ملابسي، فأعطاه ملابس المُلك، ولبس ملابس راعي الغنم، وهام على وجهه طالباً القرب من مولاه تبارك وتعالى.

لقد كان أميراً، من أين يأكل؟ سمع حديث حضرة النبي:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }[٥٢]

فكان عنده وظيفة يأكل منها تنقسم إلى قسمين، إما أن يحصد الزرع في أوان الحصاد مع الناس بالأجر ليأكل منه، وإما أن يحرس الحدائق في بلاد الشام ويأكل من أجره، ولا يكون عالة على غيره، حتى بلغ المنزلة العليا وصار من الأقطاب في طريق الله تبارك وتعالى.

وفي هذا الباب حكايات لا تُعد ولا تُحد مملوءة بها دوواين الصالحين، تستطيعون الرجوع إليها لتروا فضل الله تبارك وتعالى على هؤلاء.

فأول شيء يوقظ غفلة القلب الإلهام الذي يأتي من الله إلى هذا القلب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف) من الذي يُذكِّرهم؟

الله !! ...

أحياناً يأتي الإلهام عن طريق قلوبهم، وأحياناً تأتي الرسالة عن طريق أي شيء في كون الله، حجر يتكلم، أو سرج الفرس يتكلم، أو أي شيء يتكلم، أو تكون موعظة بليغة من واعظ يكون ماراً به !! كما حدث في قصة سيدنا بشر الحافي ﷺ وأرضاه :

وكان رجلاً مُرفَّهاً وجالساً في بيته وحوله المغنيات ومعهم الآلات، وجاءه رجلٌ من الصالحين، ولكن معه إذن من رب العالمين، فلا يستطيع أحدٌ أن يذهب لهؤلاء إلا بإذن، فدق الباب، فخرجت له جارية، فقال لها:أين سيدك؟ قالت: في الداخل، قال ناديه، فجاء حافياً ليرى ما الأمر، فقال له: أبهذا أُمرت؟! فأفاق من هذه الكلمات!!!

هؤلاء الرجال معهم أحوال يوقعونها مع الأقوال، والذي يجذب ليس القال فقط، ولكن الحال الذي يشد الإنسان، لأن هذا الحال من الداخل، فالرجل مشى وتركه، ففوجئوا أن سيدنا بشر مشي خلفه مسرعاً حافياً، فجاءوا بحذائه وأسرعوا خلفه، فقال لهم: ما دمت قد اصطلحت مع ربي حافياً، فلن ألبس حذاء قط، وظل حافياً حتى لقي الله تبارك وتعالى.

---

٥٢ صحيح البخاري والبيهقي عن المقدام بن معدي رضي الله عنه

كذلك الذي يُوقظ القلب من غفلته:

- مصاحبة الصادقين، لأنهم سينصحوه، وقد يلوموه إذا وقع في عمل لا يُرضي الله، ويأخذوا بيده إلى طريق الله تبارك وتعالى.
- أيضاً الذي يُوقظ القلب أن يكون المرء مع وقوعه في الظلمات، إلا أنه يتحرى أن لا يدخل بطنه إلا اللقمة الحلال، لأنه إذا تغذى بالحرام فلن ينتفع بأي كلام، لا يسمع ولا يعي، لكن إذا تغذي بالحلال فأي كلمة تؤثر فيه وتقربه إلى خالقه وباريه ﷻ.
- وقد يوقظ القلب منامٌ يراه صاحبه إما من أحد الصالحين، وإما من الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.
- وقد يوقظ القلب أن يكون هذا الإنسان لا تؤثر فيه إلا الصدمات، فيبتليه الله في الوقت والحال بصدمة شديدة ترده إلى الله، فيكون له ابن عزيز أو ابنة عزيزة وغالية عليه، فيأخذها منه الله فوراً، كسيدنا مالك بن دينار ﷺ.

كان رجلاً من رجال الشرطة، ورزقه الله تعالى بابنة وأحبها حباً شديداً، فماتت البنت فحزن عليها، فرأى في المنام أن القيامة قد قامت، وأن هناك ثعبان ضخم يجري خلفه ليبتلعه، وهو يجري والثعبان يجري خلفه حتى أوشك على الوقوع في جهنم، وإذا من فيها يقولون له: ارجع فلست من أهلها، فرجع مرة ثانية فوجد رجلاً واقفاً ولكنه ضعيف، فقال له: امنع عني الثعبان، قال: أنا ضعيف لا أستطيع، وبعدها قالوا له: اذهب إلى هناك، فهناك الأطفال الصغار يشفعون في آبائهم، ونادي باسم ابنتك تشفع لك!! ذهب ونادى باسم ابنته فجاءت وأشارت إلى الثعبان فمات، فقال لها: ما هذا الذي رأيته اليوم؟ قالت: أما الثعبان فهو عملك السيئ قويته حتى كاد أن يبتلعك، وأما الرجل الضعيف فهو عملك الصالح أضعفته حتى أنه لم يستطع أن يدافع عنك، وأكرمك الله بمن قال لك: لست من أهل جهنم ... فتاب وأناب وصار من كُمَّل الصالحين بعد ذلك للرؤيا التي أرسلها له الله في المنام.

نسأل الله ﷻ أن يُوقظ قلوبنا من الغفلات، وأن يحييها من الموات، وأن يجعلنا دائماً وأبداً في الحياة الإيمانية الروحانية مع الحبيب المصطفى خير البرية، ومع الصالحين والمتقين والصادقين، ونعيش معهم وبين أيديهم ولا نفارقهم إلى يوم الدين.

٢٠- التجريد

س: ما التجريد؟ وهل التجريد للقلوب؟ أم للأرواح؟ أم للأجسام ؟

تجريد الشيء يعني إزالة ما يعلق به، فمثلاً كثير من الأشجار تتجرد من أوراقها في فصل الخريف، ثم تنبت من جديد في فصل الربيع.

ولكن التجريد حالةٌ قلبية تحدث للسالكين المتمكنين الصادقين بصدق العزيمة في طريق الله، وفي بلوغ المقصود الذي يقصدونه من الله تبارك وتعالى.

فالله تبارك وتعالى لا يرضى أن يتنزل بأنواره العلية، وعلومه الوهبية، وأنواره الكشفية، وأسراره القدسية، وأي شيء من بضاعته الربانية، إلا لقلب خلا من كل الشهوات الدنية، ولم يعد له أي تعلق بهذه الحياة الدنيوية.

ولذا من أراد الفتح الإلهي، وأن يكون له قبسٌ من هذه المعاني، أو نصيبٌ من هذه العطاءات، لا بد أولاً أن يجرد قصده لله:

- فلا يبغي من الله إلا الله!!
- لا يريد الله تبارك وتعالى ليُحقق له ما يتمناه في دنياه، كأن يريد الله تبارك وتعالى ليزيد في رزقه، أو ليوسع في ماله، أو ليبلغه المنصب الذي ينشده، وغيرها من الحاجات الدنيوية:
  - فهذا لا يقصد الله لذاته، وإنما يقصد الله تبارك وتعالى لقضاء حاجاته ... ولذلك تجده إذا قُضيت له الحاجة فرح واستبشر، وإذا لم تُقضى له الحاجة انقبض واكتأب، وربما تقاعس في الطاعات، وربما تخلف عن المجاهدات، وربما لا يشارك الأحبة في الأعمال التي توصلهم إلى هذه المقامات، لأنه كانت همته دنية وآماله كلها دنيوية.

وربما يكون العبد يريد قصداً أعلى، فيريد الله تبارك وتعالى ليُدخله جنته، والله ﷻ يقول لأحد أوليائه المقربين: **((عجباً لمن رآني دون مكوناتي، قال: سبحانك تنزهت، قال: من اتخذني وسيلة إلى جناتي، فقد رآني دون مكوناتي))**.

أما تجريد القصد هو:

أن لا يريد العبد من مولاه إلا قربه ورضاه، لا يريد حتى درجات عليَّه، ولا مقامات هنية، وهؤلاء يقول فيهم رب البرية:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ (٢٨الكهف) .. لا يريدون إلا وجه الله ﷻ.

- فإذا جرَّد القصد وأصبح قصده ظاهراً وباطناً في كل قول وفي كل عمل وفي كل حال وجه الله ..
- يسعى بعد ذلك ليجرد القلب مما يغشاه، ويُباعد بينه وبين عطاءات الله وقربه ورضاه، فيُنقي القلب ويجرده من كل ما فيه من الأغيار من الشهوات الدنية، ومن الرغبات الدنيوية ومن المطامع التي يطلبها المرء للعُلو في حياته الكونية.
- يجرد القلب من كل ذلك حتى لا يصير له تعلقٌ إلا بمولاه، فيكون كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

لا تُعلِّـــق بالقلـــب غـــير إلـــه قـــد تجـــلى في العـــالمين عُـــلاه

وهل معنى ذلك أن يترك الدنيا وما فيها ... والأهل والأولاد والحظوظ والشهوات وغيرها؟ أبداً!!

بل يُعطي للجسم حقه، ويُعطي للقلب نصيبه، فإن حقوق الجسم في الطعام واللبس والمنام والشهوات الدنيوية، فيُعطيها له بقدر القوام، يعني بقدر أن يبقى حياً ولا ينشغل بها، ولا تكون جُلَّ أمره ولا مبلغ علمه، وتكون كلها له من حلال.

ويُعطي للقلب نصيبه من العلوم الإلهية من أفواه العارفين الصادقين، ونصيبه من ذكر الله الخالص لحضرة الله في كل وقت وحين، وهو الذي يقال فيه: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف) ومعنى الآية: واذكر ربك إذا نسيت سواه، ولم يبق في القلب إلا حضرة الله، فهذا هو الذكر الذي يقرب إلى المولى تبارك وتعالى في عُلاه:

اذكـــر الله إن نســـيت ســـواه قـــل بقلـــبٍ في الـــذكر يـــا الله

فلا يُقبل الله ﷻ على القلب المشغول بسواه، كما قال ﷺ:

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ }[٥٣]

فإذا كان القلب في لهو عن حضرة الله، أو غفلة عن مولاه، فإن الله لا يُقبل بوجهه الجميل عليه، ولايسعى لإكرامه وتقريبه زُلفى بين يديه تبارك وتعالى.

فلا يزال العبد يجرد قلبه من كل الشواغل التي تشغله عن الله، حتى يكون القلب ليس فيه إلا المولى تبارك وتعالى في عُلاه.

فقد نبَّه سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ إلى أن آخر شيء يخرج من قلوب الصديقين في هذا التجريد من القلب حب الرياسة، والرغبة في الزعامة، وحب الظهور فيمن حوله، وأن يُشار إليه بالبنان، وأن تلتف الناس حوله ويطلبوا منه الدعاء، أو يطلبوا منه كذا وكذا، فقال رضي الله تبارك وتعالى عنه:

((آخر داء يخرج من قلوب الصديقين، حب الرياسة)).

ولا يستطيع أي عبد مهما كان شأنه، ومهما وصل في مجال العلم أن يُجرد قلبه بمفرده إلا إذا أشرف على هذا التجريد رجلٌ خلص قلبه للعلي المجيد:

فهو وحده الذي يجرده بمواجهته به وله، فإن القلب إذا واجه حيَّاً احتيا وأخذ حياته القلبية النورانية بمواجهة هذا الحي.

وإذا أخلص في حبه له ... توالت عليه من أنهار علومه الوهبية الباطنية علومٌ إلهية تُطهر القلب مما فيه، حتى يكون صالحاً لتنزلات خالقه وباريه ﷻ.

- إذاً تجريد القلب:

يكون من الشواغل القلبية، مع القيام للجسم بكل حقوقه الكونية، ولكن لا ينشغل بها عن رب البرية، وفي ذلك تقول السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها مخاطبة حضرة الله ﷻ:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل مؤانسٌ ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

هذا ما نستطيع الإباحة به في مقام التجريد، والله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ أعلم.

---

٥٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢١- شوق المذنب

س: كلى ذنوب وعيوب وهذا أمرٌ حقيقى، ولكنى كلما بعدت عن شيخي أشعر بالإشتياق والحنين له، فهل هذا الشوق صادقٌ وحقيقي؟ أم أن المذنب لا ينتابه الشوق؟

هناك ذنوب نسميها الذنوب الحيوانية الإنسانية !!

وهناك ذنوب نسميها الذنوب الجبروتية، وهي التي يجعل الإنسان فيها نفسه – حاشا لله – قريباً من أوصاف الإله تبارك وتعالى، فيتكبر على خلق الله، أو يمشي تيهاً وفخراً بين عباد الله، ويظن أنه لا أحد يدانيه ولا يساويه، ولا أحدٌ حتى من أحبابه يقرب من مقامه الذي هو فيه، يقول في ذلك رب العزة تبارك وتعالى:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا؛ قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ }[٥٤]

ولذلك هذا الذي قصم ظهر إبليس عندما قال:

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (١٢ الأعراف)

هذا ذنبٌ جبروتي طُرد بسببه من رحمة الله تبارك وتعالى.

أما آدم فكان ذنبه ذنب حيوانياً ... فقد خالف في شهوة طعام، أو شهوة النكاح على بعض الأقوال:

﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١١٥ طه)

فلما تاب، تاب الله تبارك وتعالى عليه.

وإلى هذا يشير نبينا ﷺ إلى رجل من أصحابه كان يحب النبي حباً جماً، وكان يُضحِكُ رسولَ الله ﷺ ولكنه لا يستطيع كبح جماح نفسه فكان يشرب الخمر، فيجلدونه ويرجع إلى الخمر مرة أخرى وفي إحدى المرات وقد أُتى به ليجلد فى الخمر

٥٤ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال له أحد الصحابة المباركين:

{ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا تَلْعَنُوه!، فوالله ما عَلِمْتُ إِلَّا أنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه}[٥٥]

حبه لله ورسوله سيجعله يأتي عليه يومٌ من الأيام ويتوب من الذنب توبة نصوحاً، ويرجع إلى الله تبارك وتعالى نادماً وآيباً.

فإذا كان الرجل يحب الصالحين ويُقبل عليهم أحياناً، ولكن نفسه الأمارة تغلبه ويرجع إلى شهواته وحظوظه آناة أخرة، فليعلم علم اليقين أنه سيرجع مرة أخرى إلى رياض الصالحين ويجبره الله تبارك وتعالى.

لكن عليه أمرٌ هامٌ:

- أن لا يجالس الغافلين!
- وأن لا يجالس قرناء السوء الذين يساعدونه على الوقوع في هذا الأمر!
  - فإذا امتنع عن الجلوس مع هؤلاء الغافلين والظالمين تصديقاً لقوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨ الأنعام) وخالط الصادقين والصالحين وجالسهم، فإنه حتماً لا بد أن يتوب ويرجع إلى الله.
- أما لو أنه لا يمل من مجالسة الظالمين ومجالسة الغافلين، فربما يأتي أجله وهو في وسطهم ولا يتمكن من التوبة قبل موته.

إذاً الذي يحفظ العبد من الذنوب والعيوب أن يترك من يعينه على فعل هذه الذنوب والوقوع في هذه العيوب.

فلو كان إنسان يجلس مع قوم ليس لهم حديث إلا الغيبة والنميمة والقيل والقال، فإن هذا يضيع من حسناته ما لا يستطيع أن يفي به لطلاب سيئاته، فماذا عليه؟

عليه أن يفارق هؤلاء ولا يجالسهم حتى يتوب، فيتوب الله تبارك وتعالى عليه، نسأل الله أن يتوب علينا أجمعين.

---

٥٥ عن عمر بن الخطاب رواه البخاري

٢٢- ظن الخير بالله

س: عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: { لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ }[٥٦]
كيف يُحسن الإنسان ظنه بالله؟
وهل العاصي والمذنب يُحسن ظنه بالله وهو عاصي؟

إن المؤمن ينبغي أن يُحسِّن ويحسِن ظنه بالله تبارك وتعالى على الدوام:

- لأنه لا يرى من الله ﷻ إلا كل خير!!
- ولا يأتيه من الله ﷻ إلا كل فلاح ونجاح !!
- ولا يقترب منه قرب قرابة من الله ﷻ إلا المودة والشفقة والحنان.

فإذا نظر نظرة فكر ويقين، ونظر إلى ما صنعه له رب العالمين:

- حيث جعله أولاً في أول الخلق من خير أمة أُخرجت للناس.
- وجعله ثانياً من أمة خير النبيين والمرسلين.
- وجعله ثالثاً مختصاً بخير كتاب أنزله الله تبارك وتعالى للعالمين!!
- وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه!
- وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان!
- وسخر جوارحه وأعضاء جسمه في طاعة الله!
- وجعل قلبه ممتلئٌ ثقة ويقيناً وحسن ظن في حضرة الله ...
- إذا رأى الإنسان ذلك، واستعرض بفكره ذلك ..
  - أيقن أن الله ما فعل له ذلك:
    - إلا لأنه يحبه.

---

٥٦ صحيح مسلم وأبي داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وإذا أحبه الله ﷻ :

فلن يخذله، ولن يتركه، ولن يتخلف عن نصرته في أي موقف من المواقف !!

فإذا أصاب ذنباً سولته له نفسه، أو سوله له الشيطان، يعلم علم اليقين أن الله ﷻ غفورٌ ورحيم، وسمَّى نفسه بهذين الاسمين الكريمين ليغفر للمؤمنين، ويرحم المتقين في كل وقت وحين، بل إنه ﷻ قال في قرآنه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة)

وقد قال في نبأ ورد لسيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

فإن الله ﷻ يجعل العبد يتخلى عن طاعته واستقامته ولو للحظة، ليقع في الذنب لأمرين إثنين لا ثالث لهما، الأمر الأول أنه لو لم يقع في معصية ولو صغيرة ربما يغتر، وربما يُعجب بنفسه، وربما يصاب بداء الكبر على خلق الله، ويظن أنه خيراً منهم. الأمر الثاني أن الذنب يجعل الإنسان ينكسر قلبه لمولاه، ويشعر بالخجل والندم لحضرة الله، وهذا هو الحال الذي يحب الله ﷻ أن يكون قلب العبد المؤمن بين يديه عليه على الدوام.

قال سيدنا موسى كليم الله: يا رب أين أجدك؟ قال:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[٥٧]

فإن القلوب الوجلة من الخوف من الله، المنكسرة لحضرة الله هي التي يتولى الله جبرها، ويتولى الله نصرها، ويتولى الله تأييدها.

وقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً في أصحاب الحبيب الكرام:

- عندما كانوا في غزوة بدر وكانوا قلة قليلة لا يزيد عددهم عن ثلاثمائة وثلاث عشرة، ولم يكن معهم سلاحٌ كافي ولا خيلٌ تكفيهم، وكانوا في حال رث، وظنوا أنهم قليل، والكفار بعتادهم وعددهم وخيولهم كثير، فخضعت قلوبهم لله وانكسرت لله، فقال الله تعالى في شأن النصر الذي جاء لهم:

---

٥٧ أورده الغزالي في البداية

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (﴿آل عمران) لما تحققوا بالذل في أنفسهم، وصغرت أمامهم حقائقهم، ولم يروا لأنفسهم حولاً ولا طولاً ولا قوةً إلا بالله وبإمداد الله، جاءهم نصر الله تبارك وتعالى.

- أما في موقعة حُنين فقد كان عددهم يزيد عن الإثني عشر ألفاً، وقال بعضهم عندما نظر في كثرة عدد الجيش: لن نهزم اليوم من قلة، يعني عددنا كثير ولا يستطيع أهل الطائف من ثقيف وغيرهم أن يهزمونا، ومشوا بهذا الحال، وإذا بالأعداء متربصون بهم في الجبال، فانقضوا عليهم بالسهام، فرجعوا القهقري وفر معظمهم، ولم يبق إلا النبي ﷺ ومعه نفرٌ قليلٌ من الأنصار والمهاجرين. يقول الله تبارك وتعالى عن هذا اليوم: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة).

فأخبرنا الله تبارك وتعالى:

- أنه عندما يترك الإنسان لنفسه ليقع في الذنب:
  - فهذا رحمة من الله بالعبد:
    - ليراجع نفسه ويقف عند حدود نفسه!!
    - ويتجنب الكبر والعُجب والغرور وما شابه ذلك!!
    - ويظل منكسر النفس لمولاه!
    - ويشعر بالافتقار إلى الله في كل أحواله!
    - وبالذلة بين يديه:
      - وهذا حال كُمَّل العبيد الذين يحبهم الحميد المجيد ﷻ.

قال سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ في إحدى مناجاته: ((**يا رب بم يتقرب المتقربون إليك؟ فقال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والفقر والمسكنة والإنكسار**)) وغيرها من هذه الأوصاف العبدية التي ينبغي أن يتخلق بها العبد متشبهاً بسيد العبيد وخير العبيد سيدنا محمد ﷺ.

٢٣- مقام الرجاء

س: دائماً نفسى تذكرنى بالماضى، والماضى قد يكون فيه ذنوب، وقد يكون فيه آثام، وقد يكون فيه أعمال عملتها ولا أرضى عنها الآن، فإذا فكرت فيها فإن ذلك يُحزننى، وقد يؤثر فىَّ ويجعلنى ... ربما أتقاعس عن العمل، وربما أتردد فى الإقبال على الله، فما الواجب علي نحو ذلك؟

الصالحون رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين وهم أصحاب المرجعية لنا في مثل هذه الحالات، اختلفوا فيما بينهم أيهما أفضل للعبد، هل أن ينسى الذنب بعد توبته ويقبل على الله؟ أم يظل يذكر الذنب ويتذكره ليحثه على التوبة إلى الله؟.

وبعد ذكر حجج الطرفين أجمع الأخيار والأبرار والصالحين والأطهار أن خير شيء للسالك في طريق الله تبارك وتعالى بمجرد أن يتوب إلى الله توبةً نصوحا، وتصل إليه واردات إلهية تؤذنه بقبول هذه التوبة، عليه أن ينسى هذا الذنب بالكلية، لا يذكره، ولا يتفكر فيه، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

فذكر الذنب يُعكر الصفو، ويجعل الإنسان مشوش البال، ويجعل الإنسان يخشى من الله ﷻ خشية قد تؤدي به إلى القنوت من رحمة الله، وهذه كبيرة من الكبائر.

فإذا تاب الإنسان وتبين له قبول التوبة، وبيان قبول التوبة أن يجد في نفسه كراهة وبُغضاً لهذا الفعل بالكلية، ولا يحب أحداً أن يحدثه عنه، ولا أن يذكره أمامه، فهذا دليل على أنه تاب توبة نصوحاً من هذا العمل، وأن يوفقه الله تبارك وتعالى لما يحبه ويرضاه من الأعمال الصالحة التي بها يقبل على حضرة الله تبارك وتعالى.

إذا جاءته هذه البشريات:

ينسى الذنب، وينسى الإثم الذي فعله لأنه تاب، والله ﷻ وهو التواب تاب عليه ورزقه الإنابة إلى حضرته، فيفكر فيما به يقبل على الله، ويفكر في مستقبله في فعل الصالحات مع مولاه، ويفكر في المقامات الهنية التي يريد أن يصل إليها في رضاء الله، فهذا الهم هو الذي عنده الآن، حتى يزيد عنده الرجاء، والرجاء مطلوب عند كُمَّل المؤمنين الصادقين عند سلوكهم المرضي لرب العالمين ﷻ.

٢٤- حسن الظن بالله

س: قال ﷺ: { أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي }[٥٨] كيف يحسن العبد الظن بمولاه؟ وكيف يُحسن التوكل عليه؟

من عرف الله ﷻ بصفاته وأسمائه الحسنى أحسن الظن بالله ﷻ، فإن الله ﷻ قربنا إلى حضرته فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة)

لم يقُل يحب العابدين، أو يحب الراكعين الساجدين، وإنما يحب التوابين المتطهرين.

يعني يريد القلوب المنكسرة !!

والقلوب الخاشعة، والقلوب الخاضعة، والقلوب المتواضعة !!

ولذلك من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، لا يذوق طعم المعرفة أبداً وإن ملأ السماوات والأرض والجبال عبادة لله تبارك وتعالى ...

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

ألا من يكن في قلبه مثقال ذرة ... من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

من الذي يذوق؟

الذي يرى نفسه أنه أمام ربه القوي القادر المتين الجبار مسكين وضعيف وحقير!

ويرى نفسه لا شيء في حضرة من بيده كل شيء تبارك وتعالى ...

إذا وصل إلى هذا الحال وعاشه فهذه هي المعرفة:

علمت نفسي أني كنت لا شيء ... فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنزَّه صرت الآن موجوداً ... به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا؟ عدمٌ؛ الله جملني ... فصرت صورته العليا بلا نيل

---

٥٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

هذا مقام العارفين الصادقين الوارثين الذي وضحه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه في هذا المقام.

إذا وصل العبد إلى هذه المعرفة:

فدائماً يحسن ظنه بالله، لأنه يعلم أن الله برٌ رحيمٌ لطيفٌ، فيرى أسماء الجمال، وأسماء الجمال تنادي الكل لتُضفي عليهم من نعم الله ما لا يعد ولا يُحصى.

ويرى أن أسماء الجلال للكافرين والجاحدين والمشركين والمبعدين، وأسماء الجلال قد تواجهه إذا ترك ما فيه من النفس الأمارة ومن حولها يمشون على حسب الهوى، وهذا لا يطمع في حسن الظن بالله لأن نفسه وهواه قد يمنعانه من القرب من الله تبارك وتعالى في علاه.

يقول سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ في إحدى مشاهده مع ربه تبارك وتعالى:

((قلت: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قلت: يا رب! وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والمسكنة والخشية والتواضع))

ومرة أخرى يقول في إحدى مسامراته مع الله تبارك وتعالى:

((قلت: يا رب أريد أن أكون قريباً منك، قال: يا أبا يزيد دع نفسك وتعالى، مكتوبٌ على حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس))

إذا جاهدت نفسك، وعلمت أن نفسك قد أصبحت كأنها تحت الأرض، وخمدت بشريتها وصولتها، وسلَّمت لك في كل أمورها، فقد بدأت تصعد إلى عالم معرفة الله:

((ادفن نفسك في أرض الخمول، تشرق عليك أنوار الوصول)).

أما إذا كان الزهو يتملكه، والكبرياء يعانقه، ويريد أن يظهر، ويريد أن تتحاكى الناس بمزاياه، وتتكلم عن بعض فضائله، فهذا لا شأن له بمعرفة الله، لأنه عائش تتحكم فيه نفسه وهواه.

إذاً النفس والهوى هي العقبة الكؤود لمن أراد أن يكون قريباً من الله ﷻ!!

ومن تغلب على نفسه وهواه فإنه دائماً وأبداً يدخل في حسن الظن بالله.

الفصل الثالث

مع الأحباب

١. الحبُّ عند الصوفية	١٠٠
٢. أساس مصاحبة الصالحين	١٠٥
الإخلاص ١٠٥ التسليم ١٠٦ معاونة الصالحين ١٠٧	
٣. التأهل للسير مع الصالحين	١٠٨
ابتلاء الله للمؤمنين	١١٣
٤. زاد الصالحين	١١٨
٥. الرفيق في الطريق	١٢٠
٦. مُدخل الصدق	١٢١
٧. حِلية المريدين	١٢٦
٨. إيتاء الحكمة ١٢٨ الاقتداء الأمثل بالنبى	١٢٩
عائق الإرادة ١٣١ الإبن صورة أبيه	١٣٣
٩. الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة	١٣٥
١٠.الفرقة بين الإخوان	١٣٦
١١.التدخل في حياة الآخرين	١٣٧
١٢.العلاقات الأسرية بين الأسر المسلمة	١٣٨
١٣.ادِّعاء التطبيب	١٤٢
١٤.تخبيب الزوجة	١٤٣
١٥.أهل اليمين والمقربين	١٤٦
١٦.الصوفية والمناصب	١٤٩
١٧.الحاجة للصالحين في الجنة	١٥٠

١- الحبُّ عند الصوفية

س: ما المقصود بكلمة الحب عند السادة الصوفية؟ هل المقصود به حبُّ الله ورسوله أم حبُّ الخلق جميعاً وعدم بغضهم للوصول للصفاء من ناحية الخلق؟

الحقيقة أن الحب في الدين والشرع وعند السادة الصوفية يشمل ذلك كله !!

أنا لكي أكون في الدرجة العُليا من الحب:

لا بد أولاً أن يكون حب الله أغلى عندي وأرفع في قلبي من حب كل شيء سواه، حتى زوجتي، حتى ابني، حتى ابنتي، حتى أبي، حتى إخواني، حتى أموالي، وهذا بنص كتاب الله:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ (٢٤التوبة)

من كان عنده شيء من ذلك أحب إليه من الله ورسوله:

- فليتربَّص أن ينزل به سوء!
- أو يحل عليه عقاب!
- أو يصيبه الله ﷻ بداء قسوة القلب، أو عدم يقظة القلب في مناجاة الله !!
- أو يحرمه الله من قرب حضرته.

يتربص بنفسه أي شيء من هذه الأمور التي لا يرضى أي مؤمن أن ينزعها الله تبارك وتعالى منه.

فلا بد أن يكون حب الله أعلى من أي شيء في فؤادي.

وهذا الحب الأول لله.

الحب الذي يليه في المنزلة؛ حب رسول الله ﷺ، لأنه ﷺ قال:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[٥٩]

لا بد أن يكون هؤلاء أقل في درجة الحب من حب الحبيب الأعظم ﷺ:

وحب الحبيب في زماننا يعني:

حب سُنَّته وحب تطبيق شريعته والعمل بها في كل مكان وزمان يتعرض له الإنسان.

وليس حب رسول الله أن أظل أغني بالمديح فيه، وأنا أخالف سنته!

فليس هذا بحب:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

الحب هنا الطاعة والعمل بما جاء به رسول الله من عند الله، ومن السُنَّة التي أوحى بها إليه الله ﷻ، ..

ولذلك سيدنا عمر رغم منزلته عند رسول الله وفي الإسلام، يقول:

{ وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ }[٦٠]

وهذا الباب لنتطرقه بين الأصحاب يحتاج لشرح طويل ...

لكن تكفي الإشارة، وعليكم بعد ذلك مطالعة العبارة التي تُفصِّل هذه الإشارة في كتب السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فالحب حب الله، وحب رسول الله ﷺ، وحب الأحباب المؤمنين والصالحين والمسلمين في الله تعالى، لقوله ﷺ:

{ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }[٦١]

---

٥٩ سنن النسائي عن أنس رضي الله عنه
٦٠ صحيح البخاري ومسند أحمد
٦١ شعب الإيمان للبيهقي ومسند أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه

أوثق درجة في درجات الإيمان :

- أن يُحب الإنسان في الله أهل الله من المؤمنين بالله.
- وأن يبغض أهل الكفر والشرك لأنهم لم يؤمنوا بالله ﷻ ..

وهذه أعلى درجات الإيمان، فأوثق عُرى الإيمان حب المؤمنين وبغض المشركين والكافرين والمنافقين.

وجعل ﷺ الإيمان لا يتم ولا يكون كاملاً إلا إذا وصل هذا الحب إلى أن يحب الإنسان لإخوانه المؤمنين ما يحبه لنفسه، فقال ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٦٢]

ليس أخيه من أمه وأبيه فقط، ولكن أخوه في الله، وفي الإيمان.

فإذا كان يؤثر نفسه على أخيه :

فهو يحتاج لمعاجة هذا الداء، وعليه أن يطلب من الله الشفاء ليُحب للمؤمنين ما يحبه لنفسه إن كان من أمور الدنيا، أو كان من أمور الدين، أو كان من أمور الآخرة والجنة يوم لقاء رب العالمين تبارك وتعالى، فيُحب لهم كل هذه الأمور كما يحبها لنفسه.

إذاً لكي يكتمل الحب وتكتمل المحبة، لابد أن يكون بالترتيب التالي:

- حب الله أولاً,
- ومعه في الدرجة والمنزلة حب رسوله ﷺ كما قال الله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (٢٠الأنفال) يعني الاثنين معا.

- ثم حب الخير لجميع المؤمنين.
- بعد ذلك حب الزوجة، وحب الأولاد، وحب الأهل والأقارب، وحب الطاعات والقربات التي تقربني إلى الله زُلفى
- كل هذه من أنواع الحب، وأعلاها وأنقاها وأتقاها حب العلم للعمل به لنيل المنزلة عند الله تبارك وتعالى.

---

٦٢ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

فآفة الآفات في هذا الزمان بالنسبة للمسلمين إهمالهم لباب العلم:

ولذلك أسباب معظم مشاكل المؤمنين التي تراها في المجتمع أنا أعزوها أولاً وأخيراً إلى الجهل؛ أنه لا يعرف، والمصيبة الأعظم أنه لا يعرف ويعاند ويظن أنه على الحق، والمصيبة الأتم أنه ربما يستفتي جاهل ويظن أنه عالم، ويفتيه هذا الجاهل بما لا يتفق مع آراء العلماء الأجلاء، ويتشبَّث برأيه لأن الذي أفتاه في ظنه أنه عالم، وهذه يقع فيها كثير من الناس في هذا الزمان.

نأخذ مثالاً رأيته على مواقع التواصل الاجتماعي، وكان عليه جدل كبير جداً، امرأة سألت أحد العلماء المشهورين على أحد القنوات الفضائية، تقول له: زوجي يريديني أن أُحفف حاجبيَّ وأرققه، قال لها: هذا حرام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قالت له: لماذا؟ قال لها: نهى الرسول ﷺ عن النامصة والمتنمصة، وهي التي ترقق الحاجبين، فأخبرت المرأة زوجها وقالت له: هذا حرام، فقال لها: اذهبي لأهلك، وأي امرأة سمعت ذلك وتخبر به زوجها يقول لها: اذهبي لأهلك.

لكن العلماء الأجلاء؛ أئمة الشرع، أصحاب المذاهب الأربعة، الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، قالوا: هذا الأمر إذا كان لغير زوجها، لكن تعمل لزوجها كل شيء مباح في شرع الله ، السيدة عائشة قالت لها إحدى النساء: ماذا أصنع لأتجمل لزوجي؟ قالت لها:

{ إِنْ كَانَ لَكِ زَوْجٌ ، فَاسْتَطَعْتِ أَنْ تَنْزِعِي مُقْلَتَيْكِ، فَتَصْنَعِينَهُمَا أَحْسَنَ مِمَّا هَمَّا، فَافْعَلِي }[٦٣]

إذا لم تجدي إلا أن تخلعي عينك وتستبدليها لترضي زوجك فاصنعي ذلك، وهذا الإلهام تحقق في هذا الزمان، يريد الرجل من زوجته أن تكون عينيها خضراء، فتلبس في عينيها عدسات خضراء، أو يريد عينان زرقاء، فتضع في عينيها عدسات زرقاء، حتى ترضيه لكي لا ينظر إلى غيرها.

ولذلك نحن مطالبون أن لا نأخذ العلم إلا من أهل الوسطية في الدين الذين أخذوا ما استخلصه أهل المذاهب العلماء الجهابذة السابقين، لأنه لم يصل أحدٌ بعدهم

---

٦٣ سير أعلام النبلاء

إلى اجتهادهم، ولا إلى خوفهم وخشيتهم من ربهم، ولا إلى ورعهم في كل أحوالهم، بل كانوا علماء وأولياء، وسيرتهم تُنبئ بذلك، عندما تطالع سيرة أي رجل من هؤلاء تجده من العلماء الكُمَّل ومن الأولياء الكُمَّل، ولهم كرامات لا تُعد أكرمهم بها الله، لأنهم كانوا علماء عاملين.

إذاً الحب لكل هذه الأشياء يأتي في المرتبة بعد حب العلم، لأن حب العلم هو أساس المؤمن، فكل عمل يعمله الإنسان لا بد أن ينبني على علم صحيح، ورأي صريح في كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، وكل عمل لا ينبني على علم قد يجعل الإنسان يعبد ربه على جهل، ويكون معاقبٌ بعمله وليس مثاباً عليه، فلا بد من العلم أولاً، ولذلك قال ﷺ:

{ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ }[٦٤]

إذاً هذا الحب لكل ما أباحه لنا الله، والحب الممنوع حب الدرهم والدينار الذي يشغلني عن العمل بفرائض الله، وعن التقرب بالأعمال الصالحة لله، وحب النساء الذي يجعلني ليس لي شاغلٌ إلا شهوة الجماع، وأتفنن في مشاهدة الفيديوهات الجنسية، وأبحث بحثاً وافياً في المنشطات، وهذا ما وقع فيه كثير من المسلمين الآن، نسأل الله الحفظ والسلامة.

أو حب الأولاد الذي يشغل عن رب العباد حتى يقع بهم الإنسان في الفتنة التي حذرنا منها الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌۚ ﴾ (١٥التغابن) متى يكونون فتنة؟ إذا شغلوني عن الله ﷻ، وجعلوني أتهاون بالعمل بما كلفني به الله، ويكون كل همي في تدبير شئونهم والمباهاة بأحوالهم، وكأنهم هم الثروة الدائمة لي في الدنيا ويوم لقاء الله تبارك وتعالى.

هذا هو الحب عند السادة الصوفية وعند الصالحين، وعند كل المؤمنين، قال ﷺ:

{ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي }[٦٥]

---

٦٤ سنن ابن ماجة والطبراني عن أنس رضي الله عنه

٦٥ الحاكم في المستدرك والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢- أساس مصاحبة الصالحين

س: ما أساس مصاحبة الصالحين؟

الأساس الذي من أجله أوجب الله علينا تبارك وتعالى مصاحبة الصالحين، هو قوله تبارك وتعالى في القرآن:

﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (١٥لقمان)

انظر إلى الذين تابوا وأنابوا، ولداعي الله تبارك وتعالى أجابوا، فحضروا بين يديه تبارك وتعالى وبه وبأنواره استقاموا، وامشي على هديهم وأتبع مناهجهم، لعلك تفوز بما فازوا، وتغنم ببعض ما غنموا، وتنال شيئاً مما نالوه في هذا الطريق إلى الله تبارك وتعالى.

فكلنا مسافرون ...

- منا من هو مسافرٌ إلى الدار الآخرة، وهذا يكفيه المواعظ والصُحبة الصادقة والعمل الصالح ليصل إلى مبتغاه، وينال ما يرجوه يوم القيامة عند مولاه ...
- ومنا من يرجو وجه الله وهؤلاء هم الذين عليهم أن يبحثوا عن الصالحين الصادقين الذين يقول فيهم الرجل الصالح ابن البنا السراقوسطي ﷺ:

إنما القوم مسافرون ... لحضرة الله وظاعنون
فافتقروا فيه إلى دليل ... عالمٍ بالسير وبالمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد ... ليُنبئ القوم بما استفاد

١- الإخلاص

فيبحثون عن الخبير القرآني الذي يأخذ بأيديهم في طريق الصدق إلى المولى العلي تبارك وتعالى، ويُخلصون في النية، لأن الإخلاص هو طريق الخلاص، ومن لم يُخلص فلا خلاص له بين أهل الإختصاص.

فلا يُقبلون إلا وقلوبهم مملوءةً بخالص الحب لله، وخالص الحب لحبيب الله ومصطفاه، والرغبة الصادقة الأكيدة في التقرب إلى حضرة الله تبارك وتعالى، ومرافقة أولياء الله، والحُظوة بسيدنا رسول الله ﷺ.

فأول أساسٍ لهم هو الإخلاص:

﴿ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٦٥غافر)،
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة)

٢- التسليم

الأمر الثاني هو التسليم لهؤلاء الأقوام .. بعد التأكد من أنهم على شرع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام في اليقظة وفي المنام، ولا يلتفتون عن الشرع الشريف طرفة عين ولا أقل، عملاً بقول الله تبارك وتعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (٦٥النساء)

والتسليم يعني كمال التفويض لهؤلاء القوم الصالحين في كل أمورهم:

- فيعرضون عليهم أمورهم الظاهرة والباطنة.
- ولا يفعلون شيئاً إلا بعد استشارتهم، ووفق إشاراتهم ..
- لا عن هوى نفس، ولا رغبة في دنيا فانية زائلة، ولا عن حظ أو هوى، وإنما كل ما يرجونه أن يرضى الله تبارك وتعالى عنهم، ورضاء العارفين هو رضاء رب العالمين، قال ﷺ:

{ رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ }[٦٦]

وإذا كان ذلك في الوالد الجسماني فهو أكمل وأتم في الوالد الروحاني!

ومن فعل شيئاً بدون الرجوع إليه ظاناً أنه لا يراه ولا يعلم ما فعله، فهذه خيانة عُظمى لأنه يعتقد عقيدة سيئة في شيخه، فقد قال الله ﷻ لحبيبه ﷺ: ﴿ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ ﴾ (٢٦الكهف) أي أنه يسمع بالله ويُبصر بالله، ومن يسمع بالله ويُبصر بالله لا تخفى عليه خافية إذا أراد مولاه تبارك وتعالى أن يُطلعه مولاه عليها، ولذلك قالوا: **((من فاز بالتسليم فاز بالمقام الكريم)).**

---

٦٦ جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٣- معاونة الصالحين

الأمر الثالث: .. أن يشاركهم في عملهم الذي كلَّفهم المولى تبارك وتعالى به:

في أعباء دعوة الله، وفي خدمة طريق الله، وفي تعريف الخلق بالحكمة والموعظة الحسنة بشرع الله، وفي أخذهم بالمحبة والمودة إلى محبوبنا الأعظم وهو سيدنا رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ، صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ }[٦٧]

وقال ﷺ: { مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا }[٦٨]

- فمن أعانه على إبلاغ دعوة الله فقد شاركه في الغنائم الإلهية والفتوحات الربانية، ومن أعانه في بيته على تكريم ضيوفه والقيام بالواجب لهم فقد جهَّز نفسه للعطاءات الربانية، وجعل نفسه عُرضةً لكل التجليات القدسية من رب البرية تبارك وتعالى.

ولذلك كان أصحاب سيدي أحمد البدوي ﷺ المشاركين له في ذلك، من كبار الأقطاب بعد ذلك.

لأن الذي كان يرعى غنمه، فكان قُطباً يُسمى الشيخ الراعي، وأولاده يتوارثون طريقه إلى يومنا هذا.

وأما الذي كان يكنس ساحته ومكانه ومكان ضيوفه، فقد سُمي وأولاده بالكُنَّاسية، وطريقتهم مسجلةٌ في الطرق الصوفية وقائمة بهذا الأمر إلى يومنا هذا.

والذي كان يهتم بغنمه، فهذه الطريقة الغنامية، وأهلها منتشرون في كل أرجاء الوجه البحري في أضرحة مباركة، بعد أن وصلوا إلى مقام الفتح من الفتاح تبارك وتعالى.

وهكذا فكلهم على هذا المنوال وفي هذا المجال.

---

٦٧ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عقبة بن عامر ﷺ

٦٨ البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني ﷺ

٣- التأهل للسير مع الصالحين

س: ما الذي يحتاج إليه الإنسان ليسير به مع الصالحين؟

الإنسان الذي يصحب الصالحين، ويريد أن يسير معهم السير الحميد، ويصل إلى ما يريد من فتح الحميد المجيد تبارك وتعالى يحتاج إلى الصدق؛ أن يكون صادقاً في قوله وفي فعله وفي أي شيء يتحرك فيه:

الصدق نور يقين كشف حقيقتي به تنجلي الأسرار حال الشهادة

ونحن نعلم أن الرسول ﷺ وضح الطريق لأي عبد يريد أن يكون في منزلة الصِّديق، والصديقين هم أعلى المنازل عند الله بعد النبيين والمرسلين، لقول الله ﷻ:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء)

هذه المرتبة كيف يصل الإنسان إلى بلوغها والرسوخ فيها؟ قال في هذا لأمر سيدنا رسول الله ﷺ:

{ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }[٦٩]

فالذي يُريد أن يكون في مقام الصديقية العُظمى، عليه أن يتحرى الصدق، حتى في لعبه، وحتى في هزله وضحكه، فإذا ضاحك غلاماً أو لاعب صبياً لا يقول له إلا الحق، لقوله ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[٧٠]

يعني حتى في المزاح كان لا يقول إلا الحق.

والرسول ﷺ كان يمزح مع أصحابه ليجعل الدروس فيها شيء من الانبساط به تأتلف النفوس، وترغب القلوب في هذه العلوم، وعلى سبيل المثال كان ﷺ جالساً فجاءته امرأة عجوز وقالت له: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة، فقال ﷺ:

---

٦٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

٧٠ معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ، فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ يَوْمَئِذٍ عَجُوزٌ، إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: " إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا }[٧١]

لا أحد يدخل الجنة إلا وهو شباب، فقد وصف الله نساء الجنة فقال: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ (الواقعة) وعرباً يعني جميلات، فمهما كانت قباحتها في الدنيا، ستكون هناك أجمل الجميلات، وأتراباً يعني متساوين في السن، والسن الذي سندخل به الجنة أجمعين هو سن الثالثة والثلاثين، ولقوله ﷺ في أهل الجنة:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }[٧٢]

يعني لن يكون أي واحد منهم في أي يوم من الأيام عنده خمسة وثلاثين سنة، أو يبلغ أربعين، بل سيظل في سن الثلاث والثلاثين على الدوام.

وجاءته امرأة أخرى وذكرت زوجها فقَالَ رسول الله ﷺ لها:

{ أَهَذَا الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ؟ فَقَالَتْ: لَا، مَا بِعَيْنَيْهِ بَيَاضٌ!، وَحَكَتْ لِزَوْجِهَا، فَقَالَ: أَمَا تَرَيْنَ بَيَاضَ عَيْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَوَادِهَا }[٧٣]

ولذلك كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، يعني حتى في المزاح لا يكذب، حتى مع الأطفال، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ:

{ دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ، قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ }[٧٤]

وهذا الأمر يحدث منا كثيراً الآن، أقول لابني لو عملت كذا سأعطيك جنيه مثلاً، وعندما يفعل لا أعطيه!!، وهذا الذي نهى عنه نبي الإسلام!!، لكن إذا وعدت لا بد أن توفي لتعلِّم هذا الصبي القيم الإسلامية، فإذا وعدته أنه إذا نجح ستأتي له بهدية، فعليك

---

٧١ رواه البيهقي عن سلمة بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه والأصبهاني في أخلاق النبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

٧٢ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

٧٣ رواه ابن أبي الدنيا، والزبير بن بكار في كتاب المزاح

٧٤ سنن أبي داود والأحاديث المختارة

إذا نجح أن تأتي له بهدية، وإلا ما كنت قلت ذلك، لذلك إذا وفَّى لا بد أن توفِّي معه.

فكان أول خُلق يحرص عليه رسول الله ﷺ مع صحابته الأجلاء هو خُلُق الصدق، وهذا الخُلُق الذي نحتاجه كمسلمين مع بعضنا، وكجيران مع بعضنا، وكزملاء في العمل مع بعضنا، ونحتاج له أكثر مع مشايخنا في الله تبارك وتعالى، لأنه لا بد أن تكون العلاقة بين الشيخ ومريده مبنية أساساً على الصدق.

سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ تُوفي أبوه وهو صغير، وكان له أخٌ، فربتهما أمهما، وحُبَّب إليه من صغره طلب العلم، فأخذ يطلب العلم في بلدته وكان سمها جيلان، وهي حالياً في أفغانستان، وكانت وقتها تابعة لبلاد فارس.

بعد أن حصَّل العلم من علماء بلدته وجد أنه لا يزال عنده رغبة شديدة في طلب العلم، فقالوا له: إن كنت تريد أن تحصل العلم الكثير اذهب إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية الإسلامية، فشاور أمه وقال لها: أنا أريد أن أذهب إلى بغداد لطلب العلم، فقالت له: أنا لا أستغنى عنك، ولكن في سبيل العلم لا أستطيع أن أمنعك عن طلب العلم والسعي في البحث عن العلم، فلما جهز نفسه واستعد قالت له: أبوك ترك لك أنت وأخوك تسعين ديناراً ذهباً، وأنت ما دمت مسافر خذ حقك، وأعطته خمسة وأربعين ديناراً، ولكن أريد منك أن تعاهدني بعهد واحد أمام الله قبل أن ترحل من هنا، قال: ما هذا العهد؟ قالت له: تعاهدني على أن لا تكذب أبداً، وأن تكون صادقاً في كل أقوالك، فعاهدها على ذلك.

هذه هي الأمهات التي كانت تربي أولادها على الصدق، غير أمهات هذا الزمان، تقول لأولادها: إذا جائت أم فلان تسأل عني قولوا لها هي غير موجودة، مع أنها موجودة، فأنت تعطيهم درساً عملياً في الكذب.

التليفون يرن فتقول لهم: إذا كانت أم فلان قولوا لها غير موجودة، وتعلم البنت والولد الكذب!!.

فنحن الآن بدلنا أخلاق الإسلام، ولهذا حدث لنا ما لا يُحمد عُقباه، ولن ينكشف عنا البلاء، ولن يحدث لنا الهناء إلا إذا رجعنا إلى أخلاق الإسلام مرة أخرى.

فأخذت عليه العهد أن لا يكذب، وكان في زمانهم يسافرون في قوافل عن طريق البر، بسبب انتشار قطاع الطريق، فعدما يمشون مع بعضهم يحمون بعضهم من قطاع

الطريق، وزيادة في الحرص قالت له: سأضع لك مالك في الجلباب من الداخل وأخيط عليه، حتى لا يعرف أحدٌ مكانه، ولو طلع عليكم قطاع الطريق لا يأخذوا المال منك.

مشى سيدنا عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه، وكان في مقتبل شبابه، ولم يكن شيخاً بعد، ولكن طالب علم، وهم سائرون في الطريق خرجت عليهم عصابة من قطاع الطريق، وكل من كان معه مال يجردوه منه، وكل من معه شيء ثمين إن كان ذهب أو فضة أو سلاح يأخذوه منه.

فلما وصلوا عنده سألوه: ماذا معك؟ قال: خمسة وأربعون ديناراً، فظنوا أن عقله به شيء، لأنه لا أحد يبيح لهؤلاء بما معه، فسألوه مرة أخرى: ماذا معك؟ فقال: خمسة وأربعون ديناراً، فأخذوه إلى رئيسهم وقالوا له: هذا الولد يزعم أن معه خمسة وأربعين ديناراً، ولا نرى معه شيء!، فقال له: ماذا معك؟ فقال: خمسة وأربعون ديناراً، فقال له: أنت تكذب، فقال: لا، وأشار على مكان الدنانير الذي أخاطته له أمه في جلبابه، فقال له: لِمَ لم تكذب؟ قال: لأن أمي أخذت عليَّ العهد قبل أن أسافر أن لا أكذب، وأنا لا أريد أن أخون العهد مع أمي.

وجاءت العناية، والعناية عندما تأتي من الله تأتي على أي كلمة من أي إنسان أو من أي حيوان أو من أي شيء يُنطقه الحنان المنان:

ملـــك الملـــوك إذا وهـــب لا تســـألن عـــن الســـبب

فقال لهم: إن هذا الشاب قد أخذ العهد على أمه أن لا يكذب فلم يكذب، ونحن أخذنا العهد مع الله بالصدق ونكذب!!، أُشهدكم أني تائبٌ إلى الله على يد هذا الغلام، فقالوا: نحن معك، فقال: دليل صدق التوبة أن تعيدوا كل ما أخذتموه لأصحابه، فنجت القافلة كلها ببركة صدق سيدنا عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه، وكان لا يزال غلاماً، ولم يصل أن يكون شيخاً، ولم يكن معه شيء، ولكنه مشى على المنهج النبوي.

وهذا يذكرنا بوصية حضرة النبي ﷺ التي وردت في بعض الأثر:

{ عندما جاءه رجل وقال له: أنا أستسر بخلال أربع: الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والكذب، فأيتهن شئت تركت لك يا رسول الله؟ قال: دع الكذب، فلما تولى همَّ بالزنا، فقال: يسألني، فإن جحدت نقضته ما جَعلتُ له، وإن أقررت حددت أو رجمت، ثم همَّ بالسرقة،

ثم في شرب الخمر، ففكر في مثل ذلك، فرجع إليه فقال: قد أخذت علي السبيل، قد تركتهن أجمع }[٧٥].

وصف له رسول الله دواء واحد وهو الصدق ، فكان السبيل الوحيد لامتناعه عن ارتكاب الذنوب:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الزمر)

وحتى نعرف قيمة الصدق أعطى الله ﷻ في قرآنه لأنبياء الله ورسله أوصافاً تنم عن كمالهم في معرفة الله، فكل واحد له وصف، وبعضهم عدد الله له أكثر من وصف في أكثر من آية، فسيدنا إبراهيم مثلاً عدد الله له الأوصاف فقال ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (﴿١٢٠﴾النحل) يساوي أمة كاملة لفتوته، وقوة يقينه في الله تبارك وتعالى، ومرة أخرى يقول:

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النجم) وصفه بالوفاء لأنه وفَّى بما عاهد الله تبارك وتعالى عليه.

وأعطاه الله ﷻ الخيرات ليمتحنه بها، فما زادته إلا يقيناً في الله تبارك وتعالى، فألقوه في النار التي أخذوا يجمعوا حطبها لمدة ستة أشهر، وأشعلوها، وأرادوا إلقائه فيها فخافوا من النار، فجاءهم إبليس في صورة آدمية ووسوس لهم وزين لهم أن يصنعوا المنجنيق، والمنجنيق عبارة عن خشبتين وبينهما شيء كالمرجيحة يضعونه فيه ثم يلقونه في وسط النار من أعلى الجبل.

وأُلقي في النار، وهاجت الملائكة وقالوا: يا ربنا خليلك أُلقي في النار، فقال الله تبارك وتعالى كما ورد ببعض الأثر: إن كان استغاث بكم فأغيثوه، فنزل إليه جبريل وقال له: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فلله تبارك وتعالى؟ قال: علمه بحالي يُغنيني عن سؤالي، فخاطب ملك الملوك ﷻ النار وقال:

﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنبياء)

لو قال الله للنار كوني برداً، لتجمد سيدنا إبراهيم من شدة البرودة، لكن الله قال: **(برداً وسلاماً)** يعني برداً لا يؤذي، وأحرقت النار الحبال التي قيدوه بها فقط، يعني حتى ثيابه لم تُحرق، ونزل سيدنا جبريل بعد أن استقر سيدنا إبراهيم في قاع النار، وأمره الله

---

٧٥ كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وكتاب ربيع الأبرار للزمخشري

تبارك وتعالى أن يُحضر له أريكة من الجنة، يجلس عليها وينام عليها، وشجرة من الجنة يأكل من ثمارها، وغرس بإصبعه في الأرض فنبعت له عين من الجنة يشرب من مائها.

وقالوا أن هذه النار استمرت حوالي شهرين، وهم ظنوا أن سيدنا إبراهيم قد أصبح فحماً، وبعد الشهرين وجدوه جالساً على أريكة لم يروا مثلها من قبل، وتحت شجرة يأكل من ثمرها، وبجواره عين ماء يشرب ويتوضأ ويعبد رب الأرض والسماء، وجالس في هذا الأمان الكبير لأنه وفَّى مع الله ﷻ، ولم يتغير قلبه من هذا الابتلاء.

ابتلاء الله للمؤمنين

وهذا يعطينا الدرس كمؤمنين ...

لأن كثير من المؤمنين يعيش في رخاء وفي نعيم وكل ما يرجوه عنده مقيم، وعندما يأتيه بلاء شديد كمرض أو مشكلة أو معضلة تجده قد خرج عن أطواره، ويجلس مع الآخرين يشكو لهم رب العالمين، ويقول: لماذا ابتلاني الله بهذا؟! ولماذا خصني بهذا البلاء؟! وفلان لا يصلي، وفلان لا يعبد الله ولم يحدث له شيء!

وهل أنت تحاسب الله؟!! ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ (٢٣الأنبياء).

هو يمتحنك، فماذا تفعل؟

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ (٣٥فصلت)

تصبر حتى تنجح في هذا الامتحان، والدنيا كلها جعلها الله ﷻ لنا امتحان، وما مواد الامتحان التي يمتحننا فيها الله؟ قال:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (١٥٥البقرة).

والجوع هو الصيام، فابتلانا الله بصيام شهر رمضان، وللأسف هناك كثير من شباب المسلمين في هذا الزمان يقول: أنا لا أستطيع أن أصوم، لأن الله فرض الصيام أيام حضرة النبي وهم كانوا أصحاء وأقوياء، لكن نحن في هذا الزمان ضعفاء، وأنا سأُخرج الفدية ويكون ليس عليَّ شيء!.

لكن الذي يُخرج الفدية هو الذي عجز طبياً عن الصيام، والذي يثبت له هذا الكلام طبيب مسلم مؤمن وتقي، ويفطر هنا اتباعاً لأمر الطبيب.

شاب مقبل على الزواج، ويحدد ميعاد زواجه قبل عيد الفطر بيومين أو بثلاثة أيام، فيقولون له: أنت مصرح لك وزوجتك بعدم الصيام، ولا أعلم من أين أتوا بهذا التصريح؟! لم تصرح بذلك دار الإفتاء المصرية ولا مشيخة الأزهر، لكن أخِّر الزواج حتى يمر العيد وافعل بعد ذلك ما تشاء!!

أما إذا أردت أن تدخل في رمضان، فلا مانع ولكن عندك الليل كله فاصنع فيه ما تشاء لكن النهار لا بد أن تكون صائماً مع الصائمين أنت وزوجتك ما لم يوجد مانع.

إذاً لا بد أن ننتبه لهذه الاختبارات، لأن الله قال لنا في القرآن

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت)

كيف يظهر هذا من هذا؟

بالإبتلاء الذي يبتلي الله به المؤمنين.

فالإبتلاء لإظهار قوة الدين، وصدق اليقين في الله تبارك وتعالى، فنجح سيدنا إبراهيم في الاختبار الأول.

والله ﷻ اختبره اختبار ثان، فحرمه من الولد:

وهذا نبي من الأنبياء ومجاب الدعاء، لكنها حكمة الله تبارك وتعالى، حتى إذا حدث لنا أو لمن حولنا شيء من هذا نقول: إنها ليست غريبة فقد حدثت مع الأنبياء، واعمل كما عمل الأنبياء سيعطيك في النهاية خالق الأرض والسماء ﷻ، لكن ستجزع من البداية وتقول: لماذا حرمني الله من الولد؟! لماذا لا يعطيني الولد؟! وما الذي بيدك لتفعله؟! هذه الشكاوي لن توصلك لأي شيء أبداً، لكن امشي على منهج الأنبياء.

سيدنا إبراهيم بلغ عمره ثمانين سنة، وجاء إلى مصر ومعه زوجته ابنة عمه السيدة سارة، وفرعون مصر بعدما حدث له نتيجة محاولته إلحاق الضرر بالسيدة سارة، أعطاهم هدية عبارة عن مجموعة من الأبقار، ومجموعة من الأغنام، ومجموعة من الإبل، وأعطاهم خادمة تخدم السيدة سارة، وهي السيدة هاجر.

ولما رجعوا إلى فلسطين قالت له السيدة سارة: تزوجها فربما يطعمك الله منها الولد، فجاء الولد، وبمجرد أن جاء الولد، وسيدنا إبراهيم سعيد بالولد فقد جاء بعد

ثمانين سنة، إلا وجاء الوحي من السماء أن تأخذ هذا الولد وأمه وتتركهما في الصحراء، وانظروا إلى هذا الاختبار؟! هل يوجد منا وفينا من يتحمل هذا الاختبار؟! سيتركهم في صحراء جرداء ليس فيها ماء ولا شجر ولا حتى حيوان.

ركب سيدنا إبراهيم البراق، وسافر إلى الموضع الذي حدده الله وهو موضع البيت الحرام الآن، وليس فيه أحدٌ أبداً، لا طيور، ولا حتى حيوانات مفترسة، ولا شجر، ولا ماء، فالسيدة هاجر قالت له: لمن تتركنا يا إبراهيم؟ فلم يرد، فكررت عليه السؤال، فلم يرد، قالت: أألله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لن يضيعنا.

ما دام الله هو الذي أمرك فلن نضيع، وهذه التربية للزوجات الصالحات.

وكان معه جراب فيه ماء، وجراب آخر فيه قليل من التمر، فتركه لهم ومشي وهو مستسلم لأمر الله، واختبأ خلف جبل الصفا، وأخذ يدعو الله:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ (٣٧إبراهيم)

دعا الله:

- أن يرسل لهم أحدٌ من البشر يوآنسهم بدلاً من أن يكونوا وحدهم.
- وأن يرسل لهم الثمرات ..
  - فأصبحت كل ثمرات العالم تذهب لمكة مع أن مكة ليس فيها زراعة، كل ما يخطر ببالك من أنواع الثمرات والمأكولات موجودة هناك طول العام، وهذا بسبب دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فنجح في الإختبار الثاني.

وجاء الإختبار الثالث: فبعد أن كبر الولد وأصبح شاباً تقياً نقياً:

رأي سيدنا إبراهيم في المنام قائل يقول له: اذبح هذا الولد، فقال: قد تكون هذه الرؤيا من الشيطان، وفي اليوم الثاني جاءت الرؤيا مرة ثانية، وفي اليوم الثالث جاءت الرؤيا مرة ثالثة، فعلم أنها رؤيا حق، فماذا يفعل سيدنا إبراهيم؟ جاء بالولد، وقال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ (١٠٢الصافات) .

الغلام يعلم أن وحي الأنبياء قد يكون مناماً، لأن منامات الأنبياء وحي، والأمر الذي فيها لا بد أن يُنفذ، يعني الوحي لا يشترط أن ينزل به جبريل، فبالنسبة للأنبياء قد يأتي الوحي عن طريق المنام: فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (١٠٢الصافات) يعني سأعينك على إتمام هذا الأمر !!

فلما عزما على إتمام الأمر هو وابنه، وأمسك بالسكين ليذبح الولد، وسلموا أمرهم لله، جاء فرج الله، ونزل الأمين جبريل بكبش سمين من الجنة فداءاً لإسماعيل، وأصبحت سُنَّة حسنة إلى يوم الدين.

اختبره الله فصدق مع الله، ولذلك كما قال لنا الله في القرآن:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت)

الصادقون هنا هم الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه، من أحكام التشريع، ومن أحكام الدين، ومن حسن المتابعة لأمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

فأول صفة يحتاجها المؤمن مع الله، ومع رسول الله، ومع مشايخه في الله، ومع جموع إخوانه المؤمنين، ومع زوجته وأولاده أجمعين، ومع كل من يتعامل معهم من المؤمنين:

- هي الصدق !!

لا بد أن يتصف بها العبد ليصحب الصالحين، وينتفع بالمواهب الإلهية التي أكرمهم بها رب العالمين تبارك وتعالى.

ولذلك كان أصحاب النبي ﷺ حتى من يقع منهم في كبيرة من الكبائر، كان لا يخشى أن يحكيها ويبينها لرسول الله، لأنها من الصدق، حتى يضمن أنه سيسأل الله له التوبة، فيتوب الله تبارك وتعالى عليه:

ذهب إليه أحد المسلمين وقال له: زنيت يا رسول الله، قال:

{ لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ لَمَسْتَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَفَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ لَا يُكَنِّي، قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ، فَرُجِمَ }[٧٦]

٧٦ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

أمر رسول الله بعد اعترافه بالزنا برجمه، وهم يرجموه قذفه أحد الصحابة بحجر فخرج الدم منه على ملابسه فلعنه، فحضرة النبي غضب غضباً شديداً، وقال له:

{ قَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ }[٧٧]

لأنه تاب التوبة الصادقة، فكان أي إنسان يقع في كبيرة أو صغيرة، يريد أن يرجع إلى الله ويتوب ويحكيها لحضرة النبي لأن الله قال في شأنه:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (النساء)

الكثير الآن يقول يكفي أن نستغفر الله، ولا نذهب للرسول أو من ينوب عن الرسول، لكن كلام الله واضح وظاهر، لأن شرط التوبة هنا:

﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ (﴿٦٤﴾النساء).

لكن نفسه تضحك عليه ويقول: لن اذهب وأعترف بذنبي وأعرض نفسي للخزي أو لغيره وسأتوب بيني وبين نفسي، لكن اسأل القرآن:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ يذهبوا لمن؟ ﴿ جَآءُوكَ ﴾ أنت، ولم يقُل جاءوا إلى البيت الحرام، لكن يأتوك أنت: ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ... ولا بد من تزكية من رسول الله: ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (النساء).

فكان أي رجل منهم يقع في خطأ:

يذهب إلى رسول الله، ويُقر أمامه بخطأه، ويطلب منه أن يستغفر له الله ليغفر له مولاه، ومشوا على هذا المنهج من الصدق مع الله تبارك وتعالى.

وعلى هذا الأمر كان ولا يزال المريدون الصادقون في كل وقت وحين ...

إذا وقع المريد في أمر لا تُحمد عقباه، ويظن أن شيخه لم يطلع على هذا الذنب ولم يره، واستمرأ ذلك، فإنه يسقط في عين الله!!! لأنه لم يوف بالعهد الذي عاهد عليه الله:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (﴿٢٣﴾الأحزاب).

---

٧٧ صحيح مسلم والترمذي

٤- زاد الصالحين

س: قيل: ((من ملأ بطنه من زاد الصالحين ملأ الله قلبه إيماناً وحكمة)) ما زاد الصالحين؟

هذه العبارة قالها الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه، وكان حكيماً، فكل أقواله النثرية حكمة، وشعره أجمل شعر الحكمة في التراث العربي بالإجماع، فكان حكيماً في كل كلمة تخرج من فيه.

وكان في زيارة لتلميذه أحمد بن حنبل ﷺ في بغداد ..

وكان أحمد عنده ابنة صالحة، ويحكي لها عن الشافعي وعن الصالحين كثيراً، فلما عرفت أن الشافعي ضيفاً عندهم أرادت أن تستكشف أخباره وأحواله.

وعند الصباح سألها أبوها: ما رأيك في الشافعي؟

واعرف معي المقاييس التي كانوا يقيسون بها رجال الله، قالت: رأيت فيه ثلاثة خصال لا توجد في الصالحين، قال: ما هذه الخصال؟ قالت:

- رأيته نائماً يتململ على ظهره من بعد صلاة العشاء إلى مطلع الفجر، ونحن كنا أعددنا له إبريق وطست ليتوضأ ويصلي القيام فلم يقم ليصلي القيام.
- ثم بعد ذلك قام إلى صلاة الفجر ولم يتوضأ.
- وقد رأيته يأكل من الطعام كثيراً والصالحون لا يأكلون إلا ما يسد الرمق!

فقال أبوها ﷺ وأراد أن يفتح لها باباً من العلم لم تصل إليه:

نسأله عن هذه الخصال ليخبرنا بما عنده فيها.

فقال الإمام الشافعي بعد أن وجهوا له هذه الأسئلة:

- أما قيام الليل إذا قمته فهو لي، وليس يشاركني فيه أحد من المسلمين، ولا ينتفع به أحد غيري، وأنا في هذه الليلة حللت مائة مسألة فقهية كلها تنفع المسلمين، فأصبح عمله متعدياً لغيره، والعمل الصالح المتعدي للغير أفضل من العمل الصالح القاصر على نفع القائم به لله تبارك وتعالى.

- وأما أني صليت الفجر ولم أتوضأ فلأني منذ صليت العشاء وأنا على وضوئي ولم ينتقض، فصليت به صلاة الفجر.
- وأما كثرة الأكل، فإن الزاد والطعام الحلال قليل في زماننا، وإذا كان هذا في زمانهم فهو في زماننا هذا أندر وأقل بكثير!!، وقال: من ملأ بطنه من زاد الصالحين ملا الله قلبه إيماناً وحكمة.

وكان حديثه هنا إشاري !!

لأن زاد الصالحين ليس الطعام العادي كالخبز والإدام فقط!

ولكن زاد الصالحين:

- العلم الإلهامي ..
- والحكمة الربانية التي يؤتيها لهم الله تبارك وتعالى ..
- والأسرار التي تُكشف لهم في معاني كتاب الله ..
- والأسرار التي تستبين لهم في أحاديث سيدنا رسول الله ..
- وغيرها من الحكم العلية التي يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

جعنا فأطعمنا الحقائق ربنا واسق الجميع محبة الغفار

الجوع هنا للحقائق الإلهية التي تُغذي القلب، وتُغذي السر، وتُغذي الخفا والأخفى، وتُغذي الروح، وتُغذي نفخة القُدُس ...

وهي بضاعة ليست موجودة إلا عند الصالحين: .... وأساسها الذي يحصلون به على هذه البضاعة:

- تحرّيهم للمطعم الحلال في الدنيا: .... فإن تحرّيهم للمطعم الحلال يُنظف بطونهم، ويُنظف الله لهم قلوبهم، ويجعل فيها ما يريد من الحِكَم الإلهية، والأنوار الربانية، والعطاءات القدسية.
  - ذلكم هو زاد الصالحين !!

نسأل الله تبارك وتعالى أن نتزوَّد به أجمعين.

٥- الرفيق في الطريق

س: هل يحتاج السالك إلى رفيق في الطريق؟

من سُنَّة رسول الله ﷺ أنه كان يؤاخي بين كل اثنين من أصحابه الأجلاء ليعينا بعضهما، أحدهما يجلس مع رسول الله يستمع إلى أحاديثه المباركة، والآخر يذهب إلى عمله، وبعد أن يعود من عمله، هذا يذهب لعمله والآخر يجلس مع رسول الله، ويجعلان وقتاً يلتقيا فيه هما الإثنان، وغالباً كان هذا الوقت بعد صلاة الفجر ويسألان بعضهما عما سمعاه من رسول الله، فيعينا بعضهما على طاعة الله ... فالطاعة تحتاج إلى الإعانة، ولا يوجد أحدٌ لا يحتاج إلى إعانة إلا إذا كان من أنبياء الله ورسل الله.

لكن الله يحكي لنا أن سيدنا موسى كليم الله مع أنه من أُولي العزم طلب من الله طلباً فقال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ﴾ (طه) وأتى بالعلة: ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾ (طه).

يعني هو وحده لن يقدر أن يذكر الله الذكر الكثير، من الذي يعينه على الذكر الكثير؟ أخوه، فطلب من الله أن يعينه بأخيه هارون.

والله ﷻ عندما ذكر قصة وقوع آدم في الخطيئة ونزوله إلى الأرض قال في سبب ذلك: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ ﴾ (طه) نسي ولم تكن عنده عزيمة قوية، وهذا النسيان يحتاج لُمذكِّر، والعزيمة القوية تحتاج لمعين، وهذا دور الصاحب، الذي يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ صَاحِب مَن إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[٧٨]

هذا الأخ الذي يُعين الإنسان إذا نسي ويُذَكِّره، ويعين الإنسان إذا ذَكر فيشد أزره ويقوي همته وإرادته، وهذه سُنَّة الله في الكون؛ أن كل واحد يكون معه أخ يعينه على سلوك طريق الله تبارك وتعالى.

---

٧٨ الإخوان لابن أبي الدنيا

٦- مُدخل الصدق

س: قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (الإسراء) ما مدخل الصدق؟ وما مخرج الصدق؟ وما السلطان النصير؟

كأن هذا السؤال يكمل السؤال السابق، فالسؤال السابق للواصلين والمتمكنين، الذين وصلوا ويريدون السلطان الذي يدخلون به.

أما هذا السؤال فللمبتدئين أو السائرين في بداية سلوكهم إلى رب العالمين، ويريدون أن يتأهلوا ويستعدوا للوصول إلى هذه المقامات.

أول سر لكي يصلوا إلى هذه المقامات؛ أن يعلم علم اليقين أن كل شيء بقدرة الله، وبتوفيق الله، وبمعونة الله، وبحول الله، وبطول الله تبارك وتعالى.

وأن يسارع إلى الجهاد اقتداءاً بالنبي ﷺ، وهو في الجهاد يعلم علم اليقين أن الوصول ليس بالجهاد، ولا بإطالة الطاعات والعبادات، وإنما هو فضل من خالق الأرض والسماوات ﷻ، فيجاهد ولا يشهد أنه يجاهد، فيشهد أنه مقصر، لأنه من منا يستطيع أن يبلغ الغاية في طاعة الله؟! لا أحد، فكلنا في أي طاعة من الطاعات نجتهد في تحسينها، وفي العمل بها كما كان يفعل حضرة النبي، ولكننا نعلم أننا مقصرين، نسهوا عن ركن من الأركان، ونسهوا عن حضور القلب والجنان ولو لحظة، ورسول الله ﷺ كان لا يغيب عن الله طرفة عين ولا أقل، .... لا في الطاعات،... ولا في الطرقات، .... لا في اليقظة، ..... ولا في المنام:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[٧٩]

فمن منا يستطيع أن يصل إلى هذا المقام؟! فهذه خصوصية للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ونجتهد في الطاعات ونزيد من النوافل والقربات، لماذا؟ لأن الله أمرنا بها، والنبي سنَّها لنا، لكنها ليست التي ستوصل بمفردها، لكن تحتاج إلى

---

٧٩ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

منة من الله، وفضلٍ من الله، وإكرامٌ من الله جل في عُلاه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٧٥الحج) فما أساس الاصطفاء في هذه الآية؟ هل الصلاة أم الصيام أم الحج أم الذكر أم أي شيء؟ لا شيء من ذلك، لأنه هو اصطفى، فلا توجد هذه الأمور كلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الحج).

ويعد هذا الذين يرغبون في التأهيل ويستعدوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧٧الحج) أجتهد في هذه الأمور، وأتعرض بها لفضل الله، ولا تظن أنها هي التي ستوصلك إلى حضرة الله، فهذا ظنٌ خاطئ، لأن الوصول بحفظ الأصول، وأول أصل من الأصول: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢١ الحديد).

والذي يُريد أن يتأهل لهذا المقام يتعرض بالطاعات والقربات والذكر الكثير الذي لا ينقطع مع الحضور مع الله منذ البدايات، وطرح الغفلة كلها بالكلية خلف ظهره.

ولكن يعتقد أنه إذا لم يشمله الله بعطفه، ولم يمن عليه برحمته، ولم يُدخله بكرمه في موائد كرمه ونعمته، فلن يحصل على الهبات، لأنه يعرف أنه مهما بلغ من الطاعات فلن يحصِّل إبليس، فمَن من البشر أجمعين من الأولين إلى الآخرين يُحصِّل إبليس في الطاعة؟! فقد عبد الله ثنتان وسبعين ألف سنة، وكان متفرغاً للعبادة، وكما ورد في الأثر أن ((إبليس عَبَدَ الله ﷻ اثنان وسبعون ألف سنة، وليس في السماوات السبع موضع شبر إلا ولإبليس فيه سجدة لله تبارك وتعالى).

لكن لأنه ظن أنه بعمله سيُقرَّب، ظهرت الآنية فيه، وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (١٢الأعراف) كيف تجعل هذا خليفة وهو لم يعبد ولم يعمل كما عملتُ أنا؟ ؟! ولم يسجد، لأنه ظن أن الخيرية بعمله، وهذا شرك، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ }[٨٠]

ولا يصل الإنسان إلى هذا المقام، ويمر من هذه الطاعات والعبادات بسلام، إلا إذا سلَّم تسليماً كلياً في هذا الجهاد لرجل من الرجال خصَّه الله ﷻ بهذا العطاء والنوال.

---

٨٠ الحاكم في المستدرك والطبراني عن شداد بن أوس رضي الله عنه

لكن بنفسه فالنفس ستطغى، ولذلك رأيت على مواقع التواصل سؤال لأحد يقول: أريد شيخاً مربياً، فرد عليه أحد الأحباب: ماذا تفعل به؟ فالإنسان يمشي بنفسه ولا يحتاج لمربي ولا غيره، ولا شيخ ولا غيره.

فأين تذهب لوحدك؟! أتعلم طرق السماء؟! هل تعرفها وتمشي فيها بدون أن تتوه، وهذا أول توهان، هل تمشي فيها بالعبادة؟! العبادة قد تأتيك بالغرور، أو تأتيك بالإعجاب بنفسك، أو تجعلك تظن أنك خيراً من غيرك، وهذه كلها حُجب قاطعة تحجب المرء عن الوصول إلى بعض فضل الله، وبعض مراضي حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فلا بد أن يكون معك طبيب نطاسي رباني يقول لك: تنبه لهذه العقبة، وتنبه من هذا العائق، وتنبه من وسوسة الشيطان لأن هذا الأمر فيه وسوسة من الشيطان وأنت غافل، وهذا الأمر فيه مدخل من نفسك حتى تبعدك وأنت غير منتبه.

نحن في هذا الزمان نجد أن أكثر السالكين يظنون أنهم سالكين، لكنهم يطيعون الحظ والهوى والنفس، ولا يريد أن يُسلِّم تسليماً كلياً!! فأنت حر..

الطبيب البشري عندما أذهب إليه وعندي مرض، فهل يرغمني على تعاطي الدواء؟ لا، يكتب لي الروشتة، فإذا استخدمتها يأتي الشفاء بالعلاج، وأراجع معه، وهذا مهم، فإذا لم تستخدمها فأنت حر، وماذا أريد منك؟ لا شيء.

إذا رُفعت إلى أعلى مراتب القرب من عليين، فلا أريد منك شيء لأنني أعلى منك أيضاً، فلن تحصلني ولن توصلني، فماذا أفعل بك؟ فهذا لنفسك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الجاثية).

ولذلك ينصح فقط، ولكنك في الأساس أنت المنتبه تمام الإنتباه لنفسك، ولا بد من ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (﴿٢٠١﴾ الأعراف) مس فقط، وخذ مع الشيطان النفس والهوى وأدخلهما معه، فلا بد أن يكون الإنسان منتبهاً لمثل هذه الأمور جيداً.

فالذين يريدون أن يصلوا إلى هذه المقامات العالية، ويدخلون على حضرة السلطان الأعظم ﷺ يعرفوا هذه الحقائق، فماذا يفعلون؟

يذهبون إلى مخ العبادة، قال ﷺ:

{ الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ }[٨١]

ودعاء بإلحاح وبحُرقة وبإخلاص وبحضور كلي، ويتحرى أوقات الإجابة ويدعو الله، ولذلك تجد كماً كبيراً من الاستغاثات والأحزاب الواردة عن الصالحين، الذي كان يستغيث في وقت السحر، ويسمي ورده الذي كان يستغيث به ورد السحر، والذي كان يستغيث ويرى أن نفسه تهزمه حتى جاءه النصر من عند الله، فيسمي الحزب الذي كان يمشي به حزب النصر، أو حزب الفتح، وكل هذا بالدعاء لتحقيق الرجاء.

فيدعو، ويقول: ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ (﴿٨٠﴾الإسراء) ومدخل صدقٍ يعني أدخلني على مُدخل ليس فيه غشٌ، وليس فيه نفاق، وليس فيه خداع، وليس فيه رياء، عملاً بقولك سبحانك:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (﴿١١٩﴾التوبة)

أول الفتح في طريق الله لمن أراد الله أن يفتح عليه، أن الله يوفقه لأن يعثر على رجل من الصادقين:

شـمس الهدايـة يـا مريـد جنـابي قـد أشرقـت وكُتبـت مـن أحبـابي

فهذه أول عناية الله بك، لأنه لو أراد الله ﷻ وقد رأى بعظمته تبارك وتعالى خداع نفسك لك، ويريد أن يختبرك فيوقعك على المغرضين، وعلى طلاب الدنيا بالدين، وعلى الذين يشتغلون بالسحر ويوهمونك أن ذلك إكرامات الله وأنهم من الصالحين، وتدور حولهم فتترك هذا فيوقعك مع آخر، وبعده واحد ثالث، فإذا انتهى العمر، فمتى تعرف الصادقين؟!.

أما الذي يحبه الله يوقعه مع الصالحين مباشرة بلا تعب ولا عناء، فكان الناس يجوبون الأرض ليقعوا على رجل من الصادقين، سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ على سبيل المثال، قطع البلاد ماشياً من المغرب لبلاد الجزائر لتونس، ولم يركب طائرة ولكن كان ماشياً على قدميه، ويتحسَّس في كل القرى والمدن ويسأل عن الصالحين ليراهم.

سافر لليبيا ولمصر وللحرمين الشريفين ولبلاد الشام، وأخيراً ذهب لبلاد العراق، وأراد الله إكرامه فالتقى برجل من الصالحين وهو سيدي أبو الفتح الواسطي تلميذ

---

٨١ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين، وكان العارفون ولا يزال الصادقين لا يريدون مريدين، ولا يريدون عدداً، فهل سنعمل حزباً؟! أو سندخل انتخابات مجلس النواب؟! وماذا سنفعل بذلك؟! نحن مجلس النواب عندنا ومجلس الشورى عندنا بالتزكية، لكن تزكية إلهية.

فلم يقُل له ابق معي، لأنه إذا كان ليس له يقول له: أنت لست عندي، وإذا كان أعلى في المقام ينظر في الكشوف كلها ويقول له: أنت عند فلان، فقال له: جئت تبحث عن القطب في بلاد المشرق، والقطب عندك في بلاد المغرب!! اذهب إلى عبد السلام بن مشيش في بلاد المغرب عندكم.

وانظر كم مشي؟! وكم عاد؟! حتى يقع على مدخل صدق، باب صدق يدخل منه على حضرة الله تبارك وتعالى.

فعندما ننظر إلى هؤلاء، وننظر إلى حالنا هذا، فنحتاج أن نشكر الله ونحمد الله في كل أنفاسنا، ولا نوفّي بقدر ذرة من عطاياه تبارك وتعالى.

فيدعو الله حتى يوقعه على مدخل صدق، ويدعو الله تبارك وتعالى أن يحفظ عليه الآداب، وأن يجمّله بجمال الأحباب، حتى لا يقع في مطبّ يجعله يسقط عن صحبة هؤلاء الرجال: ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ (الإسراء) لماذا؟ حتى أحافظ على آداب هؤلاء القوم، لأن الأدب هداية من الله وتوفيق من الله.

والأدب مع الصالحين والأولياء رغم ما كُتب عنه في كتب الصالحين السابقين والمعاصرين إلا أنه في البدء والختام هو ذوق يتلقاه الإنسان بصفاء قلبه ونقاء فؤاده من الله مباشرة إن أراد الله به خيراً.

ولذلك تجد أحياناً بعض المريدين لم يقرأ كتب ولا شيء نهائياً ولكنه محبوب بدرجة لا تُقاس لشيخه، لماذا؟ لأن هذا الرجل تأتيه إلهامات بالأدب المطلوب، وينفذ ذلك بذوق رفيع مع الشيخ وأصحاب الشيخ، لأن هذا هو الجمال الذي يجمله به رب العزة تبارك وتعالى.

إذا ترقَّى في هذه المقامات:

﴿ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (الإسراء)

٧- حِلية المريدين

س: ما حلية المريدين؟

هذا بابٌ واسع، الحلية يعني الجمال الذي يتجمل به المريدين، ونحن نركِّز على الجمال الذي يُحبه الله ﷻ من المريد الصادق، ويُحبه الشيخ من المريد الصالح، ويُحبه الأحباب من المريدين الخيرين الأطهار بينهم.

أول هذه الجمالات التواضع، وهو أن لا يرى لنفسه بين أحبابه وإخوانه حالاً ولا مقاماً، وأن لا يرى نفسه أفضل من أي رجل منهم مهما كان شأنه، بل يرى نفسه أنه أقلهم شأناً ومقداراً، لأنه لا يعلم خفايا القلوب إلا حضرة علام الغيوب.

وإذا رأى بعضهم بعين الظاهر غير مكثرين في الطاعات، يقول: لعلهم بينهم وبين الله أحوال خفيات، لا يُطلعون عليها غيره، فضَلهم بها الله تبارك وتعالى.

ويقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ: **((إذا رأى المريد عالماً من أحبابه يقول: هو خيرٌ مني لأنه سبقني بالعلم، ويقول العالم منهم عن الجاهل: هو خيرٌ مني لأني أُحاسب حساباً شديداً ويُحاسب حساباً يسيراً، ويقول الكبير عن الصغير: هو خيرٌ مني لأني سبقته بالمعاصي، ويقول الصغير عن الكبير: هو خيرٌ مني لأنه سبقني بالطاعات)).**

كل رجل منهم يرى الخير في إخوانه، ولا يرى إلا عيوب نفسه، وقد قيل: ... **((كفى بالرجل إثماً أن يرى الخير في نفسه، والعيب في إخوانه)).**

فالرجل المتواضع هو من لا يرى لنفسه شأناً، إلا إذا أكرمه مولاه ووضع له ورفع له شأنه بين خلق الله، ويرى ذلك الإكرام محض فضل من حضرة الله تبارك وتعالى.

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في حالة الأحباب عند ذهابهم إلى روضات إخوانهم:
((اذهب كمريض يُستشفى وليس كطبيب يداوي، واذهب كجاهل يتعلم وليس كعالمٍ يُعلِّم، واذهب كضعيف يتقوى بإخوانه، وليس كقوي هو الذي يتولى إعانة إخوانه، واذهب كفقير يحتاج إلى عواطفهم ورضاهم، وليس غنيٍّ عما خصَّهم به مولاهم)).

فهذه الصفات هي صفات العبيد هي التي يحبها الله، وهي التي يحبها الصالحون من عباد الله، وهي التي ترزق العبد محبة المحيطين به من رجال أهل الله تبارك وتعالى.

يقول سيدي أبو اليزيد البسطامي رضي الله تبارك وتعالى عنه: ((أوقفنى الله تبارك وتعالى بين يديه فقلت: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون۞ قال: بما ليس فىَّ۞ قلت: وما الذى ليس فيك يا رب۞ قال: الذل والجهل والفقر))

والذل هنا لا يكون هنا إلا لله، والفقر هنا لا يكون إلا للأغنياء بالله، والله ﷻ يقول عن المؤمنين الصادقين: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة) وكما ورد ببعض الأثر توضيحاً هذه الحقيقة: (((ليس من أخلاق المؤمن المَلَق، إلا في طلب العلم))).

يتملق للعالم، ويتذلل للشيخ الصالح، رغبة فيما عند الله، وطلباً لعطاءات الله التي تتنزل على قلب هذا العبد فضلاً من الله، قال ﷺ:

{ أَحِبُّوا الْفُقَرَاءَ وَجَالِسُوهُمْ }[٨٢]، وقال:

{ اتَّخِذُوا الأَيَادِي عِنْدَ الْفُقَرَاءِ فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٨٣]

والفقراء في هذا الحديث هم المعنيون بقول الله: ﴿ *يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴿١٥﴾ (فاطر) المفتقرون في كل أنفاسهم، وفي كل أوقاتهم، وفي كل حالاتهم إلى فضل الله وإكرام الله وعطاء الله، لأنهم لا يرون فضلاً ولا خيراً إلا بالله ومن الله، فالكل يمد يديه إلى عطاء الله، وإلى إكرام الله جل في علاه.

فصفات السالك الصادق، والمريد سليم القلب، التي بها يحبه الله ورسوله والمخلصين من عباده، هي صفات العبيد، وهي التواضع وقد أشرنا إليه، وخشية الله، والإقبال على الله بالإخبات، والإخلاص .. كل هذه الأوصاف النورانية القرآنية هي جمال المريد الذي يرجو المزيد.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين لهم الحسنى، ولهم عنده المزيد.

---

٨٢ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه

٨٣ المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٨- إيتاء الحكمة

س: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ (البقرة ٢٦٩) لِم لم يقل (يُعلِّم الحكمة) وما الفرق بين التعلم والإيتاء؟

الإيتاء منحة من الله ﷻ، يهبها الله لمن تعرض لهذه الأنوار الحِكَمية الإلهية، وأهمها بجانب ما ذكرناه قبل ذلك أن يتجمل بالصمت، فلا ينطق إلا نذراً، ولا يتكلم إلا إذا طُلب منه الكلام، ويتكلم بكلام يُفصِّله في نفسه أولاً، حتى لا يندم على كلمة خرجت من فيه، أو كلمة نابية وجهها لأخيه، وإنما يفرز االكلام قبل خروجه، ويتفحصه، ولذا قال ﷺ:**{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ }**[٨٤]

فإنه يُلَقَّن الحكمة، أو يُلَقِّن الحكمة كما في بعض الروايات، والروايتان تُكملان بعضهما، فهو في البداية يُلَقَّن الحكمة من الله لأنه في طور التعرض لفضل الله، والحكمة ليس هناك عمل ولو حتى عملاً صالحاً يجعل المرء يستحق أن يكون حكيماً ويحصل على الحكمة من الله، وإنما هي كما قال الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الجمعة ٤) فهي فضل من المتفضل ﷻ يسوقه إلينا بلا علة ولا عمل ولا سبب، وإنما فضل منه تبارك وتعالى، ولكن كل المطلوب منا التعرض لهذا الفضل، بمجالسة الحكماء، وتعلم الإنسان منهم أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم حتى يتشبه بهم في كل أحواله وفي كل أفعاله فينال ما نالوا بفضل التشبه بهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

والأمر الثاني الذي يُعرِّض الإنسان للحكمة غير الصمت: أن يُخلص الإنسان لله تبارك وتعالى أربعين يوماً على الأقل متتالية .. لقوله ﷺ:

{ مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا؛
إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ}[٨٥]

---

٨٤ الرسالة القشيرية وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير رضي الله عنه

٨٥ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

ملأ الله قلبه بالحكمة، فإذا امتلأ القلب فاضت الحكمة من القلب على اللسان، فينتفع به المجالسون له من بني الإنسان.

أما لو كانت الحكمة تَعَلُّم – كما قال السائل – لاحتاجت إلى مجالسة بين يدي مُدرِّس يُدَرِّس له ويُلقِّنه ويُعلِّمه، والمعلِّم للحكمة هو الله ﷻ، المنزه عن الحركات والسكنات، وعن الجلوس، وعن النظر، وعن اللحظات، لأنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (١١الشورى).

فهو سبحانه تعالى يهب لمن يشاء بما يشاء كيف شاء لأنه فعال لما يريد، نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا منه المزيد تلو المزيد، وأن يجعلنا من أهل المزيد.

الاقتداء الأمثل بالنبي

هؤلاء ينظروا إلى أصحاب حضرة النبي ﷺ، وكانوا أصناف شتَّى، فيبحث عن الصنف الذين أمر الله رسول الله أن يصبر نفسه معهم: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) يريدون وجه الله.

هؤلاء كانوا حول حضرة النبي، فماذا كانوا يعملون؟ حضرة كان النبي إذا سُئل في أمر يفتي في الإجابة باليسر، لأنه ميسر:

{ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا }[٨٦]

ولكن عندما يطبق هذا الأمر على نفسه كان يأخذ نفسه بالأشد، ومن هنا كان خيار العلماء يمشون على هذا النهج، فييسر لغيره، وإذا شدد يشدد على نفسه، غير بعض العلماء الجدد الذين يشددون على غيرهم وييسرون لأنفسهم!.

فهؤلاء الذين حول النبي صلى الله عليه وهم الثلة المقربين كانوا عندما يأمر سيدنا رسول الله ﷺ بأمر يقولون ننتظر حتى نرى كيف سيفعله رسول الله لنعمل مثله، لأن هذا الأمر يقوله للبسطاء وقليلي العزيمة والناس العاديين لكن طلاب المجد الأعلى في النظر إلى حضرة المولى يريدون همة أعلى وأرقى وأسمى.

إذاً منهم من كان يعمل بقوله، ومنهم من كان يعمل على ضوء فعله، وفرق كبير

---

٨٦ صحيح مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

بين هذا وذاك، فالذي يعمل بقوله يأخذ الأيسر، ومعه الحجة، وهو على خير، لكن أهل الخصوصية والذين يريدون الأفضلية الإلهية لا بد أن يقتدي برسول الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ لكم أسوة في رسول الله نفسه وليس فيما قال رسول الله: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ ويستعين على ذلك بذكر الله: ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢١الأحزاب).

فكانوا يقتدون بفعله، ولا ينظرون إلى قوله لأنهم كانوا يعتبرون هذا القول للضعفاء، وهم يرون أنفسهم أشداء وأقوياء فيأخذون بالأشد في متابعة رسول الله ﷺ.

فالذي يمشي في رحاب الصالحين ويحبهم يكون كالصنف الأول، ويكون معهم في الجنة إن شاء الله وفي الآخرة، وهو على قدره، فيأخذ بأقوالهم وييسر لنفسه.

لكن الذي يريد أن يكون منهم، يعني يرث شيء من رسول الله، وله نصيب من الأحوال، ونصيب من المواهب الإلهية، ومن الفتوحات الربانية، فهذا شيء آخر، الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه فسر هذه المعادلة في كلمتين، فقال: ((من كان معنا فَقِه المعنى، ومن كان منا نال المنى)) وفرق بين هذا وذاك.

الذين يجلسون في مجالسنا كلهم مكرمين، لأنهم سيفقهون المعاني الجميلة التي نتكلم فيها إن كان عن أحوال كتاب الله، أو عن رسل الله وأنبياء الله، أو عن أسماء الله وصفات الله، ولكن هؤلاء لا يرثون شيء مني، ومَن الذي يرث؟ من كان مني، فهذا الذي له نصيب في الميراث، فالذي يريد أن يكون له ميراث من العلم الإلهي، أو النور الرباني، أو السر الروحاني لا بد أن يقتدي بأفعال رسول الله ﷺ.

والصنفان مطالبان بأن لا يكون له رأي مع رأي رسول الله ﷺ، لأن خيبات كثير من المسلمين في هذا الزمان أنهم يحاولوا أن يجتهدوا في الخروج عن النص وعدم متابعة رسول الله ﷺ بتحويرات فرعية، وبفلسفة منطقية حتى يُبعدوا الناس عن الرضا بقول رسول الله، مع أن الله قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣٦الأحزاب) ..

إذا قضى الله ورسوله أمر وخالف أحدٌ الأمر فهو عاص:

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣٦الأحزاب)

فالذي يريد الفتح الإلهي ماذا يفعل؟ يبحث عن رجل يكون أقرب الناس شبهاً بسيدنا رسول الله ﷺ، ليس في الشكل ولكن في أحواله وأفعاله وأخلاقه وصفاته صلوات ربي وتسليماته عليه حتى يتشبه به، ويكون في يوم من الأيام صورة من هذا الرجل، في هذه الحالة أصبحت أنا صورة منه ونسخة منه، ويكون لي الحق في هذا الميراث الذي ورثه من رسول الله ﷺ، ولا يوجد باب غير ذلك.

لأنك لو مشيت مع قطب الأقطاب، ولكن عقلك مستيقظ، وتقيس كل الأمور بالموازين العقلية، فلن يكون لك نصيب، وسيقولون لك: هذا فراق بيني وبينك، فيرمي الموازين العقلية ويأخذ الموازين القلبية، لأن الذي يمشي مع الصالحين لا بد أن يقتل الغلام، والغلام إشارة إلى العقل، كيف يقتله؟ لا يجعل له تحكم في أحواله، ولكن الذي يتحكم في أحواله أحوال الرجال الذين يُحكِّمهم في نفسه.

فيهد النفس حتى يجد أنه صورة من الشيخ إن كان في حركاته، أو في سكناته، وأحياناً في صوته، والذي يراه يقول: هذا يُذكِّرنا بالشيخ فلان!، وهذا سر الفتح .. لكن السعيد بنفسه، والمعتز بنفسه، ولا يريد أن يغير نفسه، ويرى أنه لا أفضل من ذلك، فكيف يرث هذا؟! وكيف يأتيه فتح؟! ومن أين يأتيه الفتح؟! لأنه لم يمش على المنهج الذي مشى عليه الأولين والآخرين، وهو المنهج الرباني الذي مشى عليه أهل الفتوحات من البداية إلى النهايات.

وعندما يعجز الإنسان عن أمر أو يتحير في أمر ماذا يفعل؟ يسأل! ولكن يسأل من؟ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧ الأنبياء) أهل الذكر .. وليس أهل العلم، ولماذا يسأل أهل الذكر؟ حتى لا يكون له إرادة مع إرادة شيخه.

عائق الإرادة

وعندما يصل إلى أُخُوة شيخه لا يكون له إرادةٌ مع إرادة نبيه، وعندما يصل إلى أُخُوة نبيه لا يكون له إرادةٌ مع إرادة الله، فلا يكون له إرادة في كل الأحوال:

مـــرادي أو مـــرادك قـــد يكـــون فســـلِّم لا تُغـــيرك الشـــئون

هذا هو العائق الأكبر للأحباب الذي قد يكون لأحدهم خمسون عاماً أو أكثر أو أقل ولم يصل للفتح، لأنك لم تسلِّم، بدليل أن لك شخصيتك المميزة وتريد أن تظل لك شخصية مميزة ولا تريد أن تذوب في إمامك أو في شيخك أو في سيدنا رسول الله ﷺ.

والشرط هنا للسالك أن يذوب حتى يأخذ ما يتمناه، فيتخلى عن أوصافه ليُجملوه بأوصاف الحبيب ﷺ.

بمعنى آخر، أنا مطلوب مني حتى أنال الفتح أن أُنفذ مراد الشيخ لي، أم مرادي أنا؟ مراد الشيخ، لكن الكل يريد أن ينفذ مراده هو، وهذا سيظل مكانه، لكن لا بد أن تُسلم مرادك لمراده.

أيضاً هل يجب أن ننفذ مراد رسول الله أم مرادنا نحن؟ مراد رسول الله، لكن من الذي يفعل هذا؟! الكثير ينفذ مراد النفس والهوى وهو الذي يتحكم فيهم، هل يجب أن ننفذ مراد الله أم مرادنا نحن؟ مراد الله، لكن من الذي يفعل هذا؟! أريد أن أراه:

أروني فتىً ذكر الإله مصدقاً ولم ير نور الوجه في كل حيطة

أروني أي إنسان صدق في هذا الأمر ولم ير نور الوجه في كل حيطة، لكن المشكلة في جهادك أنت، وهو أن تتخلى عن إرادتك لإرادة الله.

وهذا الكلام شرحناه ووضحناه في كتابنا (موسى والعبد الصالح) وكيف ترقى العبد مع موسى عليه السلام في التربية الروحانية ...

في كلمة أردت فقط، فأول شيء قال له: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (٧٩الكهف) كان له إرادة، وهذا لا يجوز، لأنه لا بد أن تتحد إرادتك مع إرادة الله فقال بعدها: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الكهف) انتقل إلى المرحلة الثانية، ولكن هناك أكثر من ذلك، فلا بد أن تنمحي إرادتك بالكلية ولا يبق إلا إرادة الحضرة العليه فقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (٨٢الكهف) ...

هذه هي مراحل السير والسلوك.

ومعظم الأحباب يصر على إرادته، ويشاور الشيخ في أي أمر، ولكن لأنه يريد أن ينفذ إرادته يؤول كلام الشيخ، ويقول الشيخ يقصد كذا وكذا، وهذا لا يجوز إلا إذا كان من القلوب إلى القلوب شراب.

وهذا هو الأساس كله، تترك نفسك ويكون الود بينك وبين شيخك من القلب للقلب، فكل الذي ينزل هناك ينزل عندك، قال ﷺ:

{ مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شَيْئَاً إِلَّا وَصَبَبْتهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ }[٨٧]

في هذا الحال أنا سأعرف ما يريد الشيخ بدون أن يتكلم، لأنه من القلب للقلب رسول؛ .. لكن نريد أن نأخذ كل الهبات والعطاءات ونحن كما نحن، لا نتغير ولا نتبدل، ولا نجاهد، وهذا محال: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت) فالحق أحق أن يُتَّبع، وأين: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (الحج)

الصحابة رضي الله عنهم فازوا وجازوا بهذه النقطة، وهي حسن المتابعة لرسول الله، باتِّباعه في أفعاله لا في تصريحاته وأقواله، وفناء إرادتهم في إرادة الحبيب ﷺ، فكان عندما يخبر رسول الله اي رجل أو امرأة أو فتاة بأمر، يكون الأمر ما قاله رسول الله ﷺ.

الفتاة التي أرسل رسول الله ﷺ سيدنا بلال وأخيه ليخطباها لأحدهم، واعترض أبوها، فقالت الفتاة وهي خلف الستار: يا أبت أترد من أرسله رسول الله ﷺ؟!! لا يكون ... ما دام رسول الله هو الذي أرسله فهو الأعلم بما يصلح لنا، فنُسلِّم فوراً لهذا الأمر، والقصص كثيرة في باب التسليم المطلق لرسول الله ﷺ.

وهذا الكلام حتى في عالم المنتجات التي حولنا، مثلاً أنا تعودت على شراء صنف حلو من الرمان من بستان محدد، ولكن وجدت مرة رمانة بطعم يخالف الطعم الذي تعودت عليه من هذه الحديقة، فأقول لصاحب الحديقة: هل عندك شجر مخالف؟!.

الابن صورة أبيه

كذلك نفس الأمر، تعوَّد الناس من القديم أن أتباع أي رجل من الصالحين يكونوا صورة على قدرهم من هذا الرجل الصالح، فإذا رآهم أي أحد يقول: هذا يُذكِّرنا بفلان الصالح في الأخلاق والهدي والسمت والرحمة والشفقة والعطف والحنان في كل الأمور.

نحن لماذا كنا نصحبه؟

لنقتدي به، هل رأى أحد فينا رسول الله ﷺ كيف كان يُكرم ضيفه؟ لا، أنا رأيته عندما رأيت شيخي الشيخ محمد علي سلامة ﷺ كيف كان يُكرم ضيفه فتعلمت منه.

لكن أنت رأيت شيخك أكثر من مرة، ورغم ذلك تُصر على منهجك!!

---

٨٧ أورده ابن الجوزي، وابن القيم

فهل تعلمت شيء؟ لا، هل هذه بنوة؟ لا، ولا أُخُوة، وهكذا !!

فمعالجة كل الأمور أتعلمها من الرجل الحي، والرجل الحي يمثل الصورة القريبة من رسول الله في زمانه الذي أستطيع أن أتبعه وأمشي على هداه، والذي قال الله لنا فيه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران) اتبعوني في شخص القائم مقامي في زمانكم وعصركم وبلادكم.

لأننا كيف نتبع رسول الله ونحن لا نراه؟! فالصلاة قال لنا فيها رسول الله ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٨٨]

وهل رأينا رسول الله كيف كان يُصلي؟ لا، لكن رأينا القائم مقامه كيف كان يُصلي مثله تماماً وطبق الأصل.

مجالسنا التي نعملها، هل رأيت الإمام أبا العزائم كيف كان يعمل هذه المجالس؟

لم يحدث، فقد انتقل قبل ميلادي، لكني رأيت المجالس التي كان يعملها الشيخ محمد على سلامة وأطبقها بحذافيرها، حتى قراءة الفواتح في ختام المجلس هي نفس الفواتح التي كان يقولها.

أحياناً أطلب من بعض الأحباب أن يختم المجلس فأجده يجتهد ويخرج عن النص!، ونحن لم نتعود على ذلك، لكن تعودنا حذو الحبيب القد بالقد والنعل بالنعل، وهذه هي المتابعة التي علَّمها لنا أصحاب رسول الله ﷺ.

سيدنا عبد الله بن عمر كان مسافر من مكة إلى المدينة وفي موضع ما نزل وصلى ركعتين، فسألوه عن سر ذلك، فقال: كنت مع رسول الله ورأيته قد صلى ركعتين في هذا المكان فلا بد أن أفعل كما رأيته، ... الطريق يريد ذلك، متى اجتهد؟

إذا وصلت واتصلت وأخذت الإذن، فيُسمح لي بباب صغير من الاجتهاد، وهذا ليس اجتهادي ولكن إمداد من رب العباد، وإلهام من الله تبارك وتعالى.

هذا لب الموضوع لمن أراد أن يحظى بالعطاءات والهبات، نسأل الله ﷻ أن يُكرمنا بذلك أجمعين، وأن يجعلنا من خاصة المقربين في الدنيا ويوم الدين.

---

٨٨ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه

٩- الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة

س: قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾ (٨٥النساء)، نرجو إلقاء الضوء على هذه الآية؟

الشفاعة الحسنة: هي الشفاعة في الخير، كأن أشفع في إنسان ليأخذ حقه عند رئيسه، أو ليأخذ حقه من إخوته في الميراث، أو ليأخذ حقه من جيرانه إن حدث بينهم أمر فيه شقاق أو فيه خلاف، إن كان جيرانه في الأرض أو جيرانه في المنزل، وهكذا تكون الشفاعة في الخير، والرجل صاحب هذا الأمر عنده بعض القصور يُشعره بأنه عاجز عن الوقوف أمام هؤلاء والحصول على نصيبه من الخير.

أما الشفاعة في الشر فهي زورٌ وبهتان، كأن أشفع لإنسان بأن له حق وأنا أعلم علم اليقين أنه ليس له حق، أو أشفع له بأن أزعم أن حقه يزيد عن الذي أخذه بكذا وكذا وأنا أعلم علم اليقين أنه أخذ حقه واستوفاه، ... فهذه شفاعة سيئة لأنها تعطي الحق لغير أهله.

أو أشفع فيمن ارتكب إثماً أو بهتاناً أو ضرباً أو شتماً أو قتلاً لأحد إخوانه، وأريد أن يخرج من هذه القضايا وليس عليه شيء، ولا يُعاتب على هذا الأمر، ولا يأخذ نصيبه من الأحكام اللائقة عليه في هذا الأمر، وهذا مثل المحامي الذي يدافع عن قاتل، ويعلم أنه قاتلٌ عن عمد وإصرار، فكيف أدافع عنه ولو كان سيأتيني بمال يضاهي مال قارون؟!! أنا غنيٌ عن هذا المال لأنه مال حرام، لأنني أدافع عن باطل، ولا ينبغي أن أدافع عن باطل.

أو مَن يدافع عن الرجال الظالمين ظلماً معلوماً لزوجاتهم ونسائهم، وما أكثرهم في هذا الزمان، فيرى ويعرف الإثباتات كلها واضحة أن هذا الرجل ظالمٌ لهذه المرأة، وأنه لا يريد أن يعطيها حقوقها الشرعية، ولا يريد أن يسلمها ممتلكاتها الشخصية، بل قد يأخذ هذه الممتلكات ويدَّعي أنها سرقتها، وهذا كله شفاعة باطلة.

أو أشفع فيمن لا يستحق وظيفة من الوظائف، وأنا أعلم أن هناك من هو أولى بها منه، وأذهب إلى من يملك القرار لمعرفتي به أو لصلتي به وأجعله يصدر القرار لمن لا

يليق، ويترك الذي يليق، وهذا أيضاً ما أكثره في هذا الزمان!! .. كل هذه الشفاعات شفاعاتٌ باطلة، وشفاعات تجعل من يشفع فيها عليه إثمٌ، كإثم الذي شُفِّع فيه تماماً بتمام، لأنه شريكه في هذا الإثم وهذا الظلم وهذا العدوان.

١٠- الفرقة بين الإخوان

س: ما الذي يفرق بين الإخوان في الله؟

الذي يفرق بين الإخوان في الله عدة أمور:

الأمر الأول: حب الدنيا، إذا دخلت الدنيا بينهم في أي عمل، وفي أي تجارة، وفي أي مشاركة بدون الضوابط الشرعية، فإنها تؤدي إلى الخلافات بينهم، وربما تؤدي – والعياذ بالله – إلى عداوة شديدة فيما بينهم.

الأمر الثاني: التنازع على المناصب الرياسية، كأن يريد أحدهم أن يكون زعيم الأحباب في بلد، والآخر ينافسه، وهذا تنافسٌ غير شريف، أما التنافس الشريف فيكون في طاعة الله، وفي عبادة الله، وفي خدمة خلق الله، وفي التقرب إلى الصالحين من عباد الله، وفي عمل البر والخير إلى جميع خلق الله، لكن التنافس في الرياسة هذا مرضٌ إبليسي، نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظنا منه أجمعين.

الأمر الثالث: لا تخلوا جماعة أياً كانت من نفر من المنافقين، والمنافقين بضاعتهم الأساسية التفريق بين المتحابين، عندما يجدون نفراً ولو قليلاً بينهم ودٌّ وصفاء ومحبة ووفاء، لا يستريحون ولا يهدأ لهم بال ولا يستقر لهم بال، حتى يفرقوا بينهم، لأنهم جنود الشياطين في الأرض، وإليهم يقول الله: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (﴿١١٢﴾الأنعام) شياطين الإنس قدمهم الله على شياطين الجن، لأنهم يجالسون ويحادثون، فهم أشد خطراً منهم.

وشياطين الإنس هم بعض المتسلقين للمنافع، ويدخلون مع القوم رغبة في منافع دنيوية، أو منافع عاجلة، ويكتمون هذه الرغبة لأنهم يعلمون أن هؤلاء القوم مخلصين وصادقين، حتى تسنح لهم الفرصة للحصول على ما يريدون، وهؤلاء هم أشد الناس خطراً على الإخوة المتحابين من جنود إبليس أجمعين، ولذلك يجب علينا أن نعمل بقول الله: ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ (﴿٧١﴾النساء) نحذر من هؤلاء القوم، فمن نقل منهم كلاماً لي

من أخ حبيب، سينقل مني كلاماً إليه، وناقل الكلام بين المحبين شيطان في صورة إنسي، لأن الفتنة أشد من القتل وكذلك الذي يتقوَّل على المحبين أقاويل لم تخرج منهم ولم تتفوه بها ألسنتهم وينسج خيوطاً وقصصاً واهية للإيقاع بينهم، هذا كذلك من شياطين الإنس.

فالدنيا، وحب الرياسة، وشياطين الإنس وهم المنافقون وطلاب الدنيا، هم الذين يفرقون بين الأحبة، ... نسأل الله أن يجمع شملنا أجمعين، ونظل معاً تحت لواء سيد الأولين والآخرين في الدنيا ويوم الدين.

١١- التدخل في حياة الآخرين

س: هل يجوز لمسلم أن يتدخل فى حياة أخيه المسلم القريب له، أو الجار، أو الصديق، فيتدخل فى حياته الشخصية أو مع أهله لحل مشاكلهم؟

نهى رسول الله ﷺ المسلم أن يسأل أخاه المسلم إن كان صديقاً له، أو قريباً له، أو جاراً له، أو زميلاً له في العمل، أو أخاً له في طريق الله، عن سبب الخلاف بينه وبين زوجته إذا علم أن هناك خلاف بينهما ... لأنه قد يكون هذا الخلاف أمر لا يستطيع أن يبوح به، ولا أن يتحدث بشأنه، ولكن إن كان ولا بد فاعلاً فالنصيحة بالطريقة الصحيحة، وفيها التلميح وليس التصريح، بل التلويح لمثل هذه الأمور ومثل هذه المشاكل إذا كان يستطيع أن يأتي بأدلة من أحوال أصحاب حضرة النبي وغيرهم من سلفنا الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فعليه أن يتدخل بالنصيحة إن كان يسمع له، ويعلم أنه يستجيب لما يقوله له، ويوجه زوجته أو أخته أو امرأة قريبة لزوجة هذا المسلم، فتنصحها فيما بينها وبينها بالطريقة الصحيحة الإسلامية، ولا تشنع عليها، ولا تحكي شيئاً أمام غيرها.

لكن لا يجوز لأخ أن يجلس بين رجل وزوجته ليبحث مشاكلهم، فإن الله ﷻ حسم هذا الأمر في كتاب الله، فإذا تفاقمت المشاكل عليهما معاً أن يذهبا إلى واعظ أو مُذكر يذكرهما بالواجب عليهما في هذا المجال، ولا بد أن يكون هذا الواعظ أو المذكر معه تزكية من الله ورسوله، فضلاً عن حصوله على درجة علمية شرعية وفقهية، ونعلم علم اليقين أنه على دراية بهذه المشاكل العائلية.

وهذا بدايةً، فإذا لم يصلح ذلك شأن هذين الزوجين نفعل كما قال الله تعالى حاسماً القضية: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ (٣٥النساء)

هو يختار رجلاً قريباً منه يكون له تأثيرٌ عليه، وخضوع منه له، والزوجة كذلك تختار رجلاً قريباً لها إن كان أباً أو أخاً أو خالاً أو عماً، ويُستحسن أن يكون من ذوي محارمها، ويهمه أمرها، وهي تخضع له وتستمع له، فإذا اجتمعا بنية الإصلاح فإن الله يُجري الصلح من عنده تبارك وتعالى ببركة النية.

ورد أن رجلاً وامرأة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ اختلفا فيما بينهما، فنفذ عمر كتاب الله وأرسل حكماً من أهله وحكماً من أهلها، فذهبا وأخبرهما أن يخبراه بالنتيجة، ورجعا وقالا لم يتحقق الصُلح، قال: إنكما لم تكن في نيتكما الصُلح، أصلحا نواياكما وارجعا يتحقق المراد إن شاء الله، فأصلحا نواياهما وتابا واستغفرا من خباياهما وذهب ورجعا وقالا: تم الصُلح والحمد لله، قال صدق الله تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ (٣٥النساء)

أي إذا صدقت النية تحققت الأمنية، وجاءهم التوفيق من الله وتم هذا المراد على أيديهما لصفاء قلوبهما وطيب نيتهما.

١٢- العلاقات الأسرية بين الأسر المسلمة

س: كيف تكون العلاقات الأسرية بين الأسر المسلمة بعضهم ببعض، رجالاً ونساءاً، وخاصة الزيارات العائلية بينهما؟

العلاقات الأسرية بين الأسر الإسلامية ينطبق فيها قول الرسول ﷺ لكل الأمة:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[٨٩]

إذاً تُؤسس هذه العلاقات على المودة والمحبة والأُلفة والشفقة والعطف والحنان والرحمة بكليهما لبعضهما، ومن هنا يُنزع منهما كما قال الله:

٨٩ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر)

فإذا كانت القلوب من الطرفين مملوءة بالشحناء أو البغضاء أو الكره أو الغيرة أو الحقد أو الحسد لبعضهما، إن كان في مال، أو كان في هيئة، أو في مسكن، أو في أولاد، أو كان في أي شيء، فلن تنفع هذه الزيارات مع وجود هذه الأعراض المرضية.

إذاً لا تتم الزيارة بين عائلتين مسلمتين إلا إذا نُزع من صدروهما الأثرة والأنانية والبغض والحقد والحسد والغيرة، ووُضع في قلوبهم لبعضهم المودة والرحمة والأُخوة والشفقة والعطف والحنان.

وإذا تمت الزيارات تكون في أوقات لم يمنع الإسلام فيها الزيارات، فلا يجوز أن تكون الزيارات في وقت الظهيرة، ولا بعد صلاة العشاء بوقت يكون هم يتجهزون فيه للنوم، ولا قبل صلاة الفجر.

لكن تكون بعد صلاة العصر أو في صباح يوم عُطلة من بعد العاشرة صباحاً، أو تكون بعد صلاة المغرب، أو بعد العشاء على أن نحافظ معاً على أداء الصلاة في أوقاتها، ولا ننشغل بالزيارة فنترك هذه الفرائض الإلهية التي أمرنا الله بالحفاظ عليها: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة)

فإذا قمنا بالزيارة يلزمنا عدة أمور:

الأمر الأول: أن نكون في كمال الحيطة من ناحية الزي الشرعي، فتذهب المرأة إلى أختها أو إلى صديقتها مع زوجها أو مع محرم لها، ويتأكدون أن هناك مع الزوجة الأخرى أحد محارمها، وترتدى الزي الشرعي، فلا يظهر منها إلا الوجه والكفان، ولا تضع زينة على وجهها، لأن الزينة لا تجوز للمرأة إلا في بيتها إذا كان لم يرها إلا زوجها.

الأمر الثاني: إذا اصطحبوا معهم أولادهم يؤدبونهم بالأدب الواجب على المسلم إذا ذهب إلى بيت الآخرين، فعليهم أن يلتزموا بالأدب التام، ولا يعبثون بالأشياء ويحركونها يميناً وشمالاً، وأهل البيت يستحيون أن يكلمونهم ونحن لا نكلمهم، ومثل هذا لا يليق بين المسلمين الأتقياء الأنقياء.

الأمر الثالث: ألا يكون بيننا كُلفة، لأن الكُلفة تُذهب الأُلفة، فإذا ذهبنا لزيارتهم وتكلفنا شراء بعض الهدايا لهم، وهم قد لا يطيقون أن يبادلونا بأمثال هذه الهدايا، لذلك لا يجوز لنا أن نأخذ هدية إلا إذا كانت هدية رمزية، ولا ننتظر المقابل من وراء ذلك، بل

نعطي لهم هدية غير مردودة، فإذا ردوا عملاً بقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (النساء ٨٦)

فبها ونعمت، وإذا لم يردوا نكون قد أخذنا لهم الهدية لله، عملاً باحديثه ﷺ:

{ تَهَادَوْا تَحَابُّوا }[٩٠]

ولتكن هذه الهدية شيء ينتفعوا به في حياتهم العملية، فمعظم الهدايا التي يأخذها الناس أصناف من الحلوى كالجاتوه وغيره، وهذا لا ينتفع به الضيف ولا المضيف، لكن علَّمنا شيخنا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ إذا أخذنا شيئاً لأحبابنا عند زيارتهم، أن نأخذ شيئاً يسد بعض احتياجاتهم، فإذا كان فقيراً لا يستطيع شراء اللحم، نأخذ له قدراً من اللحم، وإذا علمنا أنه في حاجة شديدة إلى بعض البقوليات، أخذنا له بعض البقوليات، وإذا علمنا أنه لا يستطيع أن يطبخ بالسمن لا مانع أن نأخذ له علبة سمن، وإذا كان مكان ليس فيه أُرز، أخذنا له أُرز، المهم أن نأخذ له شيئاً ينتفع به ويسد شيئاً من احتياجاته في حياته، ولا ننتظر الرد لأننا أخذناها لله.

قد يقول البعض نأخذ الفاكهة، لكن ما ذكرناه أهم وأنفع لمن نزورهم من الفاكهة، لأن الفاكهة قد نأكلها نحن وهم وأولادنا في نفس الجلسة، ولم نترك لهم منفعة بها بعد ذلك، لكن الأوفى والأرقى والأبهى أن نأخذ لهم شيئاً من ثمرات الحياة الدنيا يسد شيئاً من حاجاتهم، ويوفر لهم في ميزانياتهم، فهذا شأن المسلم الذي يقول فيه ﷺ:

{ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ }[٩١]

فإذا جلسنا معاً نجلس الجلسة الشرعية، ويجلس كل واحد مع أخيه والزوجتان معاً في مكان قريب بحيث لا تقع العين على العين، ولا ننظر لهن مباشرة، وإنما ننظر في الأرض أو في السماء أو يميناً أو شمالاً، ولا تجلس زوجة أخي في مواجهتي وجهاً لوجه، لكن تجلس في جانب وكذلك زوجتي في جانب بحيث لا تكون مواجهة لزوج أختي.

فإذا أفضنا في الحديث، يكون حديثنا فيما يفيد وفيما ينفع، كأن نتكلم في أدبٍ من آداب الإسلام، أو نتكلم في كيفية تربية الأولاد التربية الهادفة السوية في الإسلام، أو نتكلم في بعض الحكايات عن حضرة النبي أو الصحابة الأجلاء أو الصالحين التي

---

٩٠ المجمع الأوسط للطبراني ومجمع الزوائد للهيثمي عن عائشة رضي الله عنها
٩١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

نأخذ منها العظة والعبرة، أو نتكلم في حديث شريف نحن نحتاج إليه، أو في آية من كتاب الله نحن في أمسّ الحاجة إلى معرفة معانيها للعمل بها!

المهم أن يكون حديثنا خارجاً عن القيل والقال، وعن ما يقال في هذه المجالس من الغيبة والنميمة، لأن ذلك محرمٌ في دين الله ﷻ.

فإذا جلسنا على هذه الوتيرة نعاهد أنفسنا ونتعاهد فيما بيننا وبين الله، أن نعمل بقول حبيب الله ومصطفاه:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ }[٩٢]

- فلا نُفضي لأحد أياً كان بما دار بيننا من حديث في هذا المجلس!
- ولا ننقل كلاماً لأحد.
- فإذا ختمنا المجلس ختمناه بما ورد عن رسول الله ﷺ،:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ الْآنَ كَلَامًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا خَلَا، فَقَالَ: هَذَا كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجَالِسِ }[٩٣]

ونحرص كذلك على ذكر آية أو حديث في مجلسنا حتى نخرج عن الوعيد الذي حذَّرنا منه النبي السعيد بقوله ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }[٩٤]، وفي رواية أخرى:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَصَلاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيفَةٍ }[٩٥]

وأكتفي بما ذكرناه، والأمر فيه سعة لمن أراد المزيد إن شاء الله.

---

٩٢ اعتلال القلوب للخرائطي ومسند الشهاب بصيغة (المجالس بالأمانة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٩٣ سنن الدارمي وأبي داود عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه
٩٤ مسند أحمد وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩٥ شعب الإيمان للبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

١٣- ادِّعاء التطبيب

س: بعض الإخوة يدَّعي أنه متخصصٌ في حل المشاكل بين الأخوات المسلمات، يعني كأنه طبيب نفسي، أو أنه مكلفٌ بذلك؟ هل يجوز ذلك؟

هذا أمرٌ لا يجوز أبداً! .... وخاصة ونحن في عصر الحضارة والثقافة، ونحن جميعاً نساءاً ورجالاً مثقفون والحمد لله، فلِمَ نلجأ إلى فلان أو فلان بعد الذي ذكرناه فيما سبق لنا الآن؟!.إذا جاء رجلٌ يريد أن يتدخل بيننا، زجرناه وكففناه ونهيناه، لأنه لا يجوز له أن يتدخل في ذلك، إلا إذا استدعيناه، فإذا لِمَ نستدعه فلا يجوز له أن يقدم نفسه بين رجل وزوجته، أو بين أسرة وأسرة ... الذي يتقدم للصُلح لا بد أن يكون مقدماً من الطرفين، وكلاهما راض عما سيحكم به بينهما، وأن يكون أميناً فلا يكشف سترهما، ولا يُخرج شيئاً مما حدث بينهما إلى الآخرين، ولا يشنّع عليهما إذا رُفض ما طلبه.

وهذا طلبٌ نادر لا يتوفر إلا عند كُمَّل الصالحين ﷺ، وهم لا يكلفون بذلك أحداً من المريدين مهما علا قدره وارتفع شأنه، لأن هذا أمرٌ خاص لأهل الاختصاص.

أما الذي يدَّعي بحل هذه المشاكل فإنه يتشبه بالدجالين والنصابين، الذين يزعمون أنهم يجمعون الأحبة، ويزيلون الفرقة بين الأحبة بما يشتغلون به من الدجل، ويزعمون أنه سحر، وهذا منهيٌ عنه في كتاب الله، وفي حديث رسول الله ﷺ، أنه قال:

{ مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ }[٩٦]

فلا يجوز له أن يفعل ذلك، بل إذا تعقدت الأمور واحتاجوا إلى علاج نفسي، يدلهم على طبيب نفسي ثقة وأمين، فيذهبون إليه ويحاول بما آتاه الله من علم، وما آتاه الله من خبرة أن يحل هذه المشاكل بطريقته، لكن ممنوعٌ منعاً باتاً على الأحبة وعلى عامة المسلمين أن يدخلون أنفسهم فيما ليس لهم به شأن.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظنا من ذلك أجمعين.

---

٩٦ الحاكم في المستدرك والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٤- تخبيب الزوجة

س: سمعنا بحدث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: { مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا }[٩٧] نرجوا شرح تطبيق هذا الحديث في ضوء انتشار وسائل التواصل الإجتماعي، وسهولة العلاقات الناشئة عن ذلك بين الرجال والنساء.

قال ﷺ: **{ مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا }**[٩٨]

وخبَّب يعني أفسد، فالذي يُفسد امرأة على زوجها، يعني يجعلها تبغضه أو تكرهه، أو تطلب منه الطلاق أو الفراق، فهذا ليس من جماعة المسلمين، وقد حذَّر من ذلك النبي ﷺ في أكثر من حديث.

وهذا الأمر قد استشاع في زماننا هذا عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، وأحياناً عن طريق الصداقات الزائدة عن الحد التي يحدث فيها أن الرجل يدخل بيت أخيه في غير وجوده، ويجلس مع زوجته بمفردهما، وهذا ممنوع شرعاً لقوله ﷺ:

{ لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا }[٩٩]

والمسلم غيور على زوجته وعلى بناته وعلى أخواته وعلى نساء المسلمين عامة كافة، قال ﷺ لمَّا رأى غِيرة سعد بن معاذ لمن حوله:

{ أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }[١٠٠]

وكان ﷺ واقفاً مع إحدى زوجاته في الليل، ومر عليه إثنين من الصحابة الكرام فأسرَعا، وحتى لا يصل الشك إلى نفسيهما قال ﷺ:

{ عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!،

---

٩٧ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩٨ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩٩ مسند أحمد وابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٠٠ صحيح مسلم وابن حبان عن سعد بن عبادة رضي الله عنه

قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا }[١٠١]

فالصداقة التي تكون بهذه الشاكلة، ويتساهل الزوجين، لدرجة أن يذهب أحدهما إلى بيت صاحبه في أي وقت، ويُسمح له بالدخول، سواءٌ كان صاحبه موجوداً أو غائباً، أو – والعياذ بالله – أن يكون الرجل أمام المنزل، ويأتيه صاحبه فيقول له: أدخل المنزل فزوجتي هناك، وهذا أمرٌ غريبٌ وعجيبٌ لأي مسلم!!.

هذا ليس في ديننا، وليس من أخلاقنا، وليس مما نوَّه عنه نبينا ﷺ، وقد نبهنا عن أدب الزيارات الأسرية فيما سبق، إذاً لا ينبغي لرجل أن يذهب لبيت أخيه في غيبته، وفي غير وجوده.

حتى لو كان آتياً لزيارة أخيه الشقيق من سفر بعيد، ووجد أن أخاه غير موجود بالمنزل، والأولاد ليس فيهم أولاد بالغين رشدهم، على الزوجة أن تقول له: انتظر في المسجد أو في مقهى أو في أي مكان حتى يرجع أخوك، إذهاباً للشك بين جموع المؤمنين أجمعين.

فما بالك إن كان أخاً في الله، فلا ينبغي أن يدخل بيت أخيه في غيبته، إلا إذا كان هناك ذكوراً بالغين في البيت يجلسون معه، فينتفي هذا الأمر ويدخل كما ذكرنا سابقاً.

أما الصداقة بين المرأة والرجل على وسائل التواصل الاجتماعي ينبغي أن تكون في حدود، فلا تظهر له شيئاً من جسمها، ولا تطلعه حتى على صورتها وهيئتها، إلا إذا كانت صورة محتشمة تضعها على واجهة صفحتها، ولا تتحدث معه باستخدام الفيديو أو بالكاميرا مهما كانت الظروف، وأن يكون الكلام بينهما كما قال الله: ﴿ **وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾** ﴾ (الأحزاب).

الكلام بالمعروف كأن يقول: أين فلان؟ أو ماذا حدث في المشكلة التي حدثت بينكما؟ وهكذا، فيكون حديثاً مألوفاً بينهما ليس فيه ضحكٌ ولا مزاح، وليس فيه خروج عن النمط المألوف في الحديث، وليس فيه ترقيقٌ لصوتها، ولا تمطيط في حديثها،

---

١٠١ صحيح البخاري عن صفية بنت حيي رضي الله عنها

وإنما يكون حديثاً جاداً كما قال الله: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحزاب)

وإذا كانت هناك تهنئة في أي أمر من الأمور تكون بعيدة عن ألفاظ الغزل، والألفاظ التي يستخدمها المحبون، بل تكون تهنئة عامة.

ولتعلم كل مؤمنة أن كشفها لجسدها أمام الكاميرا تستوجب به غضب الله ﷻ عليها، وعلى من يراها في هذه الحالة، فإن الله قال للطرفين:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (النور) ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾ (﴿٣١﴾ النور).

إذاً لا ينبغي أن نتحدث باستخدام الفيديو مطلقاً، بأي وضع من الأوضاع، إلا بين أهلينا ومحارمنا فلا مانع من ذلك، كأن أتحدث مع ابنتي لأطمئن عليها، أو أخ مع أخته، فلا مانع في ذلك، وهكذا الأمر.

أما إذا كانوا ليسوا بمحارم فلا يجوز أن يكون الحديث باستخدام الكاميرا مطلقاً، فإن معظم حوادث الطلاق والفراق بسبب تشغيل الكاميرا، وبسبب الألفاظ المنمقة وكلمات الحب والغرام، والأنثى تعشق من أذنها، والرجل يعشق من عينيه، لذلك كثيرٌ من الزوجات تحب أن تسمع كلمات الثناء عليها، والكلمات التي تمدحها، فإذا مدحها وأثنى عليها رجلٌ ولو عن طريق وسائل التواصل كالفيس بوك والواتس آب وغيره، تميل إليه وتريد أن تزيد في الحديث معه.

فإذا زادت الأمور :

- وصلنا إلى أمر لا يحبه الله، ولا يرضاه الله!!
- وفيه بالنسبة للرجل تخبيبٌ لهذه الزوجة، وإفساد لهذه الزوجة على زوجها:
  - لأنها لا تسمع منه ما تسمعه من هذا الرجل، وزوجها قد يأتي من العمل متعباً وكل همه أن يرتاح، وليس مشغولاً بهذه الكلمات، بل مشغولٌ بأمر المعاش، والمعايش التي زادت في تكاليفها عن الحد.

فينبغي علينا أن نراعي هذه الآداب جيداً، حتى ينظر الله إلينا بنظر عطف وحنان وشفقة وامتنان، ويبدل حالنا بأحسن حال.

١٥- أهل اليمين والمقربين

س: نرجو بيان أهل اليمين والمقربين في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ ﴾..﴿. وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ (الواقعة)؟ وهل هناك فئات أخري غير هؤلاء؟ نرجو التوضيح والبيان.

الناس العوام يكتفون بخطب الجمعة ودروس المساجد، وما يتناقشون فيه من بعض المعارف، وهذه تكفيهم إذا حفظهم الله ﷻ من النفس وهفواتها والشيطان ووساوسه والوقوع في المعاصي، وسيكونوا إن شاء الله سالكين على طريق النجاة.

لكن ما علمناه وعرفناه أن الذي يمشي في ركاب الصالحين يكون له هدفٌ أسمى وأعلى من هؤلاء الناس، هذا الهدف طالما موجود هو الذي يحركه ويُسيره، وهو الذي يجعله يسعى لحضور هذا المجلس، لماذا؟ لأنه يريد أن يبلغ الأمنية أو الهدف الذي في قلبه، إما إذا انشغل بدنياه أو شغله حظه وهواه عن الهدف الذي كان موجوداً بداخله، فنجده يرجع للخلف إلى مسافات لا يعلمها إلا الله ﷻ، وهذا حال كثير من الأحباب الذين يمشون في ركاب الصالحين.

والله ﷻ ذكر فئات المؤمنين، قال تعالى في أولهم وأعلاهم: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ ﴾ (الواقعة)، والفئة الثانية: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ (۝٩٠-۝٩١الواقعة).

فهناك المقربون، وهناك أصحاب اليمين، وهناك الخاصة، وخاصة الخاصة، وهناك أهل الخصوصية، وأهل خاصة الخصوصية ...

الذي يريد أن يكون من أهل اليمين يكفيه أن يعرف ما يلزمه من أمور دينه من جهة الحلال والحرام، فيتحرى الحلال، ويبتعد بالكلية عن الحرام، ويواظب على الفرائض التي فرضها عليه الملك العلام ﷻ، وهذا كما قال حضرة النبي لأمثاله:.. **{ أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ}**[١٠٢]

---

١٠٢ البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

وسيكون إن شاء الله من أهل الجنة، ولكن ليس من أهل الدرجات العلا في الجنة.

أما المقربون فهؤلاء يريدون منزلة خاصة عند الله في القرب منه في الدنيا، ومنزلة خاصة عند الله في الموقف العظيم يوم القيامة، ومنزلة خاصة عند الله ﷻ في الدرجات العلا من الجنة، وهؤلاء يحتاجون إلى خبير كما قال القرآن: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الفرقان)، يحتاجون إلى خبير قد قطع هذه المسافات، ووصل إلى هذه المنازل، ليُعرفهم الطريق الذي يمشون فيه، فيعرفون العقبات التي تقابلهم حتى لا تعطلهم وتعوق وصولهم إلى ما يريدون، وهؤلاء لا منتهى لسيرهم في الوصول إلى الله ﷻ، ولا نهاية لوصولهم، لأنه لا منتهى لكمال الله.

من يظن منهم في ذات يوم من الأيام أنه وصل إلى منزلة عالية ويكتفي بذلك، سيُحجب أو يُقطع عن تمام الوصول إلى الله ﷻ ... ولذلك كنا نلاحظ دائماً ولا زال الحال أن الذين يريدون أن يكونوا من المقربين دائماً ملازمين للصالحين في كل أنفاسهم وأحوالهم، ودائماً واضعين أعينهم – ليس على عيوب الآخرين – ولكن على عيوب أنفسهم ليصلحوها، ينظر إلى محاسن الناس أجمعين حتى لا ينشغل بعيب أحد، وينظر إلى عيوب نفسه، قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }[١٠٣]

لأن من ينظر إلى عيوب الناس وينشغل بها وينسى أن له عيوب، فمتى يُصلح عيوبه؟!! لكن الذي يريد أن يكون من المقربين لا ينظر إلى عيوب الآخرين وإنما ينظر إلى محاسنهم، سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان يسير يوماً مع الحواريين، وهم الذين كانوا يريدون هذه المنازل العالية من أتباعه، وأثناء سيرهم نظروا إلى كلب ميت جيفة وله رائحة منتنة، فقالوا: ما أشد نتن رائحته، فسيدنا عيسى علَّمهم وقال: ما أشد بياض أسنانه .... أنتم تنظرون للعيوب ولكني أنظر للمحاسن، وهذه حياة الذين يريدون أن يكونوا من المقربين، فليس عندهم وقت لينظرون إلى عيوب الآخرين، ولكن ينظرون إلى عيوب أنفسهم ليُصلحوها، وإذا أصلح عيوب نفسه زال اللبس، وأصبح قريباً من ربه تبارك وتعالى.

ونجدهم دائماً يظلون طوال حياتهم في العزيمة، وفي القوة، وفي السرعة في الفرار إلى الله، وفي الرغبة في العمل الصالح الذي يُرضي الله، فهم شباب دائم، وهمتهم تسبق

١٠٣ مسند البزار ومسند الشهاب عن أنس رضي الله عنه

الشباب، في حين أن غيرهم من أهل اليمين لا يزال شباباً وتجده في الفتوة وفي عمل الخير وفي عمل البر كأنه عجوز يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، لكن هؤلاء شباب دائم لأنهم يريدون أن يصلوا إلى أحوال المقربين، ويرتفعوا إلى الدرجات العلا في جوار سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

فعندما يكون الإنسان له رغبة في داخله، هذه الرغبة هي التي تحركه، وهي التي تدفعه، مثلاً ابني في الجامعة، وأنا أطمع أن يكون معيداً ويأخذ الماجستير والدكتوراة، وهو ليس عنده تطلع لهذا الأمل، ويريد أن يكتفي بالليسانس أو البكالوريوس، فهل أستطيع أن أغيره؟ لا، ولو أحضرت له كل أساتذة الجامعة لن يستطيعوا أن يغيروه، لماذا؟ لأن هذه العزيمة يجب أن تكون من داخله هو، ونحن نساعده لو كانت عنده هذه العزيمة وهذا الأمل، فنُحضر له ما يعينه ويوجهه ويرشده.

فالذي يحرك الإنسان هو الأمل:

والأمل الذي يقويه ويشد العزم فيه مجالسة الصادقين، والتحدث في حكايات الصالحين السابقين والمعاصرين، وهذا ما نحتاجه دائماً، عندما يقرأ الإنسان كتب الصالحين، وينظر جهادهم في الله، وكيف وصلوا إلى ما يرضي الله، وكيف أيَّدهم الله بالكرامات من عنده لأنهم فعلوا ما يرضي الله، وإن كانوا لا يلتفتوا إلى الكرامة لأن مقصدهم الاستقامة، والله يحب الاستقامة، والنفس تحب الكرامة.

فنحن نلتفت إلى ما يحبه الله وهو الاستقامة، ولا نلتفت إلى مراد النفس وهو حب الكرامة، هذه الأشياء دائماً تحفز الإنسان، وتزيد رغبته في بلوغ الدرجات العليا عند حضرة الرحمن ﷻ.

وفترة الدنيا بالنسبة لنا أجمعين حتى يخرج الإنسان منها على درجة، هو الذي يحددها لنفسه:

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران ١٦٣)

فنحن فرصتنا في الحياة الدنيا الأنفاس التي نتنفسها، ونريد أن نكون فيها في أعلى الدرجات عند الله ﷻ في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٦- الصوفية والمناصب

س: هل السادة الصوفية يمنعون مريديهم من السعى إلى المناصب؟ وإن كان ذلك فمن يتولى زمام الأمور في هذه الحياة؟

الصوفية لا يمنعون أحبابهم من الوصول إلى التجارات التي فيها جني أموال، ولا إلى الأعمال التي يكتسب بها أرباحاً وثراء، لكن كل ما يشغل عن الله فإن الصوفية يحذرون منه المريد، فاعمل أي عمل، واسلك أي باب، ولكن بشرط أن لا يشغلك هذا الباب عن الكريم الوهاب ﷻ.

ما المانع أن يتعرض المريد للمناصب، ويكون حاكماً عادلاً، ويجدد سنة السلف الصالح، كعصر عمر بن عبد العزيز، وعصر الخلفاء الراشدين في المحيط الذي هو فيه؟ في أي عمل يقيم العدالة في هذا العمل، وينفذ في هذا العمل العدالة الإسلامية، وهذا ما نحتاجه، نحن لا نحتاج رئيس جمهورية عادل فقط، لكن في كل عمل من أعمالنا نحتاج مدير كعمر بن عبد العزيز أو كعمر بن الخطاب.

ما الذي يمنع المؤمن أن يصل إلى هذه المناصب ويكون من هؤلاء الرجال؟! كل المطلوب منه أن يسعى إلى هذا المنصب بطرق شرعية، وليس بطرق منافية للشريعة الإلهية، كأن يصل لذلك عن طريق الرشوة، أو عن طريق التزوير، أو عن أي طريق باطل تبطله شريعة الله ﷻ، وإذا وصل بطريق مرضية يحكم بين الناس بالسوية، حتى لو كان ابنه أو ابنته في هذا المكان.

يريد أن يكون رجلاً مليونيراً، ما المانع؟! لا شيء، لأن ماله سيكون للمسلمين، المهم أن يكسب من حلال، ولا يتاجر بالربا، ولا بالغش في الكيل ولا في الميزان، ولا بأي صنف من صنوف الغش التي حرمها الله ونهى عنها رسول الله ... ما دام يتاجر من حلال، ويبيع حلال، وأخذ الأرباح سيُخرج الزكاة، وهي ستنفع المسلمين، ويُخرج صدقات، وهذه أيضاً ستنفع المؤمنين، وسيقيم مشروعات خيرية، والمشروعات الخيرية كما نرى على مستوى العالم الإسلامي في كل زمان إلى عصرنا من الذي قام بها؟ لا أحد غير المسلمين الوجهاء الأغنياء الذين يريدون الدار الآخرة عند الله ﷻ.

وعندنا مثل واضح وصريح، فكل المعاهد الدينية والكليات الأزهرية على مستوى الجمهورية، من الذي يبنيها؟ الأهالي الذين يبنوها، ولذلك تجد كلية أزهرية في قرية عادية، لماذا؟ لأن واحد تبرع بالأرض وبنى عليها كلية وأعطاها للأزهر، لماذا؟ لأن هذا عمل خير، كل المشاريع الخيرية عندنا حتى من القديم، كالقصر العيني من الذي بناه؟ رجل اسمه العيني باشا تبرع به وبناه، ومستشفى الدمرداش من الذي بناه؟ الدمرداش باشا، وجامعة القاهرة من الذي أسسها؟ الأميرة فاطمة، باعت ذهبها وكل ممتلكاتها وأسست بها جامعة القاهرة، فما المانع أن الإنسان يسارع في نماء ماله، ويسارع في نماء أعماله، فينفع نفسه، ويعود الخير بعد ذلك على إخوانه المسلمين أجمعين.

لكن هل نترك المناصب للمنافقين والبلطجية والغشاشين؟

سنضيع كلنا، لكن نريد أن يتولى المناصب قدر الإمكان أهل الصلاح، حتى نجد لنا سند في مجلس النواب، وسند في مجلس الشيوخ، وسند في المجالس المحلية، وسند في الوزارات والهيئات من الصالحين المصلحين، وهؤلاء هم السبيل الوحيد لإصلاح الدولة، نسأل الله أن يُصلح حالنا أجمعين.

١٧- الحاجة للصالحين في الجنة

س: السؤال: هل نحتاج للصالحين بعد دخول الجنة؟

هذا أمرٌ لا شك فيه، نحن نحتاج للصالحين العاديين لأن لهم شفاعة عند الله، والجنة درجات يقول فيها الله تبارك وتعالى: ﴿ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران ١٦٣) وإذا صاحب الإنسان رجلاً أعلى منه عند الله في الجنة في الدرجة، فإنه يدخل بسبب صحبته له كما في الأثر الوارد: **((ما تحاب اثنان في الله، إلا رفع الله أقلهما مقاماً إلى مقام صاحبه، وإن كان دونه في العمل))**.

فمصاحبة الأتقياء والصالحين تجعل المرء يلحق بدرجاتهم في جنة النعيم، فضلاً من الله ونعمة، لأن ذلك فضل الله الذي يتجلى به في جنة الله على أحباب الصالحين، ولذلك أوصانا الله في قرآنه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة ١١٩).

وإذا كان الإنسان همته عليّة، وصاحَب أئمة الصالحين، فإنه يدخل معهم في المعية النورانية القرآنية التي يقول فيها رب البرية:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٦٩النساء) ثم أكَّد هذه المنزلة لنا أجمعين، حتى لا نشك ولا نرتاب، فقال: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ (النساء) كيف حصلوا على ذلك؟ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أما إذا كان الإنسان يصحب العلماء العاملين، .... وهم الكُمَّل من الصالحين، فقد قال فيهم ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ، فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَاذَا نَتَمَنَّى؟ فَيَقُولُونَ: تَمَنَّوْا عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا }[١٠٤]

عندما يدعوهم الله تبارك وتعالى لخالص الإكرام؛ للنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وبعد أن يحظون بهذه المنزلة الباهرة الفاخرة، فيدعوهم الله ويُجلسهم على الكثيب في جنات عدن، ويتجلى لهم على مقدار ما يتحملون من أنوار حضرته الربانية، يسألهم فيقول لهم: تمنوا، فيحتارون، ماذا يتمنون من فضل الله؟

فيذهبون إلى الصالحين، وهم العلماء العاملين في هذا المقام، ويسألونهم: مالذي نتمناه؟ فيقولون لهم لما علَّمهم الله: تمنوا كذا وكذا من فضل الله، وتمنوا كذا وكذا من رحمة الله، وتمنوا كذا وكذا من ألطاف الله، وتمنوا كذا وكذا من أنوار حضرة الله، ويشرحون لهم ما يستطيعون أن يطلبونه من الله ﷻ.

وهكذا، فالإنسان المؤمن الذي دخل الجنة وارتفع إلى منزلة عالية في الجنة، يحتاج إلى العلم حتى وهو في الجنة ليرتقي منازل في الجنة لا يعلم عنها شيئاً، ولا يعرفها !!

ولكن يُعرِّفها له العلماء العاملون ...

نسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ علينا بهذا الفضل أجمعين.

---

١٠٤ تاريخ دمشق لابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

الفصل الرابع

من فيض فضل الله

١. صورة الرحمن			١٥٣
٢. مواجهات الجمال والجلال			١٥٥
٣. شهود الجمالات والكمالات			١٥٧
٤. منن الله على الصالحين			١٥٩
٥. قبلة العارفين	١٦٠	صلاة الله على العبد	١٦١
٦. صلاة القلوب على النبي	١٦٢	أقسام الصلاة على النبي	١٦٣
٧. وصل القلب بالنبي	١٦٦	عين البصيرة	١٦٧
الحقيقة الباطنية	١٧٠	جهاد الجوارح	١٧٣
٨. رؤية حقيقة رسول الله ﷺ			١٧٤
٩. مقام النبي			١٧٧
١٠. صفاء الروح			١٧٨
١١. رُقيّ الروح			١٨٠
١٢. الترقي الروحي			١٨٢
١٣. سلطان النفاذ إلى العالم الأعلى			١٨٤
١٤. أوراد جلب الروحانيات			١٨٨
١٥. الإخلاص			١٨٩
١٦. مقام الكشف			١٩١
١٧. المقام المعلوم			١٩٢
١٨. مقام العبد عند الله			١٩٣

١- صورة الرحمن

س: قال النبى ﷺ: { خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ }[١٠٥] ... وقال فى حديث آخر: { لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى }[١٠٦] نرجوا توضيح المعنى؟

قال بعض أهل العلم في توضيح معني هذين الحديثين: خلق الله آدم على صورة الرحمن سميعاً بصيراً، فالله ﷻ تجلَّى على خلقه بأسمائه الحسنى، وأسمائه الحسنى هي سر خلافة آدم عن الله ﷻ: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة).

ولم اختاره للخلافة؟

لأنه وحده هو الذي تجلى الله عليه بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، فإن الكائنات التي نحن عليها والتي هي حولنا لم تحظ إلا باسم أو اسمين أو بعض أسماء من أسماء الله تعالى، فالأرض لم تحظ إلا باسم الباسط: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ (الذاريات) هو الذي بسطها، والسماء لم تحظ إلا بإسم الرافع: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ (٧الرحمن) والجبال لم تحظ إلا باسمي القوي المتين، والشمس لم تحظ إلا باسم واحد وهو النور، والنجوم لم تهتد إلا باسم واحد وهو الهادي، لأنها تهدي الحيارى في الظلمات إذا مشوا في الصحراء أو غيرها، وهكذا كل الكائنات لم تحظ إلا بأسماء قليلة، مَن الذي حظي بهذه الأسماء جميعها؟

آدم ومَن على شاكلته من أبنائه، ولذلك تعجبت الملائكة عندما حدثهم الله تبارك وتعالى وقال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة) وخليفة يعني يحمل كل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا تبارك وتعالى، فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٣٠البقرة).

والملائكة معهم اسمٌ واحد وهو العابد، فهم العابدون لله، ومع ذلك لم يبلغوا مبلغ العبد الأعظم ﷺ في عبادته لمولاه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ

١٠٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠٦ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (﴿٨١﴾الزخرف) فاق عبادة كل هؤلاء العابدين، مع أنهم من بدء البدء إلى نهاية الدنيا وهم يشتغلون في العبادة ولم ينقطعوا، لكن النَفَس الواحد من عبادة سيد الأولين والآخرين خيرٌ وأعظم عند الله من جميع عبادة الملائكة المقربين، لعُلو شأنه ورُقي حاله صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالإنسان جعله الله مُجملٌ بالأسماء الحُسنى، فيحمل صفة السميع في السمع، ويحمل صفة البصير في البصر، ويحمل صفة المتكلم في النطق، ويحمل صفة الحي في الحياة، ويحمل صفة القادر في القدرة التي يقلبه بها له الله، ويحمل صفة العلم في العلم الذي يستودعه في عقله أو في قلبه الله، كل الأسماء الحُسنى جمعها الله ﷻ في الإنسان.

قد يقول البعض أن أسماء الله تبارك وتعالى منها أسماءٌ جمالية، ومنها أسماءٌ كمالية، ومنها أسماءٌ قهرية أو جبروتية كالقهار والمنتقم، وقد جعلها الله ﷻ في الخليفة، لكن على الأغيار أو على الكفار، وأول الأغيار نفسك، فيُعلن الحرب أولاً على النفس لتطهر من اللبس، فيكون جباراً على نفسه، أو إن شئت قلت جبار لأنه يجبر قلوب المنكسرين، ويأخذ بها ليوصلها إلى فضل رب العالمين، فهذه معنى وهذه معنى، وكل معنى له في شأن الإنسان حساب، لأن الله جعله خليفة عنه ﷻ.

فالإنسان هو وحده المجمل بالخلافة عن الله، ولذلك هو صورة الرحمن الأسمائية والصفاتية، فهو وحده السميع البصير العليم الحكيم الرؤف الرحيم اللطيف الكريم، إلى غيرها من أسماء الله تبارك وتعالى، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه متكلماً بلسان القدرة الإلهية:

أكنت سميعاً أو بصيراً وعالماً لكنني أحسنتُ بالمدرار

أنت لم تكن هكذا، وإذا أردت أن تعرف حقيقتك فكن كما كنت منياً أو تراباً أو طُفيلاً في أول الأطوار لا تزال لم تنضج، فالتراب لا يسمع ولا يُبصر ولا يتكلم ولا يحيا وليس له علمٌ ولا قدره، فمن أين أتى لك هذا كله؟! كل ما فيك غير التراب من أوصاف خالقك وباريك ﷻ.

أنا تراب وما زاد على التراب فهو جمال رب الأرباب ﷻ، وهذا سر الخلافة التي استخلفني فيها الله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (﴿٣٠﴾البقرة).

فما الخلافة هنا؟

أنه استخلف فيك أسماءه الحسنى وصفاته العليا، وهي الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ (٧٢الأحزاب).

ما الأمانة التي تحملها؟ ... أسماء الله وصفات الله التي تتحرك بها، وتحيا بها، وتسعى بها، وتعمل بها، وهي من الله ﷻ، وليست لك ولا منك، فهذا سر خلافة آدم عن الله، وآدم يعني آدم وذريته.

٢- مواجهات الجمال والجلال

س: ذكرتم فضيلتكم فى معنى: (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) وقلتم: (إن الأصبعان هما مواجهات الجمال ومواجهات الجلال)، وعندما نسأل الله: ... اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك، فهل نسأله الثبات على مواجهات الجمال، أم مواجهات الجلال؟

صاحب السؤال شطح به بعيداً، فهذا مجال وهذا مجال !!!

أما حديث القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، فهذا مشهد أهل الفناء الذين تحدثنا عنهم سابقاً، الذين يخافون من جلال الله، ويطمعون في جمال الله، بعد أن رأت أعين قلوبهم وشهدت أرواحهم أنوار الجمال وسطوة الجلال.

ولذلك هم دائمو الخوف والخشية من الله، ووصفهم الله بخشيته، لأنهم عندما رأوا مواضع الجلال امتلأت قلوبهم بالخوف والوجل والخشية من الله ﷻ.

فكانوا لا يطمئنون إلى عمل ولا إلى طاعة ولا إلى عبادة ولا إلى أي عمل، لأنهم كما قال أبو بكر ﷺ:

((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة)).

وكما قال عمر ﷺ:

((لو قيل كل الناس في الجنة إلا واحد، لخفتُ أن أكون ذلك الواحد، ولو قيل كل الناس في النار إلا واحد، لطمعتُ أن أكون ذلك الواحد)).

فهؤلاء الذين يقول فيهم الله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر) هم العلماء بالله، والعلماء بصفات الله، والعلماء بأيام الله ﷻ:... ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩ ﴾ (الأحزاب).

ولذا سأل أحد العارفين رجلاً من العلماء:

ما الفارق بين قول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢الأنفال) وقوله ﷻ:.. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ﴾ (الرعد) فتلعثم العالم ولم يستطع أن يجيب، وسأله أن يمن عليه بالإجابة، فقال: أهل الوجل رأوا جلال الله، فحدث لهم حادث الوجل والخوف من عظمة الله وسطوة جلال الله، وأهل الطمأنينة شاهدوا جمال الله، فاطمأنت قلوبهم بما رأوا من جمال الله وبما شاهدوا من السكينة والطمأنينة الهابطة والنازلة لهم من عند الله ﷻ.

أما الدعاء الذي كان يدعوه حضرة النبي عقب الصلاة وهو يصلي مع جميع المسلمين والمؤمنين:

{ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }١٠٧

فالثبات هنا ثبات الإيمان في القلب:

فإذا ثبَّته المقلب ﷻ، فلن تزعزعه الأهواء، ولن تغيره الشبهات، ولن تزحزحه الحوادث والنكبات والمصائب والملمات، .... بل يظل ثابتاً في قلب صاحبه كالجبال الراسيات، لا يؤثر فيه أي شيء ينتابه في الحياة الدنيا !! لأن الله ﷻ ثبته بتثبيت من عنده، وهو المشار إليه بقول الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ:

﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ ﴾ (٣٢الفرقان).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُثبِّت أفئدتنا على الإيمان، وأن يُثبِّت قلوبنا على طاعة الرحمن، وأن يُثبِّت أبداننا على خدمة شرع الحنان المنان، وأن يجعلنا بكلنا في الدنيا لحضرته، وأن يجعلنا في الآخرة من الجالسين على منابر من نور قدام عرش حضرته.

---

١٠٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

٣- شهود الجمالات والكمالات

س: كيف يتحقق للعبد شهود الجمالات والكمالات المحمدية، وشهود العبد للجمالات والكمالات الإلهية؟

شهود العبد للجمالات والكمالات المحمدية يتحقق بعد أن يفنى الإنسان عن أوصافه، ويتصف ويتخلق بأوصاف الحبيب ﷺ، وهي ظاهرةٌ عياناً في آيات القرآن، وواضحة في سُنَّة النبي العدنان ﷺ.

فيكرمه الله تبارك وتعالى، ويفتح الله عين بصيرته النورانية، فيشاهد الحضرة المحمدية على قدره، لا على قدرها مجملة بالجمالات الإلهية، ومسربلة بالأنوار، ومليئة بالأسرار، ومتوجة بتاج السعادة العظمى، ومتوجة بتاج الشفاعة الكبرى .. يراها في أي مشهد من هذه المشاهد النورانية على حسب ما يفتح الله تبارك وتعالى بعين قلبه التي أصبحت مُضية:

بعـين الـروح لا عـين العقـول شهدتُ الغيب في حال الوصول

فيشهد الجمالات المحمدية، والجمالات المحمدية هي مرآة للجمالات الإلهية، فالرسول ﷺ كأنه شاشة العرض التي تُعرض فيها الأسماء والصفات والجمالات والكمالات الإلهية، فترى فيه جمال الله، وكمال الله، وأنوار الله، وأسماء الله، وصفات الله، وأسرار الله ظاهرة واضحة في مرآة سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

وهذا ما يقوله الإمام أبو العزائم في صلواته الإلهامية: ((إلهي بمجلى الذات سر الحقيقة)) فهو المجلى والمرآة التي تظهر فيها أنوار الذات، وأسرار الذات، وصفات الذات، على قدرنا لا على قدر الذات ﷻ.

فهو المرآة أو الشاشة التي تظهر فيها جمالات حضرة الألوهية بما يناسبنا وعلى قدرنا، وعلى قدر ما يليق بنا عند الله ﷻ في تحمُّل هذه الأسرار، وتحمُّل هذه الأنوار، لأنه إذا كان كُمَّل الملائكة الأخيار، لم يستطيعوا تحمل هذه الأنوار، وقال إمامهم سيدنا جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ:

((لو تقدمت قدر أُنملة لا حترقت، وأنت لو تقدمت لاخترقت)) .. إذاً:

جبريـل وهـو عظـيم في مكانتـه لـم يسـتطع أن يلـج الأنـوار بـالهمم

لم يستطع أن يرى هذه الأنوار منبلجة وصافية وواضحة في النبي المختار، فهي تحتاج إلى همة ليس لها قدر ولا مقدار، بحسب موازيننا، ولكنها همة عليّه يعطيها الله ﷻ من عنده الإمداد والاستعداد لتقبل هذه الأنوار ولرؤية هذه الأسرار.

أما كمالات حضرة الله ﷻ الذاتية، فلم يتمتع بمرآها غير فرد واحد في الوجود كله بدءاً وختماً، وهو سيدنا رسول الله ﷺ، فهو وحده الذي فاز بهذا المشهد، وهو وحده الذي فاز بقول الله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم) وهو وحده الذي فاز بقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (النجم).

وأراد الله ﷻ أن يعلمنا قدره وزيادة شرفه ﷺ، فجعل الكليم يطلب هذه الرؤية: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ ﴾ (١٤٣الأعراف) وقال له في الآية الأخرى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الأعراف) يكفيك ما أخذته وهو مقام الكليم، لكن مقام الرؤيا خُصَّ به نبينا الرؤف الرحيم ﷺ، ولم يخص به أحدٌ سواه، وقد ورد في الأثر: **((كل الناس حمقى في ذات الله حتى الرسل))** وقال أبو الدرداء ﷺ: **((كلنا أحمق في ذات الله))**.

إذاً كيف نشهد جمالات الله؟

نشهدها عندما يتجلى بها الله في شاشة حبيبه ومصطفاه، كما شهد ملائكة الله عندما تجلى الله ببهائه ونوره ونور حبيبه ومصطفاه في آدم، وأمرهم بالسجود فسجدوا لما رأوه من أنوار الله، ومن جمالات الله في آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات والتسلميات.

فلـو أن السـجود كـان يقينـاً لأبيـه لـم يهـبطن مـن علِيِّـة

وإنما السجود كان لنور الله الذي ظهر فيه منبلجاً بعد أن ظهر في رسول الله ﷺ، يعني لم يظهر النور الإلهي في آدم مباشرة، لأنه لا يتحمله، ولكن ظهر في النور المحمدي، والنور المحمدي ظهر في آدم إشارة إلى أن جمالات الله وكمالات الله لا تشهد ولا تُرى إلا بمحمد رسول الله ﷺ.

٤- منن الله على الصالحين

س: ما أعظم ما يمنُّ الله به على الصالحين؟

منن الله تبارك وتعالى على الصالحين لا نستطيع أن نسردها ولا أن نشير إليها ولو بالإشارة في هذا الوقت القليل، فإن الله تبارك وتعالى يمنُّ عليهم بمنٍ في الدنيا، ويمنُّ عليهم بمنٍ في البرزخ، ويمنُّ عليهم بمنٍ في الآخرة، ويمنُّ عليهم بمنٍ في الجنة.

يمنُّ عليهم بمنٍ في أجسامهم، ويمنُّ عليهم بمنٍ في عقولهم، ويمنُّ عليهم بمنٍ في قلوبهم، ويمنُّ عليهم بمنٍ في أرواحهم.

يمنُّ عليهم بمنٍ مع كتاب الله، ويمنُّ عليهم بمنٍ مع حبيب الله ومصطفاه، ويمنُّ عليهم بمنٍ ببركة صُحبة الصالحين من عباد الله.

يمنُّ عليهم بسابقة الحُسنى التي قدَّرها لهم في الأزل القديم، ويمنُّ عليهم بالاصطفاء الذي اختارهم به في هذه الحياة الدنيا: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ (٧٥الحج).

ويمنُّ عليهم بدخول الجنة بغير حساب، أو بأن يحاسبهم حساباً يسيراً، وبأن يكونوا على منابر من نور قدام عرش الرحمن، أو على أرائك تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، أو يجلسون على أرائك في غرفاتهم في الجنان يشهدون أحوال الموقف وهم في أمان.

يمنُّ عليهم الله بأن يُشفِّعهم في أصحابهم وأحبابهم وأهليهم وذويهم، فيدخلون ببركة شفاعتهم الجنة، ويأمنون من كل ما كانوا يخافونه عند لقاء الله تبارك وتعالى.

يمنُّ عليهم في الدنيا بستره وغطائه، ويكفي ستر الله للعبد الصالح في الدنيا، وهو أكبر منَّة يمنُّ الله تبارك وتعالى بها علينا، ويمنُّ الله عليهم في الدنيا بالإيمان، ويمنُّ الله عليهم في الدنيا بمراتب الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان.

ويمنُّ الله عليهم ويتفضل عليهم بالعيان بعد البيان، ويمنُّ الله عليهم ويجعل لهم نوراً وهم في الدنيا يمشون به في الناس:

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام).

يمنُّ الله عليهم فيتولاهم بولايته، ويلحظهم بعين عنايته، ولا يكلهم إلى أنفسهم ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل، ويُسددهم ويؤيدهم ويصونهم ويحفظهم، وإذا أخطأوا ناداهم من قريب، وفتح لهم باب التوبة والإنابة، وأقبل عليهم بخالص الإجابة وحقق فيهم قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١ الأعراف)، فيذكِّرهم عند الوقوع في الذنب أو بعده ليتوبوا، ثم يحقق معهم ولهم قوله: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ (١١٨التوبة).

مننٌ لا يستطيع أحدٌ عدَّها ولا حدَّها ولا حصرها، لعل الله ﷻ يوفقنا إلى عدِّ بعضها في كتاب نجليه للأحباب، والله ﷻ من وراء ذلك وهو على كل شيء قدير.

٥- قبلة العارفين

س: ما معنى قول أحد الصالحين:

قبلة العارفين حال الصلاة ... وجه مولىً منزهٍ عن جهات
وهمُ قبلةٌ له إذ يُصلي ... بحنان عليهمُ للنجاة

هذان البيتان من قصيدة طويلة للإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه، وهو يوضح فيها حال العارفين في الصلاة مع حضرة الله تبارك وتعالى.

فالعارفون إذا وقفوا بين يدي الله في الصلاة، يتجه الجسم إلى القبلة، وقبلة الإنسان المسلم هي الكعبة المشرفة، ففي أي مكان كان فيه من الأرض يتجه إليها: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١٤٤البقرة)، أما قلبه فيوجهه إلى مولاه، يرجو به كشف حُجب التنائي، وحُجب البعد، وحُجب الصدود، وحُجب الغفلة، حتى يتمتع بأن يشهد بما فيه من نور الله، ما يتجلى له به على قدره مولاه من أنوار حضرة الله تبارك وتعالى.

فليس معنى هذا البيت أن يتجهون إلى الله ويتركون الكعبة، ولكنهم يتجهون إلى الكعبة البيت الحرام بأجسامهم، وإلى الله تعالى بقلوبهم، والله ﷻ يقول لهم:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (١١٥البقرة)

أينما يولوا قلوبهم إذا صفت، والقلوب كما قال سيدنا عمر ﷺ للإمام علي:

((يا علي إن القلوب إذا صفت رأت)).

إذا صفت من متع الدنيا وشهواتها وحظوظها وأهوائها ومطالب النفس، وما يطلبه الإنسان من إعلاء شأنه وظهور أمره وغيرها، تتجه إلى حضرة الله، لا ترجو إلا أن تتمتع في الصلاة بمناجاة الله في حالة الحضور مع الله ﷻ، ولذلك يقول ﷺ عن أمثال هؤلاء:

{ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ }[١٠٨]

فالله ﷻ في قبلة المصلي، فيولي الإنسان شطره يعني نصفه وهو الجسم إلى البيت الحرام، والنصف الأهم وهو القلب وما يتبعه من السر والخفى والأخفى والروح تتجه إلى عوالم الحي الذي لا يموت، تشاهد أنواره المبثوثة في الكائنات، أو تشاهد تجلياته التي يواجه بها الصادقين أهل العنايات، فيتجه إلى الله ليتمتع بشهود ما تيسر له على حسب حاله وقواه من حضرة الله تبارك وتعالى.

صلاة الله على العبد

وأمثال هؤلاء هو يصلي لله، والله ﷻ يُصلي عليه كما قال في آيات سورة الأحزاب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ (٤٣الأحزاب)

فالله ﷻ يصلي عليهم برحمته وحنانته وشفقته ومودته، ويصلي عليهم أي يصلهم، فيصلهم بشيء من مودته، ويصلهم بمنزلة من منازل قربه ومؤانسته، ويصلهم بشيء من حنانه ورحمته وشفقته، ويصلهم بقبس من أنوار قدسه أو أنوار حضرته، ويصلهم بالعطايا الإلهية التي لا نستطيع حصرها ولا حدها، فصلاتهم من الله ﷻ هي الصلة التي يصليها الله تبارك وتعالى لهم ..

وأول هذه الصلات:

﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٤٣الأحزاب)

يخرجكم من ظلمات النفس، ومن ظلمات الطبع، ومن ظلمات الهوى، ومن ظلمات النزغات الإبليسية، إلى نور اليقين، وإلى أنوار التمكين، وإلى أنوار تنزلات رب العالمين، وإلى أنوار تجليات الله تبارك وتعالى للصالحين على قلوبهم في كل وقت وحين.

---

١٠٨ صحيح البخاري وسنن الدارمي عن أنس رضي الله عنه

٦- صلاة القلوب على النبي

س: يقول الإمام أبو العزائم ﷺ عن سيدنا رسول الله ﷺ:

صلوا عليه وسلموا بقلوبكم فهو الحبيب وشمسه قد أشرقت
يا نور قلبي نظرةً لمتيمٍ يحيا بها فالروح مني شُوِّقت

ما صلاة القلوب على الحبيب المحبوب؟

الصلاة سميت الصلاة لمعنى عال من معانيها عند أهل الله لأن فيها صلةٌ بين العبد ومولاه، والصلة بين العبد ومولاه هل تكون بالجسم أم بالقلب؟ نرجع إلى حديث سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[١٠٩]

فالصلة هنا صلة قلبية، ما الصلة التي تكون بين العبد وبين الله بالقلب؟

الخشوع لحضرته، والخضوع لعظمته، فيبادله الله بالسكينة التي يُنزلها في قلبه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح) والطمأنينة التي يجعلها في سره: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨الرعد).

البعض يعتقد أنه عندما يذكر الله سيطمئن القلب، لكن الآية غير ذلك، فبذكر الله لك يطمئن قلبك: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢البقرة).

فالذي يَذكر ولا يُذْكَر هل يطمئن قلبه؟ لا، مَن الذي يطمئن قلبه؟

إذا ذكره فشكره فذكره الله تبارك وتعالى، لأن الذكر من الله يكون شكراً لهذا العبد على قيامه بذكره لمولاه ذكر حضور مع حضرة الله تبارك وتعالى ... فالصلاة هي تبادل بين أعمال القلوب وبين عطاءات القلوب التي ترد عليها من حضرة علام الغيوب، وهذه حقيقة الصلاة، وأي صلاة تكون صلة، فالذي يصلي على رسول الله ﷺ بلسانه تُكتب له حسنات وأجرٌ وثوابٌ عظيم، ما دام يُصلي على رسول الله ﷺ.

---

١٠٩ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

إذا كان يصلي على رسول الله ﷺ ليكون ﷺ شفيعاً له يوم القيامة، حصل على المراد.

وإذا كان يصلي على رسول الله ﷺ ليكون من الناجين عند المرور على الصراط، ضمن الله تبارك وتعالى له هذا الأمر، قال ﷺ:

{ الصَّلاةُ عَلَيَّ نُورٌ عَلَى الصِّرَاطِ }[١١٠]

وغيرها من المنافع الدنيوية والأخروية، التي تُقضى بالصلاة على الحضرة المحمدية، وإن كان باللسان.

لكن الذي يريد القرب من حضرته، والذي يريد أن يتمتع بأنواره، والذي يريد أن يشاهد كمالاته وجمالاته، والذي يريد أن يكون بينه وبينه وصلٌ مباشر بالقلب وبالسرائر، يكلمه ويرد عليه الكلام، ويجالسه ويأنس به، فهذ يحتاج إلى أن تكون الصلاة هنا صلة بين القلب وبين حبيب الله ومصطفاه.

وصلاة الصلة التي تكون صلاة مشاهدة أو شهود لحضرة الحبيب المحبوب ﷺ.

أقسام الصلاة على النبي

ولذلك نحن نقسم الصلاة على حضرة النبي إلى أقسام، صلاةٌ عددية للذين يعدون، ويقول أنا صليت على النبي اليوم ألف مرة، أو يقول أُصلي كل ليلة خمسة آلاف مرة، أو أُصلي في اليوم والليلة عشرة آلاف مرة، حتى وصل الأمر أن بعضهم وهو الشيخ نور الدين الشوني وكان له مجلس عظيم في الجامع الأزهر للصلاة على حضرة النبي، وهو أحد مشايخ سيدي عبد الوهاب الشعراني وضريحه في مسجده، فيقول عنه: كان يقول سيدي نور الدين الشوني: أُصلي على حضرة النبي ﷺ في كل يوم وليلة أربعين ألف مرة!.

انظروا إلى الهمة!!

ولا تتعجب، إذا أعطاك الله الهمة فلا عجب ...، فإن الله ﷻ يطوي لك الزمان، ويطوي لك ساعات الليل والنهار... ، ومن يقطعه غيرك من الأذكار في أسابيع، بأمر الله تعالى تقطعه في سويعات أو لحظة من اللحظات، فلا تقول لي: كيف؟ لأن كيف هذه

---

١١٠ الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين عن أبي هريرة رضي الله عنه

تحتاج منك أن تدخل المعمل وترى بنفسك: (ذق تعرف) ... فهذه تجربة لا أستطيع أن أفصلها لأحد.

وبعضهم يحاول أن يكثر العدد في كيفية الصلاة، ككتاب (دلائل الخيرات) للشيخ الجازولي ﷺ، والشيخ الجازولي رجلٌ من سكان مدينة فاس في المغرب، وكان إماماً من أئمة العلم، ذهب ليشرب من بئر ماء فوجد أنه لا يستطيع أن يصل إلى ماء البئر لعمقه، وكان البئر بجوار شرفة قصر، وبينما هو كذلك إذا بفتاة تقف في الشرفة ونظرت في البئر، وكأنها توحي إليه بأنها في عطش وتحتاج إلى الشرب، وإذا بماء البئر يرتفع حتى تصل إلى فمها لتشرب بدون كأس أو إناء، فتعجب، فهو عالم ولكنه لم يصل إلى هذه المنزلة، ولكنهم كانوا علماء أجلاء، فعندما يرى مشهد من هذه المشاهد لابد أن يسأل لربما أن يستطيع أن يصل إلى هذه المنزلة، فكانوا يسعوا في استباق الخيرات.

فسألها بم وصلت إلى هذه المنزلة؟ فقالت: بالصلاة على النبي ﷺ، فاشتغل بالصلاة على النبي، وأخذ يتفنن في أنواع الصيغ التي يُصلي بها على حضرة النبي، ويريد أن يكثر من الصلاة على حضرة النبي، فجاء بالأعداد، يقول مثلاً: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ذرات الرمال، وعدد قطر البحار، وعدد أوراق الأشجار، ويعُد ليزيد من الصلاة على النبي، وهذه اسمها الصلاة العددية، لأن فيها عدد، سواء يعد، أو يعد الكائنات أو المخلوقات في صيغه.

لكن بعض الصالحين قالوا: هو عندما يقول عدد هذا وعدد هذا وعدد هذا، فنحن نراها في عالم الحقيقة صلاة واحدة، فأنت عندما تقول: اللهم صل على سيدنا محمد عدد ذرات الرمال، هل يحسب لك عدد الذرات التي في الكون ويعطيك بكل ذرة صلاة على النبي؟ لا، هي كلها صلاة واحدة.

نحن نريد صلاة أعظم تقربنا، قالوا: منه له، كيف؟ يعني اجتهد حتى تأخذ صلاة منه يمدك بها، فهي التي توصلك إليه، وهذه اسمها الصلاة المددية.

فعندما يُكثر الإنسان من الصلاة على حضرة النبي ﷺ فإن الله يمده بصيغ إلهامية، لكن بعض الناس يتكلف ويؤلف صيغة، ويحاول أن يجعلها على نغمة واحدة ليكون فيها سجع، فهذا تكلف وليست صيغة إلهامية.

لكن الصيغة الإلهامية تأتي فورية:

فأنت تنطق الكلمة ولا تعرف ماذا بعدها، فهذه إلهام من الله ﷻ، واسمها الصلوات الإلهامية، وهي تقوّي العوالم الروحانية التي فيك، وتزيد مدد الأنوار التي أعطاها لك خالقك وباريك، وتزيل الحجب، وترفع الأستار، وتكحل عين البصيرة باسم للنبي المختار، حتى تراه ﷺ بلا سحاب ولا نقاب ولا أستار.

وهو ﷺ يرتقي كل لحظة في مشاهد في حضرة القرب من القريب، مشاهد لا حد لها ولا عد لها، ليست هيئة ثابتة.

تريد أن ترى محمد بن عبد الله، فهذا الجسم الذي كان في الكون من أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وكان كما نعرفه، لكن النبي يرتقي أطواراً وراء أطوار في القرب من حضرة القريب تبارك وتعالى، وفي كل نَفَس يظهر في مشاهد أعلى، ومشاهد أرقى، ومشاهد أغلى، فكلما تشهد مشاهد تُعبر عما تشاهد من حضرة النبي ﷺ.

إذا كنت تشاهد أنواره فتُعبر عما تشاهد من أنواره، وإذا كنت تشاهد أسراره، فتُعبر عما تشهد من أسراره، وإذا كنت تشاهد مقاماته فتُعبر على قدرك على ما ترى من مقامات حضرته في هذه الآنة وفي هذه الآونة وفي هذه الساعة ...

وهذه اسمها صلاة شهودية، وهي صلاة القلب على خير البرية ﷺ.

فالصلاة العددية للحسنات، والصلاة المددية لجلاء القلب، وعوالم القرب فيك لتؤهَل لمقام المشاهدة، لكن الصلاة بالقلب التي هي صلاة الشهود لحضرة المحبوب ﷺ.

صلِّ صلاة اتصال تحظى بالحُسنى واستغرق الوقت في كشف بلا ميل

فصلاة القلب هي صلاة الوصال !!..

وهي صـــــلاة الإتصال !!

وهي صلاة الشهود !!

وهي صلاة القرب!!

وهي لأهل الكشف الذين كُشفت عنهم الحواس الظاهرة وظلمات الحياة الدنيا، واطلعوا بباطنهم بعد إعلاء شأنه وتطهيره بيد من يقول للشيء كن فيكون على ما لا يراه الناظرون، ولا يشهده بأعين الرأس المشاهدون، لأنهم في حضرة غيبية إلهية:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ ﴾ (الجمعة).

٧- وصل القلب بالنبي

س: كيف أصل قلبي بقلب رسول الله ﷺ؟

قلب الشيء لغوياً يعني حقيقته.

فقلب الإنسان ليس الجزء الذي يستقبل الدم ويضخ الدم بعد تطهيره من ثاني أكسيد الكربون ويُعطيه الأكسجين، فهذا صورة القلب الموجودة في جسم الإنسان.

والإنسان ليس جسماً فقط: ... بل الإنسان جسم وروح.

- **والروح هي سر حياة الجسم، ولذلك عندما تخرج الروح ونقول فلان مات، هل نقص عضوٌ من أعضاء الجسم؟ لا، فالعينين كما هما لكنهما لا يبصران، والأُذن كما هي لكنها لا تسمع، واللسان كما هو لكنه لا ينطق، والجسم كله كما هو ولكنه لا يتحرك.**
- **إذاً كيف كانت العين تبصر؟ وكيف كانت الأذن تسمع؟ وكيف كان اللسان ينطق؟ وكيف كان الجسم يتحرك؟**
  - **بسر الروح التي انتشرت في هذا الجسم، فهي سر الحياة، وإذا خرجت الروح تأخذ معها سر الحياة.**

وكل شيء في ظاهر جسم الإنسان بصورة، وحقيقته في حقيقة الإنسان التي لا تراها العينان، وإنما هي غيبٌ لا يطلع عليه إلا حضرة الرحمن، أو من صافاه وصفَّاه ربه تبارك وتعالى فصار من عباد الرحمن.

كل شيء ظاهر له شبيه بداخل الإنسان، فهناك عينان ظاهرتان في الجسم، لكنها لا ترى إلا المحسوسات ...!!

هل تستطيع العين المحسوسة الظاهرة أن ترى ما خلف الجدار؟ لا!!، هل تستطيع أن ترى الأشياء البعيدة في المسافات والجهات؟ لا !!، لأن نظرها محدود، هل تستطيع أن ترى الجنود الإلهية التي كلَّفها الله أن تمشي معنا ولا تفارقنا وتسجل أعمالنا وهم الكرام الكاتبين؟ لا ...!! ..... لأن هذه العين لا ترى إلا المحسوسات.

عين البصيرة

متى يرى يرى الإنسان هؤلاء الأقوام؟ ومتى يرى خلف الجدار؟ ومتى يرى المسافات البعيدة؟

إذا فتح الله له عيون القلب، أو نسميها عيون البصيرة، أو نسميها عيون السريرة، فهذه ترى ما يغيب عن عين الرأس من هذه الحقائق.

سيدنا عمر ﷺ كان على المنبر في يوم الجمعة في المدينة، وبينه وبين جيش المسلمين حوالي أربعة آلاف كيلومتر في أقصى بلاد فارس وهي إيران الآن، وهذا المكان الذي كان فيه الجيش تابع لأفغانستان الآن، لأن فارس وقتها كان معها جزء من أفغانستان، وكان معها جزء من الجمهوريات السوفيتية الجنوبية، ومعها جزء من بلاد الهند، فكانت كلها مملكة فارس ... فسيدنا عمر وهو على المنبر رأى الجيش، والجيش كانت خطته أن يكون ظهر الجيش للجبل، فيكونوا في حماية الجبل، ولكنه رأى وهو على المنبر كتيبة من العدو تلف حول الجبل لتهاجم الجيش من الخلف، وهم غير منتبهين ومطمئنين أنهم مستندين بظهورهم على الجبل.

فترك الخطبة ونادى قائد الجيش وكان اسمه سارية وقال: يا سارية الجبل، فتعجب الجالسون، ولكنه لأنه كان صاحب هيبة فلم يستطع أحدٌ أن يسأله مباشرة عن سر قوله ذلك، فذهبوا إلى سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه وقالوا: حدث من عمر اليوم كذا، وكانوا كلهم أهل صفاء ونقاء، يسارعون إلى دفع التهم عن الأبرياء، عكسنا الآن حيث يسارع الكثير في إلصاق التهم بالأبرياء بدون شاهد ولا دليل، مع أن هذا نهانا عنه الله، وحذرنا منه سيدنا رسول الله ﷺ.

فسيدنا الإمام علي قال لهم: هو أعلم بمخرجه، نسأله أولاً، فقال له: يا أمير المؤمنين حصل منك أمر غير عادي، فقد قلت أثناء الخطبة: يا سارية الجبل، فما السر في ذلك؟ قال: رأيت جيش العدو يلتف خلف جيش المسلمين، وهذا الشاهد، فهل رأى بعين الرأس أم بعين القلب؟ رأى بعين البصيرة، والعين المنيرة.

لأن العين المحسوسة لن ترى حتى من خارج المسجد، لكن هل ترى من على بعد أربعة آلاف كيلومتر؟ لا، وكذلك الصوت، فنحن لكي نسمَّع بعضنا في المسجد مثلاً نحضر سماعات وميكروفون، لكن هل أستطيع أنا أو أنت أن نُسمَّع شخص على شاطئ البحر مثلاً؟ قد يحدث ذلك باستخدام التكنولوجيا، كالهاتف المحمول أو ما شابه ذلك،

لكن سيدنا عمر بدون التكنولوجيا تكلم، وكلامه وصل على مسافة أربعة آلاف كيلومتر، ... هذا الكلام لم يكن بلسان الظاهر، ولكن كان بلسان عالم الباطن الذي فيه، وهو عالم الروح، وعالم القلب، وعالم الأمر من الآمر ﷻ، فلما حكى لهم ما رآه، لم يجادلوه لأنهم كانوا كما وصفهم حضرة النبي فقال:

{ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[١١١]

فلم يجادلوه ويقولوا له: كيف ترى من على مسافة أربعة آلاف كيلومتر؟ أو يستهزئوا ويقولوا هذه مزحة، ولكن قالوا: ننتظر بشير النصر، وكان عندما ينتصر الجيش الإسلامي يرسلوا أحدهم ليبشر المؤمنين المقيمين في مدينة النبي ﷺ بانتصار الجيش حتى يفرحوا: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم).

وبعدها أخذوا الحيطة، فقالوا: ننتظر على الطريق الذي يأتي منه البشير حتى نسأله قبل أن يدخل المدينة ويقابل عمر، وليس هذا تشككاً فيما رآه عمر، ولكن اثباتاً للحقيقة لأنهم يعرفون أن المجتمع فيه طائفة من المنافقين، ولا يخلوا مجتمع منهم إلى يوم الدين، والمنافقون وظيفتهم ترديد الإشاعات التي تكذب المؤمنين، والتي تفضح المؤمنين، والتي تثبط المسلمين، لذلك أرادوا أن يتأكدوا بالدليل العملي صدق سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، وبعد شهر جاء البشير وقال: الحمد لله نصر الله الإسلام، فسألوه: متى؟ قال لهم: وقت صلاة الجمعة، فسألوه: ألم تسمعوا صوتاً أثناء المعركة؟ قال: سمعنا صوت كصوت عمر ونبهنا أن العدو قادم من وراء الجبل، فانتبهنا وكان هذا سبب نصرنا.

فقطعوا الخط على على المنافقين حتى لا يكون لهم حجة، لأنهم كانوا سيشنعوا على أمير المؤمنين، وأنتم تعلمون أن المنافقين في كل زمان ومكان ليس عندهم دين ولا حياء، ووصل بهم الأمر إلى أن شنعوا على أم المؤمنين السيدة عائشة زوجة حضرة النبي، فماذا بعد ذلك؟! هل توجد وقاحة أكبر من هذا؟! فلا بد للإنسان أن يأخذ حذره من هؤلاء في هذا الأمر، .... فسيدنا عمر هنا أبصر بعين القلب، وبعين الروح، وبعين السر، وبعين الفؤاد، وبعين البصيرة، .... كل هذه أسماء تدل على العين الباطنية التي ترى ما لا تراه عين الرأس، ترى الملائكة، ,,, وترى المسافات البعيدة لأنه لا توجد مسافات تحجبها، ... وترى ما في جنة النعيم من ألوان النعيم، ... وترى كل الغيوب التي يُسمح لها برؤيتها بإذن من علام الغيوب ﷻ.

---

١١١ حلية الأولياء لأبي نعيم عن سويد بن الحارث رضي الله عنه

وتكلم مع هؤلاء بلسان القلب، فلساننا يتكلم لغة واحدة وهي العربية، وإذا اجتهد قد يضيف لها لغة أخرى أو أكثر كالإنجليزية، والفرنسية، وهناك الذين يعملون في السلك الدبلوماسي منهم من يجيد التحدث بتسع لغات، ويتباهى بذلك ، لكن هل يستطيع أن يتكلم مع ملائكة الرحمن؟ لا ... لأنه ليس هناك مدرسة في الكون تدرس كيفية التحدث مع ملائكة الرحمن، إلا في الجامعة المحمدية فقط؛ جامعة القرآن.

هل يستطيع أن يتكلم مع ما حوله من الجمادات أو الحيوانات أو النباتات؟ لا، وكل حقيقة من هذه الحقائق لها لغة خاصة بها تتكلم بها مع شبيهها وأمثالها، وقد منَّ الله على نبي الله سليمان بأن عرَّفه بعض هذه اللغات ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ (النمل ١٦) والطير ليس له لغة واحدة بل كل صنف من صنوف الطير له لغة، بل إن شئت فالصنف الواحد فيه فصائل، وكل فصيلة لها لغة خاصة بها، والله ﷻ علَّمه كل هذه اللغات فوراً ووقتاً وحالاً بفضله وإكرامه ﷻ، ولا أحدٌ في الوجود كله يُعلِّم أحداً هذه اللغات إلا واحد اختاره الله ﷻ وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك أراد أن يرسل إلى الملوك الذين حوله يدعوهم إلى الإسلام وكانوا حوالي ستة ملوك، ملك الروم في الشام وملك الفرس في إيران وملك الحبشة في أثيوبيا، وملك اليمن في اليمن، وسلطان عمان في عمان، وملك الغساسنة وهي إمارة عربية كانت مجاورة لبلاد الشام، واختار ستاً من أصحابه، وأعطاهم الرسائل ليسلموها لهؤلاء الملوك، فقالوا جميعاً: يا رسول الله ليس لنا علم بلغة البلد التي نتوجه إليها، فأمرهم الرسول ﷺ أن ينطلقوا بأمر الله في الصباح، وفي الصباح كما تحكي كتب السيرة المعتمدة أصبح كل رجل منهم عند يقظته يتكلم بلغة البلد التي سيتوجه إليها ويجيدها أحسن من أهلها.

أخذوا كم دورة في تعلم هذه اللغات؟! لم تكن هناك مراكز تعلم اللغات، ولا أسطوانات لتعلم اللغات، فما الأمر؟ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة ٢٨٢) وماذا يعلمنا الله؟ كل شيء، هل الآية حددت شيء؟ لا، بل كل شيء يشاؤه الله ﷻ، ولذلك عندما ننظر للسيرة العطرة لأصحاب حضرة النبي، نجد فيهم كل هذه الأمور، منهم من كان يكلم الجمادات، ومنهم من كان يحدث الأرض، ومنهم من كان يكلم الحيوانات بشتى صنوفها وأنواعها، ومنهم من يتكلم بعلوم عالية إلهامية في تفسير وتوضيح الآيات القرآنية .. فيهم كل العلوم الإلهية لأن الذي علَّمهم هو العليم ﷻ.

حدث في عصر سيدنا عمر ﷺ وأرضاه زلزال، وكان معه عصا صغيرة صنعها من القماش وسماها الدُّرة، فلما حدث الزلزال ضرب الأرض بالدرة، وقال لها: قِرِّي واسكني

فإني أعدل على ظهرك، فسكنت الأرض في الحال!

الشاهد الذي نريد أن ننتبه إليه أنه كلم الأرض! .. كما أن حضرة النبي كلم الجبل، فقد كان النبي واقفاً على جبل أُحد ومعه سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان، فالجبل من فرحته أخذ يرقص ويتحرك، فقال له: { اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ }[١١٢]، ففي الحال ثبت الجبل، وهذا الأمر كان وراثة لسيدنا عمر الذي كلم الأرض فسكنت الأرض !! كلَّمها الكلام الظاهر للحضور، لكن هل الأرض تفهم لغتنا هذه؟ لا، لكن كلمها بلسان الباطن بما علَّمه القدير ﷻ، هذا اللسان الظاهر لا يعرف شيئاً، ولكن ليعلم الناس مدى إكرام الكريم تبارك وتعالى لعباده المؤمنين.

الحقيقة الباطنية

فالمؤمن له قلبٌ، يعني حقيقة باطنية فيها كل أسرار الحياة الإنسانية:

وهي التي بها تتحرك الأجساد في عالم الأرض، وهذه فيها هذه الحقائق.

الحقيقة الإنسانية التي فينا كلنا جماعة المؤمنين قال الله فيها في القرآن للملائكة المقربين: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحجر).

آدم عندما أراد الله أن يُظهره في الأكوان أمر الملائكة أن تنزل وتأتي له بتراب من الأرض ليُكوّن منه ويصور آدم، كما ورد بتفسير ابن كثير:

{ فَبَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ إِلَى الْأَرْضِ لِيَأْتِيَهُ بِطِينٍ مِنْهَا، فَقَالَتِ الْأَرْضُ: إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ أَنْ تَقْبِضَ مِنِّي أَوْ تَشِينَنِي فَرَجَعَ وَلَمْ يَأْخُذْ، وَقَالَ: رَبِّ مِنِّي عَاذَتْ بِكَ فَأَعَذْتُهَا، فَبَعَثَ مِيكَائِيلُ، فَعَاذَتْ مِنْهُ فَأَعَاذَهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَبَعَثَ مَلَكَ الْمَوْتِ فَعَاذَتْ مِنْهُ، فَقَالَ: وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أُنَفِّذْ أَمْرَهُ، فَأَخَذَ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَخَلَطَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَأَخَذَ مِنْ تُرْبَةٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ بَنُو آدَمَ مُخْتَلِفِينَ }[١١٣]

فأخذ من كل عناصر الأرض، وأخذها الله وخلقها بماء التسنيم، وصارت هيكلاً ولكن ليس فيه روح، جسم ليس فيه حركة ولا حياة، تمر عليه الملائكة صاعدة وهابطة،

---

١١٢ صحيح البخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه

١١٣ تفسير ابن كثير

إلى أن قال لهم الله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة) فقالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٣٠البقرة) كيف يكون خليفة وليس فيه شيء أبداً؟ فقال لهم: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة) ثم أمرهم بالسجود له: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحجر).

السر ليس في الطين، لكن السر في نفخة رب العالمين!!

فهل سجدوا للطين أم لسرِّ رب العالين؟

سجدوا لسرِّ الله الذي وضعه الله في الإنسان.

فأرواحنا كلنا جماعة المؤمنين من أسرار رب العالمين ﷻ، وفيها سر الهداية؛ قطرة من نور سيد الأولين والآخرين ﷺ، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[١١٤]

سر الهداية، وسر العناية، وسر الإسلام، وسر حبنا للعمل بما يرضي الله، وسر غرامنا بكتاب الله، وسر شوقنا إلى أداء الحج والعمرة وزيارة سيدنا رسول الله .. كل هذه الطاعات والقربات سرها ما فينا من خميرة النور من سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك قال لنا الله في القرآن حتى لا نتوه:

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (٧الحجرات)

الرسول بداخلكم!!

ليس في الجسم ولكن في الحقيقة !!

فالنور الموجود والشعاع الموجود في فضاء القلب من نور النبي ﷺ.

فعندما يريد الإنسان أن يتصل قلبه بقلب رسول الله ﷺ، ما الذي يحجبه؟ ... كل ما يحجب الإنسان عن الأنوار العلية، وعن الحضرات البهية هو ما تحصله هذه الجوارح في الهيكل الطيني من العوالم الأرضية.

---

١١٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

طوال النهار العين تصور مناظر، أين تذهب هذه المناظر؟

إلى القلب!!

وكذلك الأذن تسجل كلام ومواقف، وعندما يُصلي الإنسان تشتغل هذه التسجيلات فيسهو عن الله وهو في الصلاة، فيتذكر المحادثة التي دارت بينه وبين فلان، والكلام الذي دار بينه وبين فلان، أو ينشغل وهو في الصلاة بمنظر رآه بعينه، فهل هذا سيرى شيء من نور الله أو جمال الله أو من إكرام الله تبارك في علاه؟ لا.

من الذي يرى؟

الذي يحافظ على هذه الكاميرات أنها لا تنظر إلا بأمر من يقول للشيء كن فيكون، وغير ذلك يقول لها: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور) ويمنع الأذن عن سماع ما لم يحله الله، وهذا الإنسان عندما ينام:

فإن الروح لا تجد شيئاً يقيدها ولا يحبسها، فتصعد إلى الملأ الأعلى، فيتهنَّى في المنام، ويقول: أنا رأيت هذه الليلة كذا وكذا، أو أنا رأيت أني في الجنة وقابلت فلان وفلان، أو رأيت أني في الملكوت الأعلى وكلمني فلان وفلان، أو ذهبت إلى الروضة الشريفة وظهر لي سيد الأولين والآخرين وألقيت عليه السلام، ورد علي السلام، ودار بيننا حديث وكلام، لماذا هذا؟

لأنه فك القيود التي تحجبه عن هذه المشاهد العالية ...

وسخر الجوارح كلها لشريعة الله، والاقتداء برسول الله ﷺ.

والآخر الذي يترك عينه ترى ما تشاء، والأذن تسمع ما تشاء، فإن الروح تريد الصعود بعد أن ينام فتجد من يشدها ويجذبها ويجعلها في الأرض، فماذا يرى في المنام؟

تأتي له بالصور التي كان يعيش فيها طوال النهار، ... فما رآه بالنهار يراه في الليل، أو تأتي له بصور تخيفه، أو تأتي له بمناظر تزعجه، لماذا؟ لأن الروح مقيدة بالمناظر الأرضية الطينية، ... والسماع الذي لا يُرضي رب البرية، فلا تستطيع أن تتحرك!!

لكن إذا تحقق الصفاء:

تجـــذب الـــروح الهياكـــل ... في الصـــفا أعـــلى المنـــازل
إن أداروا الـــــراح صرفـــــاً ... أســـكرت عـــالٍ وســـافل

ولذلك أصحاب حضرة النبي لأنهم كانوا يعيشون في هذا الصفاء، كان ﷺ عندما ينتهي من السلام في صلاة الفجر يلتفت إليهم، ويقول لهم:

{ أَيُّكُمْ رَأَى اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ }[١١٥]

فيحكي كل واحد منهم مارآه في هذه الليلة في العوالم العلوية.

فبالله عليكم لو التفت إمام لمن خلفه بعد صلاة الفجر حتى ولو كان في البيت الحرام، وقال لهم: احكوا لي ما رأيتموه الليلة في المنام، فلن يحكوا شيئاً، لانهم لا يرون إلا المناظر الشهوانية التي تشغل عن القرب من ربِّ البرية تبارك وتعالى.

جهاد الجوارح

فلو حافظ الإنسان على حسن الاستخدام للجوارح التي خلقها له الرحمن، فلم ينظر إلى ما حرم الله، ولم يسمع ما يجني به ذنوباً وآثام، وهكذا كل الأعضاء، إن كان اللسان أو الفرج أو البطن أو القدم أو اليد، فإن الروح ستصفو، ويصفوا القلب، ويخرج إلى عالم الصفاء، وبعد ذلك فوراً يتصل ويصل إلى نور سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، لأنه أطلق ما فيه من نور الله ليتصل بنور الأنوار وسر الأسرار وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك بعض الأحباب يقول: لي معكم ثلاثون سنة أو أكثر أو أقل وأنا كما أنا، ولا أرى حتى رؤيا!، وماذا أصنع لك؟ وهل سأجاهد لك؟

جاهد تشاهد، أنت تريد أن تشاهد من غير جهاد، وهذا لا يجوز، وهذه هي المشكلة، فالكثير يريد أن يحصل على الدرجات العلية بدون جهاد ولا سير خلف سيد العباد ﷺ، وهذا لا يجوز أبداً ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) لا بد من الجهاد ..... الجهاد في ماذا؟

لا أقول أنك تصوم طوال السنة، ولا تقوم طوال الليل، لكن الجهاد الذي يوصل لهذه المراتب، أن تمنع الجوراح عن العمل فيما يغضب الله، ولا يرضي سيدنا رسول الله، ولخص ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ في حكمة بسيطة وهي خلاصة هذا الكلام:

غُض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير

---

١١٥ اتحاف المهرة ومسند أحمد

٨- رؤية حقيقة رسول الله ﷺ

س: شاهد أُويس القرنى حقيقة من حقائق رسول الله ﷺ، وشاهد الصحابة حقيقة من حقائق رسول الله ﷺ، فأيهما أرقى؛ رؤية الصحابة أم رؤية أويس؟

أُويس القرني من التابعين وليس من الصحابة، لأن الصحابي هو الذي شهد النبي ﷺ في طور حياته الدنيوية في زمن رسالته ولو مرة، والتابعون هم الذين شاهدوا أصحاب النبي المباركين، ولم يكن لهم نصيبٌ في شرف مشاهدة ظاهر حضرة النبي ﷺ عند تكليفه برسالة رب العالمين تبارك وتعالى.

فأُويس القرني لحق زمن النبي لكنه لم يشهد حضرة النبي، والنبي ﷺ نبَّأ عنه وأخبر عنه أصحابه المباركين، فقال ﷺ لهم موصياً به وكاشفاً عن حالته:

{ يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ }[١١٦]، وفي رواية أخرى: **{ إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ عزوجل فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّرْهَمِ فِي سُرَّتِهِ }**[١١٧]

فكان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في زمن خلافته يحج كل عام، وكان عند توجهه إلى عرفات بعد اجتماع الحجيج ينادي على أهل اليمن، أو يأمر منادياً ينادي فيهم: هل فيكم أُويس؟ فيقولون: لا، فلما كان ذات مرة سأل هل فيكم أُويس؟ قالوا: ليس فينا إلا رجلٌ ضعيفٌ فقير يرعى جمالنا اسمه أُويس، فسألهم أين هو؟ فدلوه على مكانه، وكان معه الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه، فأومأ إلى الإمام علي حتى لا يكشف السر، ثم مشيا حتى التقيا بأُويس القرني ﷺ، وأبلغوه رسالة النبي ﷺ، وسألاه أن يستغفر الله لهما وأن يدعو لهما، ثم قال له عمر: يا أُويس هل لك أن تصحبنا فتنتفع بنا وننتفع بك؟، فقال أُويس: عجباً لك يا عمر، من أنس بالله كيف يأنس بسواه؟!.

---

١١٦ صحيح مسلم والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

١١٧ مسند أحمد والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثم لما عرف أن أمره انكشف استأذن منه أن يذهب إلى أرض العراق ليجاهد مع جيوش المسلمين في سبيل الله، فأذن له، ثم قال له: هل أُرسل معك رسالة إلى والي العراق أُوصيه بك؟ قال: لا إني أُحب الخمول، والخمول يعني عدم الرغبة في الشُهرة أو حب الظهور، هذا الرجل رُوي سماعاً أنه سألهما: هل رأيتم رسول الله ﷺ؟ قالا: نعم، وأخذ سيدنا عليٌّ ﷺ يصف الرسول ﷺ – وكان وصافاً – بصفاته الظاهرية الجسمانية، فقال: إنكم لم تروه – وتُكمل الرواية السماعية، وإن كنت إلى وقتنا هذا لم أر لها مرجعاً أرجع إليه في سندها – أنهما ذهبا إلى السيدة عائشة وذكرا لها ذلك فقالت: **((لقد رأيته الرؤية الحقيقية مرَّة واحدة، كنت أُخيط له ثوباً على مصباح فهبت الريح وأُطفئ المصباح ووقع منى المِخْيط، فدخل علىَّ ﷺ فرأيت نوراً من الأرض إلى السماء، ورأيت على هذا النور المِخْيط وأدخلت فيه الخيط))** وهذه الرواية الخاصة بالسيدة عائشة يرويها النيسابوري في كتابه (شرف المصطفى ﷺ) بمفردها دون الرواية الكاملة، وفي رواية أخرى: **{ اسْتَعَرْتُ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ إِبْرَةً كُنْتُ أَخِيطُ بِهَا ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَقَطَتْ مِنِّي الإِبْرَةُ، فَطَلَبْتُهَا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَبَيَّنْتُ الإِبْرَةَ مِنْ شُعَاعِ نُورِ وَجْهِهِ }**[١١٨]

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

لـــم يـــر الصـــديق منـــه غـــير هيكلـــه المبـــاح
ومعانيـــه تعالـــت عـــن عقـــول ذوي الصـــلاح

ويقول عن رؤية أُويس:

سل أُويساً عن حُسنه يشرحنه هـام فيـه بعـدما شرب المـدام

رؤية الحبيب المصطفى ﷺ إن كانت لظاهره النوراني، أو لباطنه الرباني، أو لحقيقته القدسية، أو لأي شيء من حقائقه الإلهية منَّةٌ من الله، وفضلٌ وإكرامٌ يمنُّ به الله تبارك وتعالى على من يُحبه ويرضاه، وكلٌ يرى على قدره بما يستطيع تحمله من هذا النبي الكريم الرءوف الرحيم ﷺ، ... والرؤية خصوصية .... والخصوصية لا تقتضي الأفضلية !!.. فإن الإنسان الذي يرى الحبيب ﷺ لم يميز الله ﷻ من رأى ظاهره عمن رأى باطنه، ولا من رأى باطنه عمن رأى ظاهره !!

---

١١٨ تاريخ دمشق لابن عساكر، ودلائل النبوة للأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

وإنما ميَّز أصحابه الكرام لأنهم شاركوه في إبلاغ شرع الله، وعاونوه في أداء رسالة الله، وكانوا له سنداً وظهيراً بعد الله، ولذلك قال فيهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) ... فأصحاب النبي ﷺ لا يبلغ معشار معشار أحدهم أحدٌ من الأولين ولا الآخرين، فقد قال ﷺ: { لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ }[١١٩]، والمُد يعني كيلٌ كان يُكتال به مقدراه قدحين، فنحن لا نفضل أحداً من الأولين والآخرين على أصحاب النبي ﷺ.

وأصحاب النبي ﷺ فرَّق الله بينهم ميراث الحبيب، فجعل لكل واحد منهم نصيباً، واختصَّ الله ﷻ خيار التابعين وكُمَّل الصالحين إلى يوم الدين كذلك بشيء من ميراث الحبيب، حتى نعلم علم اليقين أن ميراث الحبيب يسع الأولين والآخرين، ولا يأخذوا منه إلا كرذاذة ماء من المحيطات الواسعة، من محيطات جمالاته وكمالاته التي خصَّه بها الله ﷻ:

- فإن كان أُويس خُصَّ ببعض المشاهد الروحانية !!!، فأبو بكر خُصَّ بالمشاهد الذاتية، وهي أعلى وأرقى في المزية !! وعمر خُص بالمشاهد العلية التي كان بها يأتي بالآيات القرآنية قبل أن يتنزل بها الوحي من رب البرية.
- فكل واحد منهم نال على قدره من إرث الحبيب ﷺ .. وكل رجل – حتى من المسلمين العاديين – له نصيبٌ من إرث سيد الأولين والآخرين خُصَّ به وحده لا يُكرر إلى رجل آخر، ... ولا يتشابه مع عطاء آخر إلى يوم الدين .. حتى نعلم مدى سعة أنوار الحبيب، ... ومدى الخصائص التي خصَّه بها رب العالمين ﷻ.

وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (١١٠الكهف) يعني هو رجلٌ واحد إلا أنه مثل الأولين والآخرين من الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والمسلمين والمؤمنين السابقين واللاحقين، بما أعطاه رب العالمين ﷻ.

وهو صاحب العطاء المشهود، ... وكل عطاء فهو منه ﷺ ممدود، ... وكل واحد فرحٌ بما آتاه الله من هذا العطاء الإلهي، لكن نحن لا نفرق بين أحد من أهل العطاء، ... ولا نفاضل بين أحد من أهل الاجتباء، .... وإنما نُسلِّم تسليماً لهذا العطاء، .... لأنه عطاءٌ من الله ﷻ ورسوله ﷺ.

---

١١٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٩- مقام النبي

س: نرجو توضيح معنى قول الإمام أبي العزائم ﷺ:

كنتَ بدءاً قبل التجلي جلياً صرتَ ختـــماً مثاله عليا

الإمام أبو العزائم ﷺ يبين بعض مناقب سيدنا رسول الله التي حباه بها مولاه:

أول منقبة من هذه المناقب أنه كان أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث، قال ﷺ: { كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }[١٢٠]، فخلق الله نور نبيه من نوره، وخلق من نور نبيه نور أنبيائه ورسله، فهو كان قبلهم، وكان قبلهم نبياً، لأن النبوة أمرٌ بينه وبين مولاه، لكن الرسالة عندما يُكلف بإبلاغ رسالة الله إلى خلق الله.

النبوة أمر بينه وبين مولاه يغذيه بعلومه الإلهية، ويملأه بأنواره القدسية، ويغشاه بحكمه الربانية، وهذه حالة خاصة بين الله وبين حبيبه ومصطفاه، ولذلك قال ﷺ موضحاً هذا المقام عندما سأله أحد أصحابه الكرام: { يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى جُعِلْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ }[١٢١]، وهل هناك إنسان ليس روح ولا جسد؟ لا!، ولكن يعني أني كنت نبياً وآدم لم يتكون ولم يُخلق بعد، ووضحه بصورة أبهى في قوله: { إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[١٢٢]

فهذا معنى كنت بدءاً قبل التجلى جلياً، وجلياً يعني واضح أنك نبي الأنبياء، ورسول المرسلين، ولكن جلى لأرواح الأنبياء، وأرواح المرسلين، والملائكة المقربين، وأهل عالين وعليين، فهؤلاء الذي كان جلي وواضح لهم في هذا المقام، لكننا لم نكن وُجدنا.

وفي الختم عندما كلَّفه الله برسالته، وأنزل عليه خير كتبه، جمَّله بخير أوصاف يحبها من خلقه، وجعله نموذجاً مثالاً لهم، والذي يريد أن يحبه الله ويترقى إلى الله، والله يتقبل منه ويقربه، ماذا يفعل؟ يتأسى بهذا الرجل، ويقتدي بهذا النبي، ويحتذي بهذا الرسول:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

---

١٢٠ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٢١ مسند أحمد والحاكم في المستدرك
١٢٢ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

١٠- صفاء الروح

س: ما معنى صفاء الروح؟ وكيف ومم تصفو؟

الروح كانت في صفاءٍ في يوم النور والبهاء عندما عُرضت على الله في يوم الميثاق، يوم ألست بربكم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢)الأعراف) لم يقولوا: سمعنا ولكن قالوا: شهدنا، فهم كانوا في حالة صفاء الصفاء، لأن الروح شهدت وجه الله، وشهدت في هذا اليوم جمال الخالق البارئ المصور تبارك وتعالى في علاه.

ما الذي يُذهب هذا الصفاء؟

عندما تختلط الروح بالجسم، يحدث اللبس، ولذلك قال رب العزة ﷻ:.. ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٥)ق) لبس يعني تخليط وتشويش، والخلق الجديد هو الجسم، عندما يأتي الجسم وهو الخلق الجديد وتدخل فيه الروح ويبدأ الإنسان يُدرك، يحدث اللبس، ويحدث التشويش، ويقل الصفاء، وقد ينقلب إلى جفاء إذا زاد الإنسان في الغفلة عن الله ﷻ !!! ولذلك الطفل الصغير الذي لا يزال في فترة الولادة، يعيش في هذا الصفاء قبل أن تنزل عليه ستارة الحس، فقبل أن يعرف أباه وأمه، ونظراته لا يعرف بها من حوله، يكون في هذه اللحظات يتمتع بالنظر في عالم الصفاء، فيرى الملائكة الصاعدة، والملائكة النازلة، والملائكة المحيطة به، ويرى هذه العوالم العلية كلها، ولكن عندما تنزل ستارة الحس ويعرف أن هذا أبوه، وهذه أمه، وأن هذا أخوه، وهذه أخته، فهنا يحدث اللبس والتشويش والتخليط في الخلق الجديد.

وكلما كبر وشبَّ ونما واختلط بالدنيا وأهل الدنيا تذهب ستارة الصفاء، وأهل الدنيا أصناف وأشكال وأنواع، منهم شياطين الإنس، وهم أشد من شياطين الجن، فشياطين الجن أمرهم سهل، نستعيذ بالله منهم وفقط، لكن شيطان الإنس يجلس معك ويكلمك وتكلمه، ويحاول أن يقنعك حتى تمشي معه في الحال الذي هو فيه !! فعندما يختلط الإنسان بشياطين الإنس، ويختلط بالنفوس الحيوانية، والنفوس الإبليسية، والنفوس الجمادية، تبدأ ستارة الصفاء تذهب، أو يقل صفاؤها، ويزيد حجم كثافتها، فيزيد حجابه عن الله ﷻ، قال ﷺ: { إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي

ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }[١٢٣]، نكتة وليست نقطة، يعني أثر، والران يعني الغطاء أو الستارة: ﴿ كَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (١٤-١٥المطففين) يحدث هنا الحجاب، نتيجة نزول الران أو الغطاء من توالي الغفلة، ومن توالي الذنوب، ومن توالي الصدود عن الله ﷻ، ومن مجالسة الظالمين، ومن مجالسة الغافلين.

ولذلك نهانا الله عن مجالسة الغافلين والظالمين: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨ الأنعام) حتى لا يضيعوا لك صفاؤك ونقاؤك وحالك، وهذا الذي جعل كثير من الصالحين في الأزمان الفاضلة يهجر الخلق، يذهب فيعيش في جبل، أو يعيش في مغارة، أو حتى يعيش في خلوة، لماذا؟ حتى لا يرى الخلق ولا يرونه ولا يجالسهم ولا يجالسونه، لأن المجالسة تقتضي المؤانسة، والمؤانسة تقتضي اكتساب بعض عادات من تجالسه وتأتنس به، وقد تأخذ عاداته دون أن تدري ولا تشعر.

فكانوا لكي يؤثروا الصفاء والنقاء يبتعدون عن الخلق، حتى جاء العصر النوراني عصر سيدنا رسول الله ﷺ، والذي جدده لنا الإمام أبو العزائم ﷺ وقال في شأن الخلوة: **((الخلوة أن يخلو قلبك مما سوى الله، وأنت في أي موضع من أرض الله)).**

حتى ولو كنت في السوق، فتكون في السوق بما فيه من مشاغل، لكن القلب في صفاء ونقاء وفي نور وبهاء مع الله ﷻ .. وهذه الخلوة التي عندنا هي حال الأكابر الذين كانوا حول سيد الأكابر ﷺ، إذاً من أين يأتي الجفاء؟ من المخالطة، ومن الغفلة، ومن الوقوع في الذنب، ومن الاستهتار بالعيب، كيف يتحقق الصفاء؟ يحتاج إلى:

أولاً: عدم مخالطة الغافلين، وعدم مجالسة الظالمين.

ثانياً: أن يحفظ الإنسان جوارحه من الوقوع في الذنب في أي وقت وحين، وإذا وقع في أي ذنب فوراً يسارع إلى التوبة لحضرة التواب تبارك وتعالى.

ثالثاً: يحفظ القلب من جميع الأغيار، فلا يسمح بدخول شيء فيه إلا إذا كان يقربه لحضرة العزيز الغفار ﷻ.

رابعاً: يجالس ويديم ظاهراً، أو باطناً، أو ظاهراً وباطناً الصالحين والأبرار، فإنهم يُعدون الإنسان بحالهم في الصفاء، فينتقل بنظراتهم، وينتقل بدعائهم، وينتقل بمخالطتهم من هذه الظلمات إلى نور الصفاء في عالم الصفاء لله ﷻ.

---

١٢٣ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

١١- رُقيّ الروح

س: متى يُؤذن للروح أن ترقى إلى حضرة الملكوت؟

الذي يحجب الروح عن الرقي إلى حضرة الملكوت هو شغلها بمطالب هذا الجسم الفاني وشهوات النفس الدنية، هذه هي الأشياء التي تحجبها عن هذه المشاهد العلية، فشُغل نفسي بالدنيا الدنية يحجبها عن الارتقاء إلى الأنوار والسبحات الإلهية العالية.

ولذلك فالإنسان إذا أدار على نفسه راح الصفاء، وحفظ جوارحه الظاهرة من الجفاء، وما عليه أهل البعد والجفاء، فغضَّ النظر والبصر عما حرَّمه الله، وحفظ الأُذن عن سماع كل شيء يُغضب الله، وحفظ اللسان من نطق أي كلمة يتفوه بها تُغضب الله وتثير حفيظة خلق الله، وحفظ اليد وحفظ البطن وحفظ الفرج وحفظ الرجل من كل ما حرَّم الله تبارك وتعالى عليهم، واستعملها في مراضي الله، وواصل ليله ونهاره شُغلاً بذكر مولاه، وواصل وقته بدوام تلاوة ما تيسر من كتاب الله، والصلاة والتسليم على حبيبه ومصطفاه، وأنفق وقته في الأعمال الصالحة التي تقرِّبه إلى الله أو الأعمال النافعة التي ترضي خلق الله، وتجعله محبوباً لديهم ومكرماً عند حضرة الله.

إذا فعل ذلك في نهاره وجزءاً من ليله ثم نام، فإنه عند نوم الجسم والجوارح، تخرج الروح هائمة إلى عالم الملكوت الأعلى، لتفد إليه بأنوار علية، وعلوم وهبية، وحِكَم قدسية، ولطائف ربانية، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

نم هيكلي فالروح يقظى مشوقة لترقى إلى أصلها العالي ليست من الترب

فتذهب الروح إلى أصلها، وأصلها من عالم النور، والملكوت من عالم النور، فتذهب إلى نور الملكوت تلتقط فيه ثمار الحكمة العالية، وقد تلتقي فيه بأهله وهم الملائكة البررة الكرام، ويكون بينهم محادثات ومنادمات وجلسات ليس فيها إلا ما يسر القلب والفؤاد، وما يُرضي رب العباد تبارك وتعالى.

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفاً أسكرت عالٍ وسافل

هذا في حالة المنام إذا تحقق الإنسان بالجهاد في اليقظة للجوارح بالطاعة لله، ومنعها من الذنوب والآثام.

فإذا واصل العبد ذلك حتى وصل إلى درجة يقول فيها الله في ملائكة الله: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦التحريم) جانس الملائكة، ومن جانس جالس فإذا جانس الملائكة يتنزلون عليه تارة، كما تصعد روحه إليهم تارة أُخرى، ويدخل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ۝٣٠ ﴾ (فصلت) ومثل هذا يكون في حالة صحوه بجسمه كحال المنام لغيره، فيرى في صحوه ما يراه صاحب الدرجة الأدنى في منامه، فيرى وهو في عالم اليقظة الملائكة المقربين، وأهل عالين، وما في الملكوت الأعلى من النعيم الأعظم الذي نثره فيه أكرم الأكرمين ورب العالمين ﷻ، ويكون هذا من كُمَّل الرجال لأهل الكمال الذين يقول فيهم الوارث الكامل إمامنا أبو العزائم ﷺ:

إن الرجال كنوزٌ ليس يدريها ... إلا مرادٌ تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم ... قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى وهمُ ... سفينة الوصل باسم الله مجريها

إذاً يؤذن بالعروج إلى الملأ الأعلى مناماً إذا تركت الذنوب والآثام، واشتغلت بطاعة الله وهي في حالة اليقظة دواماً! وإذا دام هذا الحال فلا مُحال، فيأذن الله لصاحب هذا الحال بأن يتمتع بهذه الأنوار، لأن الظلال التي تحجبه وهي الجسم تحولت إلى نور، فأصبح باطنه نور وظاهره نور ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (٣٥النور)

فيُصبح هذا الجسم لطيفاً لأنه أخذ صفات عالم اللطف، ويستطيع صاحبه أن يقطع الأرض من مشارقها إلى مغاربها في طرفة عين، لأنه لطيفٌ وليس كثيف، لا تحجبه جبال ولا مباني ولا جهات، ولا يمنع بصره رؤية الأشياء في كل الجهات، لأنه أصبح من عالم اللطف مع أنه جسمٌ كثيف، وهذا هو العجب العجاب، أن يُحول الله تبارك وتعالى هذا الجسم الكثيف بالمجاهدة إلى لطيف لأنه من الأنوار.

وهذا له مثالٌ في عالم الظاهر، فالزجاج الشفاف الذي نراه ونبصر به الأشياء، ونرى من خلفه بواسطة العدسة، أو زجاج النافذة ما خلفها بدون حاجز ولا حجاب، أصله رملٌ، والرمل ليس شفافاً، وإنما لما دخل الفرن الحراري؛ فرن الجهاد، صفَّى فصفا فأصبح رائقاً صافياً لا يحجبه شيء.

وكذلك هذا الجسم الكثيف إذا دخل في طور المجاهدة، وكانت المجاهدة على يدي خبير نوراني، صفَّى وشفى، فصار ظاهره نور وباطنه نور، فلا يحجب عن صاحبه عالم النور، بل يرى الأشياء عياناً كما يراها غيره مناماً.

١٢- الترقي الروحي

س: هل الرقى للروح أم للقلب أم للنفس؟
وما العمل الذي يُرقي كلٌ منهم؟

الرقي لكل هذه الحقائق الروحانية النورانية ...

فإن النفس وهي أولهم:

تترقَّى من نفس أمارة إلى نفس لوامة، إلى نفس مطمئنة، إلى نفس مُلهمة، إلى نفس ملكلية، فهذه تطورات النفس وقد شرحناها بالتفصيل في كتابنا (النفس وصفها وتزكيتها) فليرجع إليه من يريد تفصيل ذلك.

أما القلب:

فإنه يترقَّى من قلب يتقلب في الدنيا والأكوان، إلى قلب يترقَّى ليتنقل في ملكوت حضرة الرحمن، إلى قلب يترقَّى ليتنقل في روضات الجنان، إلى قلب يترقَّى ليتنقل في روضات الملأ العلى من عوالم القدس وعوالم العرش وعوالم اللوح وغيرها، إلى قلب لا يلتفت ولو للحظة عن النظر إلى وجه الله ﷻ، فهذا قلبٌ ثبت على حبه ووده ونظره لله تعالى، كما قال الله تبارك وتعالى في شأن رسولنا الكريم ﷺ: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (١٧النجم)، والبصر هنا هو بصر القلب، فإنه ما زاغ عندما رأى جمالات عوالم الملكوت لأنه لا ينظر إلا للحي الذي لا يموت ﷻ.

أما الروح:

فإنها تترقَّى من السياحة في عالم الملكوت عند النوم للإنسان:

فعندما ينام الإنسان ويكون من المخلَصين، تسوح روحه في عوالم الملكوت الأعلى لتلتقي بالملائكة المقربين، وأرواح النبيين والمرسلين وتأتي من عندهم بفوائد الحكمة، وأنواع العلوم والفهوم وغيرها.

وترتقي من ذلك إلى روح ترقى إلى عوالم القدس الأعلى وتشاهد ما لا تراه العيون:

فتشاهد غيب الله المكنون، وتسمع علم الله المضنون، وتقتبس من نور الله المخزون .. ثم ترتقي إلى روحٍ تدنو وتدخل في رحاب:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (٨-١٠ النجم)

إذاً الرقي يكون:

- للنفس :
  - بجهادها للتخلص من خصالها وعاداتها وطبعها، والارتقاء بها إلى النفس الأرقى في شأنها.
- والقلب:
  - كذلك يكون جهاده:
    - في تخليته من الأغيار، ليجمل بالأنوار .
    - ثم في عدم إنشغاله بالأنوار، ليشهد النبي المختار ..
    - ثم يفنى في النبي المختار ليشهد مشاهد الأخيار الأطهار الذين فنوا في النبي المختار ﷺ.
- أما الروح:
  - فجهادها أن لا تطلب المطالب الخاصة بعالم الروح، كأن تطلب مقامات المقربين، أو كرامات الصالحين، أو ما يظهرها في العالم الأدنى بأنها من المقربين لرب العالمين.
    - ولا يكون لها مطلب إلا النظر إلى وجه الله ﷻ.
    - وتكون في هذا المقام في مقام تجلي الله ﷻ لها التجلي التام الذي يجعل الأعضاء كلها تخضع لها، وتكون لها الهيمنة والسيطرة على حقائقها كلها:
      - وهنا يتجلى الله ﷻ عليها بالمواجهات القدسية، والتجليات الذاتية، والأنوار المصطفوية، نسأل الله ﷻ أن يبلغنا ذلك أجمعين.

١٣- سلطان النفاذ إلى العالم الأعلى

س: قال تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (٣٣ الرحمن) ما السلطان الذي ينفذ به الإنسان من أقطار السماوات والأرض؟ وإلى أين ينفذ؟

هذا السؤال سبق أن أجبناه في أحد أجزاء كتابنا المطبوع (الفتاوي الفورية) لكن لا مانع من الاستزادة، ونحن في كل مرة لا يحرمنا الله تعالى من الزيادة، واليوم نجيب عليه إجابة أُخرى ربما لم تخطر على البال.

السلطان على حسب الإنسان، والسلطان يعني المتحكم في كل أموره، فمن الناس من يكون السلطان عنده العقل، فلا يقبل شيئاً إلا إذا استساغه العقل، وهذا كيف ينفذ من السماوات والأرض؟ بالفكر، فيفكر ويتدبر وينظر ويستعين بما وصل إليه العلم الحديث في علم الفلك، فيستطيع أن ينفذ بعقله إلى العوالم الرهيبة المحيطة بالأرض.

لا أقول السماوات، وإن كانوا يسمونها السماوات، لأن كلمة السماوات يعني العُلو، لكن لا أظن أن العلماء استطاعوا أن يصلوا إلى سماء من السماوات، فكل هذه محيطات بالأرض.

حتى المجرات التي وصلوا إليها، فالمجرة التي نحن تابعون لها ويسمونها درب التبانة، يقولون أنها جزءٌ من مائة مليون مجرة اكتشفوهم إلى الآن وهذه أصغرهم، وكل هذه عوالم محيطة بالأرض، وليس لها علاقة بالسماوات، لأننا نعرف أن السماوات فيها عوالم نورانية وهم الملائكة المقربون، وعوالم وأحياء يعبدون الله، ويجتمعون مع بعضهم على طاعة الله.

لكن هذه المجرات والكواكب لا تزال إلى الآن لم يعرفوا في أي واحد منها حياة، ربما الحياة لأحياء لا نستطيع أن نراهم بالعين، أو حتى بالمناظير الكبيرة الضخمة، لكنها قد تكون حياة كائنات كالكائنات التي تعيش معنا، فأي واحد منا لو نظر بمنظار من المناظير العصرية الحديثة إلى سطح أي إصبع من أصابعه، أو أي بقعة من جلده، يجد فيها ملايين الملايين من الكائنات الحية تعيش على هذا السطح أو على هذا الإصبع، ولكن لا يراها بالعين المجردة.

لكن هل هذه كائنات معتبرة؟ لا !! العبرة بالكائنات المعتبرة وهي الإنسان أو الملائكة أو الجن، الذين سماهم الله تبارك وتعالى في القرآن.

- إذاً السلطان عند البعض هو سلطان العقل، وينفذون فيه عن طريق الفكر، ويستعينوا بهذا السلطان إلى الخروج إلى الأقطار، بالمستحدثات العصرية من المناظير ومن سفن الفضاء ومن غيرها، وهذا سلطان متاح ومباح للجميع، مسلمين وغير مسلمين، بل أظن أن غير المسلمين سبقوا في هذا الباب، فهل هيئة الفضاء التي عندنا كهيئة الفضاء الأمريكية؟ لا، فليس عندنا هذه الإمكانيات، وهذا نوع من أنواع السلطان.

- والبعض قال أن السلطان هو العلم:

والعلم لا حدود له ولا نهاية له: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف)، ومهما تبحر الإنسان في أي علم من العلوم، نقول له في الختام: ﴿ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء) هل يوجد أي أستاذ في الوجود متخصص في فرع من فروع العلم يستطيع طوال حياته أن يحيط بهذا الفرع من العلوم؟! مستحيل !! .. يعني مثلاً الطب، إن كان طبيب عيون، أو طبيب أنف، أو طبيب قلب، أو أي تخصص من تخصصات الطب، هل يوجد أي طبيب في العالم كله يستطيع الإحاطة بمجال تخصصه هذا، وبكل ما كتبه عنه السابقون والمعاصرون، ويستشف ما سيصل إليه اللاحقون؟ لا، فكل واحد على قدره، وفي النهاية يسلم ويقول: ﴿ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء).

بل هناك حكمة علَّمها لنا السادة العارفون، وقد وجدناها حقيقة وهي: **((كلما ازداد الإنسان علماً، ازداد جهلاً))** يعني كلما زاد في العلم ويتوسع فيه، يجد أن ما معه شيء بسيط جداً، وهو جاهل لا يعرف هذا ولا هذا، ولذلك تجد العلماء الأكابر عندهم التواضع، ولا يوجد عندهم غرور، وعندهم هضم النفس، لماذا؟ لأنه يرى أن كل ما أوتيه لا يساوي شيء بالنسبة لميدان العلم المتخصص فيه.

فالسلطان هنا سلطان العلم، وهذا ينمي بالمعلومات والدراسات والإستكشافات والتجارب، ولا يستطيع أي إنسان في هذا الميدان أن يرتقي فيه، إلا إذا أتاه إلهامٌ من خالقه وباريه ... حتى الكافرون؛ ... هل يستطيع أن يبرع في ميدانه بدون إلهام الله؟! لا، لأن الله الذي يُلهمه، يُلهمه بطريقة سديدة، يُلهمه بمنهج رشيد أو يعطيه شيئ جديد لم يصل إليه سواه ولا غيره من العلماء في هذا المجال، ... فهذا أيضاً نوعٌ من السلطان وهو سلطان العلم.

- أما الصالحون فقالوا: السلطان هو سلطان الروح:

لأنها الوحيدة المسموح لها أن تجول وتصول في كل العوالم العُلوية والأرضية، فأكون أنا نائماً في مكان محدد في الأرض، وجسمي لا يستطيع الخروج وأنا نائم، لكن الروح رغم أن الباب مغلق والنوافذ مغلقة، وحولي من كل الجهات جدران، فأجدها قد خرجت وساحت، إما في أقصى الأرض تذهب للمدينة، أو لعرفات، أو لغيره، وإما في السماوات تذهب للملكوت الأعلى، وإما للسماء الثانية أو غيرها، وإما للجنة، وإما العرش، وإما الكرسي على حسب طاقة الروح وما يلوح لها وما يعطيه لها الله ﷻ من الفتوح، وهو فتح نوراني، هل يصل إليه الإنسان بالجهاد؟! لا يوجد جهاد يوصل إلى ذلك، وإلا وصل الكثير إلى ذلك، ولكن ذلك فضل الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ (الجمعة)

وكان بعض الأكابر من الصالحين، يمن عليه الله فيطلعه على ما وصلت إليه أرواح الأئمة والورثة السابقين: سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ – كمثال في فتح الروح – يقول: حصَّل سيدي أبو مدين الغوث خمس علوم سماوية وخمس علوم أرضية، والعلوم الأرضية حصلها من الأنبياء والمرسلين، وأنا زدتُ عليه بإحدى وسبعين علماً: ... ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف) فكلما زاد في العلم زاد في القدر والمقدار في عالم الأنوار، وفي عالم كشف الأسرار، وفي عالم رفع الأستار، وفي عالم القرب من النبي المختار، وفي عالم توالي العطاءات من العزيز الغفار ﷻ، وكل واحد من الصالحين على قدر عطائه يكون فتحه.

وهذه الروح يقول فيها الله ﷻ: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ (غافر) يعني يوم اللقاء .. فإذا كانت الروح محدودة ينذر من في هيكله ومملكته من عالم الحقائق التي فيه بقرب اللقاء مع القريب تبارك وتعالى، وإذا كان من الورثة المكلفين فينذر من حوله من الأئمة والمرشدين والسالكين الصادقين، لأنه مكلف بأن يأخذ بأيديهم حتى يصلوا إلى الفتح المبين ... وشتان بين هذا وذاك، فواحد ينذر مملكته فقط، والثاني يُنذر كل من حوله، وهذا وضع وهذا وضع، ولا توجد نسبة نهائية بينهما، وكل هذا في عالم الروح.

وطبعاً أنا أكشف القليل ولا أستطيع أن أزيد عن هذا القليل.

- هناك تفسير آخر ولكن هذا خاص بنا ولا يُباح به لغيرنا، بل إن شئت لا تُبح به حتى لنفسك التي بين جنبيك، حتى لا تكشف الأسرار فينزل عليك سيف العزيز الغفار:

احفظن سري فسري لا يُباح ... من يبُح بالسر بعد العلم طاح
علمنا فوق العقول مكانة ... كيف ذا وهو الضيا الغيب الصُراح
خصَّنا بالفضل فيه ربنا ... ذاك سرٌّ غامضٌ كيف يُباح
والفتى المجذوب بالحب له آية ... إن ذاق خمر الحب صاح

المجذوب ليس عليه جناح لأنه لا يدري إذا كان مجذوباً حقيقةً.

ما هذا التفسير؟ ﴿ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (٣٣الرحمن) السلطان الذي بيده مفاتيح السماوات والأرض، وهو ليس معه، ولكن هو مفتاح الجنان، وهو سيد ولد عدنان ﷺ، من الذي فتح السماوات لجبريل وأدخله فيها؟

هو رسول الله ﷺ، من الذي يفتح الجنان لكل الأمم السابقة وأمته اللاحقة؟ هو رسول الله ﷺ، يقول ﷺ:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }[١٢٤]

وانظر بعين العبرة لما يقول: (بك أُمرت) فمن يكون مفتاح الجنة؟ هو، وهو مفتاح الشفاعة، وهو مفتاح الحساب، وهو مفتاح المرور على الصراط، وهو مفتاح كل الحقائق في الدار الآخرة، ومفتاح الحقائق الظاهرة والباطنة هو سيدنا رسول الله ﷺ.

فمن فني في ذاته المحمدية، ودخل بالكلية في حقيقته النورانية، ولم يعد له ذاتٌ ولا وجودٌ مع هذه الحضرة الكلية، دخل به إلى حضرات القرب والتمكين، ودخل به إلى روضات رب العالمين، فلا تُغلق أمامه حضرة، ولا يُسدُّ أمامه باب، بل تُفتح له كل الأبواب بلا حجاب، بسر النبي ﷺ لأن الله فتح له وبه كل الأبواب صلوات ربي وتسليماته عليه، .... ونكتفي بهذا القدر في هذه الإجابة، وللسؤال إجابات كثيرة، والسلطان فيه كلام كثير، والله ورسوله أعلم.

---

١٢٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

١٤- أوراد جلب الروحانيات

س: هل هناك أوراد تأتي بالروحانيات؟

الأوراد التي تأتي بالروحانيات ليست طريقنا، وليس لنا شأنٌ بها! فهذه أوراد موجودة في كتب الشيخ البوني وغيره من المشايخ، ولها أوراد معينة حتى يتصل الإنسان أو يصل للإنسان نفر من الجن ويشتغل معهم ويسخرهم لمآربهم، ويسمونها روحانية، وهي ليست روحانية ولا غيره! فهي أعمال شيطانية جنية !!

ونحن ليس لنا حاجة إلى هذا الأمر، نحن نعمل أوراداً لله جل في علاه، وهي الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ، وفي كتاب الله ... لا نغير ولا نبدل.

- **فالاستغفار ورد عن رسول الله وورد في كتاب الله:**
  - **لذلك نأخذ الاستغفار ورداً.**
- **وورد عن رسول الله وعن كتاب الله (لا إله إلا الله) :**
  - **فنأخذ لا إله إلا الله ورداً.**
- **وأمرنا الله في قرآنه أن نصلي على حضرة النبي:**
  - **فنأخذ الصلاة على حضرة النبي ورداَ.**
- **وأمرنا الله بالتسبيح والتقديس:**
  - **فنأخذ التسبيح والتقديس ورداً.**
- **وطلب منا الله أن نقرأ القرآن:**
  - **فنجعل قراءة القرآن ورداً ..**
- **وهكذا، فهذه الأوراد التي نعملها.**

ومثلها بالضبط إذا كنت أزيد من النوافل في الصلاة، وقيام الليل، أو الضحى، أو من نوافل الصيام كصيام الإثنين والخميس، أو صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو الأيام الفاضلة، كل هذه الأوراد واردة عن رسول الله وموجودة في كتاب الله تبارك وتعالى.

١٥- الإخلاص

س: قال ﷺ: { أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }[١٢٥] ... لِمَ جعل الله الإخلاص أهم من كثرة الأعمال، مع أن كثرة الأعمال تزيد الحسنات؟

ليس الشأن أن يكثر الإنسان الأعمال، ولكن الشأن أن يتقبل الله تبارك وتعالى الأعمال، فقد ورد في بعض الأثر: **((يأتي الرجل بأعمال أمثال الجبال يوم القيامة، فيقول الله تعالى لملائكته: اضربوا بهذا وجه صاحبه، فيقولون: ولمَ يا رب؟ فيقول الله تعالى: لأنه لم يُرد بذلك وجهي والدار الآخرة)).**

أساس قبول الأعمال هو الإخلاص.

ولذلك ناشدنا الله تبارك وتعالى في القرآن مرات عديدة بمراعاة الإخلاص في العبادات والأعمال، فقال تبارك وتعالى: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (غافر) وقال تبارك وتعالى عن قانون قبول الأعمال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة).

وقال الله تعالى عمن أراد أن تكون له منزلة ودرجة عند الله يوم القيامة، وأن يحظى بنور وجه الله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ ..

وشرط هذا العمل: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف).

فالإخلاص:

أن يكون العمل يقصد به صاحبه وجه الله؛ لا يقصد به شيئاً في الدنيا من رياء أو شهرة أو سمعة أو مغنم دني، أو مكسب دنيوي، ولا ينشد به في الآخرة حسنات أو أماكن وقصور في الجنات، وإنما يقصد به وجه الله، ولا يريد بهذا العمل سوى النظر إلى وجه الله ﷻ، فإذا كان القصد والنية هي وجه الله، أو أن يكون العبد لا يريد من هذا

---

١٢٥ الحاكم في المستدرك وحلية الأولياء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

العمل إلا رضاه ﷻ، فإن هذا العمل ينال القبول من الله:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة).

والعمل الذي يتقبله الله تبارك وتعالى ولو كان شيئاً قليلاً أكثر آلاف المرات من أضعاف الحسنات التي يعملها العبد ولا يريد بها إلا الجنات، أو الخيرات، أو المكسب العاجل في حياته الدنيا، ولذلك يقول ﷺ في الأعمال الخالصة لوجه الله:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }[١٢٦]

أي أن كلمة الحمد لله مرة واحدة بإخلاص قلب وصدق نية تملأ كفة الميزان يوم القيامة، إذا قال المرء سبحان الله والحمد لله ولو مرة واحدة بإخلاص نية وصفاء طوية والنية لله ﷻ فإنها تملأ ما بين السماء والأرض عبادة خالصةً يتقبلها الله ﷻ بقبول حسن، فالشأن شأن القبول، ولذلك كان سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عندما بنيا الكعبة لله تعالى قالا بعد البناء:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (البقرة).

فقبول العمل على اليقين يقتضي أن يكون الإنسان لا يريد به إلا وجه الله، وهذا هو الإخلاص الذي يقول فيه ﷺ فيما يرويه في الحديث القدسي عن الله تعالى:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي }[١٢٧]

وفي الأثر: **((الإخلاص سرٌ من أسراري، أستودعه قلب من أحب من عبادي، لا يطلع عليه مَلَكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده))** وقال ﷺ موصياً سيدنا معاذ بن جبل ﷺ، وكان من عُبَّاد الصحابة الأجلاء:

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }[١٢٨]

نسأل الله تبارك وتعالى ... أن يجعلنا من عباده المخلِصين لحضرته،... المخلَصين في طاعته أجمعين.

---

١٢٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه
١٢٧ أحاديث مسلسلات، والرسالة القشيرية عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
١٢٨ الحاكم في المستدرك وحلية الأولياء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

١٦- مقام الكشف

س: يقول أحد الصالحين: قد ينال المريد مقام الكشف عند الله وهو يطالع في كتب القوم، نرجو من فضيلتكم التوضيح؟

الإنسان في بدايته يقرأ العلوم ليتعلم ويعلم!

فإذا ارتقى رويداً في طريق القوم:

يقرأ العلوم ليشهد فيها ما ترويه الكتب وما ترويه السطور ويتعلم عياناً عملياً، وذلك إذا انجلت بصيرة القلب وصارت ناظرةٌ لما تقرأه عين الرأس في هذا الوقت، فهذا الذي يصل إلى هذا المقام.

على سبيل المثال :

إذا كان يطالع في السيرة النبوية، ويقرأ بعض شروح الحبيب المصطفى لبعض الأحوال العبادية، قد يأخذه الحنين فيغيب عن جسمه وحسه ونفسه ويحضر هذا المشهد مع الحبيب المصطفى فيشهده ﷺ وهو يتوضأ ليستحضره تمام الإستحضار في وضوئه، أو يشهده وهو يصلي ليتحقق بقوله ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[١٢٩]

وقد يقرأ بعض المشاهد القرآنية:

فيكشف الله تعالى له عن هذه المشاهد بعين روحه فيراها في حقيقتها النورانية، فإذا قرأ آيات الجنان يلوح لقلبه أنوار الجنان وما فيها عين عيان.

وإذا قرأ في عالم الملكوت فروحه قد تسري وتجول في عالم الملكوت، وهذه من علوم المكاشفة، وعلوم المكاشفة لا يحصلها المرء بجهاد، وإنما هي منحة من الله، وفضل من الله، يكرم به الأوفياء الأتقياء الأنقياء من عباد الله.

نسال الله ﷻ أن يمنَّ علينا أجمعين بما مَنَّ به على عباده الصالحين وأوليائه المتقين.

---

١٢٩ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه

١٧- المقام المعلوم

س: يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الصافات) هل الإنسان له مقام معلوم مثل الملائكة؟ .. أم أنه مطلق؟ وهل يمكن للإنسان أن يشهد ما شهده الأنبياء من مشاهد علوية؟

هذه الآية القرآنية وردت على لسان الأمين جبريل – وإن كان حكاها القرآن – عندما كان مصاحباً لحضرة النبي ﷺ في رحلة المعراج، ووصلا سوياً إلى سدرة المنتهى، وقال له الأمين جبريل تقدم، فقال ﷺ للأمين جبريل: أهاهنا يترك الخليل خليله؟ فقال الأمين جبريل: أنت لو تقدمت لاخترقت، وأنا لو تقدمت لاحترقت: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الصافات) يقصد الملائكة الكرام.

فإن الملائكة كما خلقهم الله في البدء، جعل لكل واحد منهم مقاماً معلوماً لا يتجاوزه، أي أنهم لا يرتقون، فمنهم الراكع أبداً ومقامه الركوع، ومنهم الساجد أبداً ومقامه السجود، ومنهم المسبحون، ومنهم المستغفرون، ومنهم ومنهم من أنواع الملائكة المقربين، حتى حملة العرش كلهم ثابتون في مقاماتهم، وليس لهم ترقيات عن المقام الذي أقامهم الله تعالى فيه.

أما المؤمنون فإن الله ﷻ يرفعهم درجات، ويُعليهم في المقامات، قال الله تعالى في شأن المؤمنين: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ (١٦٣آل عمران) منهم مَن هم أنفسهم درجات جعلها الله ﷻ لقربه ووده وأنسه، يصعد عليها أتباعهم، ومنهم من قال الله في شأنهم: ﴿ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٤الأنفال) لهم درجات عند الله ﷻ يرتقون إليها ويصعدون إليها بفضل الله أولاً، وباتباع الحبيب ﷺ ثانياً، وبعملهم الذي يصحبه الإخلاص والصدق ثالثاً.

هذه المقامات في جملتها أربع مقامات، مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان، ثم مقام الإيقان، وهذه المقامات يترقى فيها المؤمن بأمر الله وبفضل الله وبكرم الله ﷻ، وفي كل مقام من هذه المقامات درجات!!

فإن أهل مقام الإحسان درجات عند الله، وقد قال بعض الصالحين: .. **((إن درجات الإحسان أكثر من ألف درجة)).**

ومقامات الإيقان منها ما ذكره الله في القرآن، وهي علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وهي مقامات عظمى يصل إليها المرء بفضل رب العالمين تبارك وتعالى.

الذي يحظى بشميم من أحوال الإنبياء والمرسلين ومشاهداتهم الذي بلغ مقام اليقين، والذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) أي أن إبراهيم شاهد ملكوت السماوات والأرض وأصبح من الموقنين، والموقنين يشهدون كما أثبتت الآية ملكوت السماوات والأرض.

وكلما ترقى الإنسان في مقامات اليقين كلما علا في مشاهدة بعض ما شاهده النبيين والمرسلين على قدره، وعلى ما تسمح به الحقائق النورانية التي جعلها الله تبارك وتعالى فيه، فهؤلاء جميعاً إنما هم كما قال أحد العارفين السابقين رضوان الله عنهم أجمعين: **((ما يراه النبي عياناً يراه الولي مناماً))** حتى نعلم الفارق بين المشهدين، لأن هؤلاء لهم الدرجات العلا عند الله، واختصاص بالفضل من حضرة الله، وهؤلاء نالوا ما نالوه ببركة اتباعهم واقتدائهم بهؤلاء.

١٨- مقام العبد عند الله

س: هل يكون مقام العبد عند الله على قدر عبادته وذكره أم على قدر معرفته بربه؟

لو كان مقام العبد عند الله على قدر عبادته وذكره، لكان أعلى مقام لإبليس، ومن وراءه من الملائكة المقربون، لأن إبليس عَبَدَ الله ثنتان وسبعين ألف سنة لم يغفل فيها طرفة عين، وليس في السماء موضع أربع أصابع إلا وفيه سجدة من إبليس لله ﷻ.

فالأمر هنا ليس أمر العبادة، ولكن المعرفة:

وأذكر في هذا المقام أن سيدي أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه، أراد أن يسلك طريق العبادة والزهادة عندما كان في بدايته مع سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ شيخه ومربيه، وحرم على نفسه بعض الأطعمة، وبعض المشروبات، وأراد أن يديم الصيام، ويديم القيام، وكل أعمال العبَّاد والزُهاد، قال: **(فإذا به يستدعيني وقال لي: يا أبا**

العباس اعرف الله وكن كيف شئت)، المهم المعرفة، ولا سبيل للمعرفة إلا من أهل المعرفة، فيستحيل لأحد أن يأخذ المعرفة بنفسه، أو يحصلها من كتاب، أو يحصلها من عبادة، فالعبادة سيأخذ عليها أجر وثواب وله أضعافٌ مضاعفة في الدار الآخرة.

لكن معرفة الله شيء آخر يحتاج إلى تهذيب النفوس وصفاء القلوب، وذلك لا يكون إلا من خبير قرآني سقاه حضرة النبي ﷺ الشراب الطهور، وملأ باطنه بالنور، وأظهره للخلق ليقربهم بهذا النور إلى حضرة الغفور ﷻ، وهذا السبيل الوحيد إلى معرفة الله ﷻ، ومعرفة الله يعني معرفة عظمته، ومعرفة جلاله، ومعرفة كبريائه، وعلامتها أن يُجمَّل هذا العبد بخشية الله، والخوف من الله، والإنكسار لله، وأن يرى نفسه لا شيء أمام حضرة الله، بل يرى نفسه بين خلق الله أقلهم شأناً، وأنه لولا لطُف الله بالخلق لخسف بهم من أجله لما يرى أمام عينيه من ذنوبه، وهذا دليل المعرفة وعلامات المعرفة للعارفين الصادقين الذين نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

فالمعرفة سبيلها معرفة الرجال، ومعرفة العبد:

فموسى كليم الله لم يكن أحدٌ يوازيه أو يضاهيه في عبادة الله، ويكفي أنه كليمٌ لله، ولكن لما أراد أن يكتمل في معرفة الله، رده الله إلى العبد لأنه السبيل الوحيد الذي سيعرفه بمولاه المعرفة الحقة يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

من يعرف العبد يعرف ربه فضلاً من يجهل العبد يُبلى ثمَّ بالصدِّ

بالفضل وليس بالعمل، والسبيل له هم هؤلاء، سيدنا موسى يقول: يا رب أين أجدك؟ قال: { أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[١٣٠]، موجود في قلوب أهل الانكسار، وأهل الانكسار يقول فيهم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

قد أكرم الله أهل العجز علَّمهم أسرار توحيده بالحال والقال
خلِّ الملام فإن الله مقتدرٌ يعطي الولاية للساري وللقالي

هؤلاء تجملوا بالعجز والمسكنة والافتقار إلى حضرة الله، ... وتجملوا بمعرفة الله وخشية الله ولذيذ تقواه جل في علاه، ... وهم هؤلاء الذين يقدروا أن يعرفونا ويوصلونا إلى معرفة الله تبارك وتعالى.

---

١٣٠ أورده الغزالي في البداية

الفصل الخامس

مسائل حيوية

١. إنكار واقعة الحمام والبيض على الغار	١٩٦
٢. الإسراء والمعراج والأسباب	١٩٨
٣. مواقف من غزوة تبوك	٢٠٠
المخلفون	٢٠١
٤. التسليم والتوكل والتفويض لله	٢٠٤
التسليم لله	٢٠٤
التوكل على الله	٢٠٥
تفويض الأمر لله	٢٠٧
٥. أيام الإنسان	٢٠٨
٦. إستغلال كبار السن لأوقاتهم	٢١٠
أعمال البر	٢١٠
خدمة المساجد	٢١١
البعد عن الغفلة	٢١١
الدعوة إلى الله	٢١٢
الحرص على العبادة	٢١٣

١- إنكار واقعة الحمام والبيض على الغار

س: ظهر فى العصر الحديث بعض المعترضين على وقائع ذُكرت فى كتب السيرة أنها حدثت فى هجرة رسول الله ﷺ، كواقعة وجود حمامتين على باب الغار، وبيضهما، وشجرة على باب الغار، وأنكروا ذلك، فما صحة ذلك؟

الفيصل عندنا في هذه الأمور كتب التراث التي نقلت لنا هذه الروايات، فإذا كانت كتب التراث الصحيحة هي التي نقلتها، فعلينا أن نصدق بها ولا نستبعد شيئاً على قدرة الله تبارك وتعالى، لأن هذه علامة على قدره الله.

البعض من البداية يعترض على كل خارق للعادة جرى مع رسول الله ﷺ ولا يصدق إلا ما يوافق العقل، فهذا رأي آخر حديث، وليس لنا شأنٌ به، لأن مثل هؤلاء متأثرين بالمستشرقين، فقد أنكروا الإسراء، وأنكروا المعراج، وأنكروا نزول الملائكة في بدر وغيرها، مع أنه ثابت في صحيح القرآن، أنكروا كل هذه الأمور لأنهم لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، وهذه أشياء غير محسوسة. فنحن إذا وجدنا أمر في كتب التراث الصحيحة كالبخاري ومسلم وفي سيرة ابن هشام وهي السيرة المعتمدة، نقبل به ونصدقه.

وهذه الواقعة ذكرها الإمام الحلبي في كتابه (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) وكذلك كتاب (التاريخ) لابن كثير، وكذلك سيرة ابن هشام.

ومعذرة هناك كتبٌ تراثية طُبعت حديثاً بأموال خليجية، وطُبعت في بيروت، وحُذف منها كثير من هذه الأشياء، لكن موجودة في الكتب القديمة التي طبعت في مصر، ولذلك أصحُّ كتب التراث تأخذها من مصر، لأنها تُطبع كما هي وكما وردت إلينا من ألف سنة ويزيد، أما كتب التراث التي تُطبع في بيروت فهي تجارية، ويحذفون منها ما لا يوافق منهجهم.

أحكي لكم واقعة بسيطة حدثت معي، فأولادي وهم في مرحلة الشباب كنت أحضر لهم بعض الكتب الدينية وأقول لهم اقرؤوها وسأناقشكم فيها لأشجعهم، فكان من ضمن الكتب التي كنت اشتريتها لهم كتاب (الكبائر) للذهبي، وجئت بطبعة بيروت

لأنها طباعة جيدة، فابنتي كانت في المعهد الديني قالت لي: هناك كبيرتين موجودتين في الفهرس ولكنهما غير موجودتين في الكتاب.

ودائما السارق يترك أثراً يدل على أنه سارق، فقد حذفوا الكبيرتين من صلب الكتاب ونسوا أن يحذفوهما من الفهرس، وكانت أحدهما معاداة الصالحين وهي:

{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ }[١٣١]

حذفها من الكتاب، ولم يحذفها من الفهرس، فعرفت أنهم يفعلون ذلك هداهم الله، ورأيت بعد ذلك أكثر من كتاب بهذه الكيفية.

ولذلك عندما تريد أن تقرأ سيرة ابن هشام تقرأ الموجودة في مصر، جائز أن الطباعة لن تكون جيدة، ولكنها طبعة أصلية، وخاصة إذا كانت طباعة محققة لأن المحققين المصريين لا يبغون إلا وجه الله في تحقيقهم لكتب التراث، لأنه ليست له نية في إظهار رأي، ولا إظهار مذهب، بل يريد أن يُظهر الكتاب كما هو.

وهذا الفيصل في هذه الأمور، وقد أكرمنا الله الآن بوجود موسوعات تخريج للأحاديث على شبكة الإنترنت، وفيها أكثر من ألف كتاب حديث، فبدلاً من أننا كنا نخرج الحديث الواحد في ليلة أو أكثر، أستطيع الآن في لحظات تخريج الحديث بالصفحة ومنطوق الحديث.

بعض الناس يثيرون هذه الحالات في المساجد وفي الصحف، ويريدون الغاءها من كتب السيرة نهائياً، بحجة أنها تتنافى مع العقل، فالمعجزة عبارة عن أمر خارق للعادة، لكن لو كان أمر يقبله العقل فلا يكون معجزة، وكذلك الكرامة للأولياء هي أمر خارق للعادة، ولو كان أمر يقبله العقل فما الكرامة التي فيه؟!.

لكن هذه الأمور بالنسبة لنا ما الذي يوقفنا على جلية الأمر فيها؟ كتب التراث، والعهدة عندهم مجموعة كتب وثقّت الرواية فتكون الرواية صحيحة، فإذا نفت الكتب الرواية، نقول: الرواية غير صحيحة، ولا نحكيها ولا نذيعها ولا نشيعها.

ولكن الذين استقوا من المستشرقين ويريدون أن يشككوا في الأمور التي نسميها خارقة للعادة، ... أو معجزات لسيد الأولين والآخرين ﷺ ... فلا نعتد بهم، ولا نأخذ بكلامهم.

---

١٣١ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢- الإسراء والمعراج والأسباب

س: مع أن الإسراء والمعراج رحلة سماوية، وفوق قدر البشر والأنبياء إلا أن الله كان يجعل للأسباب فيها نصيب، كأن يرسل الله لرسول الله البراق وهو سبب، وكان قادراً أن يوصله بلا براق ولا سبب، وأرسل له جبريل ليدله على الطريق مع أنه ﷺ أرقى وأعلى وأعلم من جبريل، نرجو من فضيلتكم توضيح هذا الأمر؟

لمَّا جعل الله ﷻ الأكوان كلها عاليها ودانيها قائمة على الأسباب:

والأسباب كلها لا تتحرك ولا تصنع ولا تفعل إلا بإرادة مسبب الأسباب وهو الله تبارك وتعالى !!

- كان حتماً على كُمَّل النبيين والمرسلين أن يأخذوا بالأسباب.
- وأن لا يتركوها طرفة عين ولا أقل!
  - مع أن الله أعطاهم القدرة على خرق الأسباب، بما أحدثه على أيديهم من معجزات، والمعجزة هي شيء خارق للعادة، وخارق للأسباب، لأنهم قدوة، ولذا يحرصون على أن يفعلون ما يستطيع أتباعهم القيام به، ولو أنهم خرقوا الأسباب لأعجزوا أتباعهم عن متابعتهم، وعن الاقتداء بهم، وعن الإهتداء بهديهم.

ولذا فإن رسول الله ﷺ كان في رحلة الإسراء المعراج له أسباب:

- فالإسراء كان من المسجد الحرام إلى بيت الله المقدس، وكان السبب هنا هو البراق الذي ركبه ﷺ.
- ثم بعد ذلك كانت الرحلة إلى السماوات، وإلى سدرة المنتهى، وكان السبب هنا هو المعراج، والمعراج معناه لغوياً السُلَّم، وبلغة العصر يعني الأسانسير الذي يصعد إلى الأدوار العليا.
- ثم كانت الرحلة من سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى وكان السبب هنا

هو الرفرف الأخضر الذي تدلى لرسول الله ﷺ من حضرة العزة، وركبه حتى وصل إلى حيث جمال الله وكمال الله الذي خصَّه به مولاه تبارك وتعالى.

وذلك كله وإن كان في عالم الأسباب إلا أنه في الحقيقة خارق للأسباب:

فهي أسباب إلهية تلائم الحضرة المحمدية ...

لأنه ﷺ صعد كل هذه المحطات إلى بيت المقدس، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى قاب قوسين أو أدنى، ورجع وفراشه الذي كان ينام عليه لم يبرد بعد، أي لا يزال ساخناً.

- إذاً العبرة هنا حتى يعلم مَن بعده من الذين يحرصون على الاقتداء به ﷺ:
  - على ضرورة الأخذ بالأسباب في أي باب يتوجهون إليه:
    - إن كان لله أو لعباد الله، إن كان للحياة الدنيا أو كان في العمل للآخرة .. أي باب يسلكونه لا بد أن يحرصوا على أن يأخذوا فيه بالأسباب.

ولذلك فإنه ﷺ بعد هذه الرحلة المباركة؛ رحلة الإسراء والمعراج، جاءت الهجرة:

- وكان يستطيع أن يركب البراق ويذهب من مكة إلى المدينة في طرفة عين كما حدث في رحلة الإسراء:
  - ولكنه ﷺ حرص على أن يأخذ بالأسباب المادية الدنيوية العادية:
    - وركب راحلته، واختبأ أياماً في الغار، حتى ظن كفار قريش أنهم لا يستطيعون الوصول إليه!
    - وسلك طريقاً غير معروف، حتى يسمح لإخوانه من المسلمين المستضعفين أن يسيروا على سيره، وأن يقتدوا بهديه، وأن يهاجروا على حسب استطاعتهم، ولا يقولون إن هذا هو النبي ولا طاقة لنا بما فعله النبي.

فالمؤمن يحرص على الدوام على الأخذ بالأسباب، ولا يلجأ إلى الله ﷻ إلا ليعينه على الأسباب، ويهيأ له الأسباب، ويُسخر له الأسباب، حتى يكون من أهل الكمال اقتفاءاً واقتداءاً بالنبي المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

٣- مواقف من غزوة تبوك

س: ما الذي نتعلمه في سلوكنا إلى الله من غزوة تبوك؟

النبي ﷺ صعد المنبر وطلب المساعدة في الإنفاق على الجهاد في سبيل الله، ووضح ثمارها وفوائدها ....

فقال سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَنَزَل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ }[١٣٢]

هذا الرجل أخذ كارت ضمان للجنة!!

ولن يكتب عليه شيء بعد ذلك.

وانظروا إلى غيرة المخلصين:

فرجل من أهل المدينة الأكابر اسمه أبو خيثمة الأنصاري ﷺ:

وكان الجيش يتجهز لغزوة تبوك، فقال: لا يزال الوقت طويل وكل شيء متوفر معي، وسأتجهز قبل أن يخرجوا، ولكن الجيش خرج وهو لم يلحق بهم !

وكان متزوجاً بامرأتين جميلتين، وعنده بيت جميل في وسط حديقة، فدخل بيته فوجد زوجتيه وحديقته فقال: رسول الله ﷺ في عناء في الصحراء وفي التعب والمشقة وأنا جالسٌ في بيت مع امرأة حسناء وخيرات!! لا يكون ذلك أبداً، فجهز نفسه على الفور وذهب ليلحق بالجيش.

---

١٣٢ جامع الترمي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه

سيدنا رسول الله كان يحبه، فكان جالساً هو وأصحابه، فلمحوا خيال قادم في الصحراء من بعيد، فقال ﷺ:

{ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ }[١٣٣]

وفعلاً كان الرجل أبو خيثمة.

وبعد أن رجع رسول الله ﷺ، وكان حوالي بضع وثمانون رجلاً تخلفوا عن حضرته ولم يخرجوا للجهاد معه ..

وكان من عادته ﷺ عندما يرجع للمدينة يذهب للمسجد ويأتي أهل المكان المقيمين ليسلموا عليه.

فجاءه المتخلفون ..

وكان معظمهم من المنافقين، وهم عندهم دكتوراة في الكذب والتحايل، فكل واحد منهم نسج لنفسه قصة وظن أنه بذلك يخدع رسول الله، مع قول الله تعالى:

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (٩البقرة).

يقول أحدهم له: يا رسول الله كان عندي كذا وكذا، والرسول يعلم أنه كاذب، ويعرف أنه ليس له نصيبٌ في صفوف المخلصين، فيقبل عذره وينحيه جانباً.

المخلفون

وتبقَّى ثلاثة من الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله !!

أولهم سيدنا كعب بن مالك، وكان شاعراً من الشعراء الكبار الذين يدافعون عن سيدنا رسول الله ﷺ، فسأله عن سبب تخلفه، فقال: والله يا رسول الله إني أُحسن الجدال، ولو أردت أن أبرئ نفسي كهؤلاء لفعلت، ولكني لا أكذب عليك، والله ما كنت في حال أحسن من حالي في هذه الأيام، يعني عندي الصحة، وعندي الرواحل، وعندي الخيرات، وعندي كل شيء !!!

فقال ﷺ:

---

١٣٣ صحيح مسلم ومسند أحمد

{ أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ }[١٣٤]

يعني أنت لا علاقة لك بهؤلاء المنافقين!!

وجاء معه أيضا اثنان من الأنصار الأتقياء الأنقياء، فأصبحوا ثلاثة.

هؤلاء تخلفوا عن حضرة النبي ﷺ بدون عُذر ...

فأمر الله حضرة النبي بأن يعطيهم عقاباً صغيراً ليكفروا عن هذا الذنب الكبير، وهو التخلف عن رسول الله ﷺ.

فمنع أصحابه أن يكلموهم، أو يسلموا عليهم، أو حتى يردوا عليهم السلام!

ولا أحد يقضي لهم مصلحة بالمرة!

وكان فيهم رجل كبير في السن ... ولا يقدر على خدمة نفسه، .... فجاءت زوجته وقالت:

{ يا رسول الله هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ: لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ }[١٣٥]

هل يتحمل أحد في هذه الأيام مثل هذه العقوبة؟

لا يتحملها إلا الصادقون ليكونوا من الصادقين.

كان سيدنا كعب بن مالك أشدهم قوة، فكان إذا مر على جماعة وقال: السلام عليكم، لا يردوا عليه السلام!!

وحتى أولاد عمه وأقاربه، فلم يرد عليه أحد لأنهم كلهم يطيعوا سيدنا رسول الله ﷺ فيما أمر به صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولما علم ملك الروم بهذا الأمر أرسل إلى كعب بن مالك رسالة مع أحد جنوده، فقال له في الرسالة: من ملك الروم إلى كعب بن مالك، قد علمت أن صاحبك قلاك – يعني كرهك – فتعالى إلينا ولك ما تريد من الروح والريحان. فقال كعب: وهذه أيضاً من مصيبات القدر، يبلغ الأمر أن يطمع فيَّ وفي ردِّي عن الإسلام ملك الروم!!

---

١٣٤ البخاري ومسلم
١٣٥ البخاري ومسلم

فرفض، لأنه يريده أن يرتد عن الإسلام، ... ورأى أنها مصيبة أكبر حلت عليه ونزلت عليه ...

مكثوا على هذا الأمر خمسين يوماً، لا أحد يكلمهم، ولا أحد يسلم عليهم، ولا حتى يردوا عليهم السلام، إلى أن نزل قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ (١١٨التوبة).

جاءت التوبة من الله ﷻ، وبعدها جاء التحذير والوعيد الشديد لكل المؤمنين:

﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ ﴾ (١٢٠التوبة)

لا يصح أبداً أن يتخلفوا عن رسول الله، ويؤثرون أنفسهم بالراحة والنوم والأشياء العظيمة ويتركوه في التعب والعناء !!

لماذا يا رب؟ .... لأن ما أصابهم من جوع ومن عطش ومن نفقة في سبيل الله سيجدونها عند الله تبارك وتعالى أضعافاً مضاعفة.

هذه الآيات هي الحاكمة مع الصالحين، لأنها كانت مع سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فالرجل الذي يعاون الصالحين في رسالتهم في تبليغ دعوة الله بأي معونة، ولا يتخلف إلا لعذر قاهر وضروري، فإن كل الغنائم من الفتح الإلهي، والنور الرباني، والإلهام بالعلوم القرآنية ،والعلوم الوهبية، لا بد وأن يكون له فيها نصيب، لأن هذه غنيمة ولا بد أن يكون له نصيب في هذه الغنيمة.

أما الرجل الذي يجلس في بيته مرتاح، وليس له شأنٌ بهذا الأمر، ولا يشغل باله ولا حاله بأي أمر من هذه الأمور، فليس له شأن بالغنائم لأنه لم يعمل شيء ليأخذ عليه، ولكي يأخذ لا بد من: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا أجمعين للعمل بما يحبه ويرضاه.

٤- التسليم والتوكل والتفويض لله

س: ما الفرق بين التسليم لله، والتوكل على الله، وفوضت أمري إلى الله؟

التسليم لله

التسليم لله يكون في أي أمر قضاه عليَّ الله، وليس لي حيلة في دفعه ولا أستطيع تغييره ولا تبديله، مثل الموت، فإذا اختار الله ﷻ للموت أحدٌ ممن حولي، ما الذي أستطيع فعله في هذا الأمر؟ لا شيء إلا: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (البقرة) وأسلِّم لله ﷻ التسليم الكلي.

ومثله تماماً إذا بذلت جهدي وأخذت بالأسباب في أي أمر من الأمور، ولم تتحقق النتيجة التي أرجوها، فهنا ما دُمت عملت ما عليَّ أُسلم الأمر لله، وأعلم أن اختيار الله أولى من اختيار العبد لنفسه .. على سبيل المثال الثانوية العامة، فأحياناً يضع الآباء لأبنائهم، أو الأبناء لأنفسهم هدف وهو الحصول مستوى عال من المجموع، ويكونون في ثقة أنهم سيحصلوا عليه ويزيدوا، ويجتهد ونحن نجتهد معه إن كان يريد دروساً أو يريد مساعدة أو يريد أن يتفرغ، وهو عمل ما عليه، ونحن عملنا ما علينا، وفي النهاية لم يحصل على المجموع الذي حدده أو الذي نرجوه، ماذا نفعل؟ نسلم الأمر لله، لأننا نعلم أن الله اختار له ما هو خيرٌ له مما كان يريده، فلا أحدٌ منا يعلم أين الخير، والله تبارك وتعالى يختار لنا خير الخيرين.

التسليم لله ﷻ يكون في مثل هذه الأمور التي بذلت فيها ما في وسعي، وعملت فيها بكل جهدي، ولكن الله ﷻ اختار لي شيء آخر، فأرضى بقضاء الله، وأُسلِّم لأمر الله، وهذا هو الرضا بمر القضاء، ولذلك من شروط الإيمان الرضا بالقدر حلوه ومره، فسيدنا جبريل لما سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال:

{ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ }[١٣٦]

١٣٦ صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

التوكل على الله

أما التوكل على الله:

- فهو الأخذ بالأسباب التي وضعها لي في الحياة حضرة الله.
- ولكن مع الأخذ بالأسباب أستعين بالدعاء:
  - فهنا أكون قد توكلت على الله ﷻ.

بعض الناس المتواكلين عندما يمرض يقولون له: هيا يا فلان نذهب بك للطبيب، فيقول: وماذا يصنع لي الطبيب؟! لو قدَّر الله أن يشفيني سيشفيني بدون الطبيب، وهذا كلام ليس واقعي وليس ديني وليس علمي، فماذا أفعل؟!!

لا بد أن أذهب للطبيب، وأتناول الدواء، ومعهما أدعو الله ﷻ أن يجعل في أيدي الطبيب وفي هذا الدواء الشفاء، لأن الشفاء من الله تبارك وتعالى.

- فإذا دعوت الله بالشفاء بدون أن أذهب للطبيب أو أتناول الدواء، فأكون قد أبطلت الأسباب التي جعلها الله تبارك وتعالى لكل شيء!!
- فأنا أستعين بالدعاء مع الأخذ بالأسباب:
- وهذا اسمه حسن التوكل على الله ﷻ.

أريد أن يكون لي كيان في دنيا الناس، ويكون معي مال، ومعي من مقدرات الحياة ممتلكات أو غيرها، فلا بد أن أسعى في الأرض، وأمشي في المناكب:

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ (١٥ الملك)

والمناكب يعني الجبال، أمشي بجد وإتقان وإخلاص وأسعى، وأدعو الله ﷻ أن يبارك في هذا السعي:

- لأنه إذا بارك فيه كبَّره ونمَّاه وبلغت ما أرجو في وقت قصير، وإن لم يباركه الله فمهما صنعت، ومهما فعلت، فلن أستطيع أن أبلغ المراد.
- إذاً حُسن التوكل على الله باختصار:
  - هو الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على مسبب الأسباب ﷻ.

وإليكم مثالاً من حياة النبي وأصحاب النبي:

فأصحاب النبي كانوا في المعارك والغزوات، وكانت الملائكة تحضر معهم وتشجعهم وتنميهم وترفع الروح المعنوية عندهم، وقيل أنهم كانوا أحياناً يشتركون في القتال، لكن لا بد لأصحاب رسول الله أن يكون لهم دورٌ في ذلك، فلو قالوا: إن النصر من عند الله فلِمَ نحارب؟ فمن أين يأتي النصر؟ ولو قالوا: النصر بأيدينا وليس بمددٍ من الله فسيعاتبهم الله، لأنهم لما ظلوا يفتخروا بأنفسهم ويتباهوا قال الله لهم:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (الأنفال ١٧).

وحضرة النبي لما رمى بعض الحصى على رؤوس أهل مكة في غزوة بدر، ولم تترك واحداً منهم إلا ونزل على رأسه بضع حصيات، قال له ربه: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال ١٧) من الذي رمى أولاً؟

حضرة النبي ولكنه طلب المعونة والمدد من الله، فأوصل الله هذا الرمي إلى كل هؤلاء لأنه إمدادٌ من الله تبارك وتعالى.

فالتوكل على الله يعني الأخذ بالأسباب مع استمداد القدرة والمعونة من الله تبارك وتعالى والأخذ بوسيلة الدعاء، والتصدق على الفقراء والمساكين في حالة الشفاء:

{ دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ }[١٣٧]

وغيرها من الأسباب !!

أما ترك الأسباب فنسميه تواكل، أو سلبية:

وهذا نهى عنه الدين، ونهى عنه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وقد ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى رجلاً جالساً في المسجد، وسأله: ماذا تصنع؟ قال: أعبد الله، قال: ومن الذي يطعمك؟ قال: أخي، قال له:

أخوك أعبد منك !!

لأنه يأخذ بالأسباب ويجاهد في سبيل الله ﷻ.

---

١٣٧ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

تفويض الأمر لله

أما تفويض الأمور إلى الله:

فهذا سلاح المرء إذا واجه قوياً لا يستطيع مجابهته في أي أمر من الأمور.

مثلاً رجل شديد وقوي وأنا لا أستطيع مواجهته، فماذا أفعل؟

أعمل ما في وسعي ولكن أُفوض الأمر إلى الله كما فوض سيدنا موسى:

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (غافر)

لماذا فوض موسى أمره إلى الله؟

لأنه لا يستطيع أن يقف أمام فرعون وجنده، فهو رجل وحده ليس معه جيش ولا سلاح ولا قوة، وهذا ملك جبار يدَّعي أنه إله ومعه قوة لا تُعد ولا تُحد، فماذا يصنع هنا؟ فوَّض الأمر الى الله ﷻ!!

ففي مثل هذه الحالات يكون تفويض الأمر لله تبارك وتعالى.

لكن لو كان لي حق، وأستطيع أن أحصل على هذا الحق بوسيلة قانونية عن طريق المحكمة، أو بوسيلة ودية عن طريق مجلس صُلح، أو عن طريق ذوي الأرحام، وقلت: أنا أُفوض أمري لله، ولم أفعل شيئاً من هذا، فهذا تفويض ليس في محله، لأني تركت حقي وإذا كنت غير محتاج لحقي، فأولادي يحتاجونه لأنه ليس لي وحدي ولكنه لي ولأولادي.

فالتفويض:

إذا واجه إنساناً قوياً لا يستطيع مواجهته ومجابهته، فهنا يفوض الأمر إلى الله.

لكن إذا كنت أستطيع الوصول إلى الحق وأخذه:

فلا بد أن أسعى بجهدي هنا وهناك، وأحاول بكل وسعي وطاقتي أن أصل إلى حقي، وإذا مِتُّ في سبيل ذلك فأنا شهيد:

{ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ }[١٣٨]

---

١٣٨ جامع الترمذي والنسائي عن سعيد بن زيد رضي الله عنه

٥- أيام الإنسان

س: ذكرتم فضيلتكم في أحد لقاءاتكم أن الإنسان يمر بخمسة أيام، يوم ألستُ بربكم، ويوم بطن الأم، ويوم الدنيا، ويوم البرزخ، ويوم الآخرة، فهل هذه الأطوار يمر بها الأنبياء؟

اليوم الأول من أيام الإنسان الخمسة:

هو يوم ألست بربكم:

وهذا اليوم كان يتواجد فيه أرواح كل الآدميين الذين سيهبطون، آدم من الجنة وهم في ظهره ويخرجون من بعده إلى يوم الدين، بما فيهم الأنبياء والمرسلين.

ولذلك رُوي عن الإمام علي ﷺ أنه سُئل: هل تذكر يوم الميثاق، أي يوم ألستُ بربكم؟ قال: بلى، وأعلم فيه من كان عن يميني، ومن كان فيه عن شمالي.

أما اليوم الثاني وهو يوم بطن الأم:

وهذه خصوصية لكل إنسان له دورةٌ بمفرده في بطن أُمه.

واليوم الثالث هو يوم الدنيا:

وهذا اليوم يظهر لكل قوم فيه نبيهم، ولا يظهر من البدء إلى الختام للأنبياء والمرسلين قبلاً، وللصالحين والأولياء بعداً، إلا سيدنا رسول الله سيدنا محمد ﷺ.

واليوم الرابع هو يوم البرزخ:

ونجد فيه السابقين بما فيهم الأنبياء والمرسلين، لكن هم درجاتٌ عند الله، فلا يكون مع النبيين والمرسلين إلا الذين ذكرهم الله في قوله:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ (النساء).

اليوم الخامس هو يوم القيامة: والكل يجتمع فيه، ... ولكن الناس هناك على طبقات:

طبقةٌ يدخلون الجنة بغير حساب، وطبقةٌ يدخلون النار بغير حساب، وطبقة يُحاسبون حساباً يسيراً، وطبقة يحاسبون حساباً عسيراً، والأنبياء يشفعون في الأتقياء من أممهم، إلا نبينا فإنه يشفع حتى في أهل الكبائر من أمته، كما قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[١٣٩]

وله في الموقف شفاعات كثيرة:

- شفاعةٌ في بدء الحساب لجميع الخلائق.
- وشفاعةٌ عند الوقوف وقت تطاير الصُحف بين أمته.
- وشفاعةٌ عند الميزان لأمته.
- وشفاعةٌ عند الصراط لأمته.
- وشفاعةٌ فيمن دخل النار من أمته.
- وشفاعةٌ في رُقيّ أهل الجنة درجاتٍ من أمته.

أما قبل ذلك فهناك يوم الميثاق:

وهذا في بدء البدء، وهذا كان خاصٌ بالنبيين والمرسلين وليس معهم أحد من عامة الخلق أجمعين، وهو قبل يوم ألست :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٨١ آل عمران)

وهناك بعد ذلك يومٌ في الختام وهو يوم الخلود ... ويوم السعود في الجنات، وأهل الجنة درجات.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُلحقنا بمعية سيد السادات، وأن يرزقنا بجواره في الجنات أجمعين، فلا يجاور حضرة النبي إلا المقربين:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ٨٩ ﴾ (الواقعة)

نسأل الله أن يمن علينا بذلك أجمعين.

---

١٣٩ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس رضي الله عنه

٦-استغلال كبار السن لوقتهم

س: كيف يستغل من بلغ سن الستين وأُحيل إلى التقاعد وقته؟

إن السالكين في طريق الله لا ينتظرون إلى سن الستين، وإنما يبدأون سلكوهم منذ يفوعة أعمارهم، يعني من سن العاشرة يبدأ السير والسلوك إلى الله، حتى يدخل في قول سيدنا رسول الله في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

{ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ }[١٤٠]

ويدخل في نداء الله جل في علاه، قال ﷺ:

{ مَا مِن شَابٍّ يَدَعُ لَذَّة الدُنيَا وَلَهوهَا وَيَستَقبِل بِشَبابِه طَاعَة الله، إِلَّا أَعطَاه الله أَجر اثنَينِ وَسَبعِينَ صِدِّيقًا، ثُمَّ يَقُولُ الله: أَيُّهَا الشَابُّ التَارِكُ شَهوَتَهُ فِيَّ، المُبتَذِلُ شَبَابَهُ، أَنْتَ عِنْدِي كَبَعضِ مَلائِكَتِي }[١٤١]

فإذا بلغ الأربعين سنة – كما حبب الله – يجمع هموم الدنيا كلها ويتخلص منها بالحُسنى، ويُقبل بالكلية على حضرة الله منتظراً لقاء الله جل في عُلاه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ ﴾ (١٥الأحقاف).

ويتفرغ للعمل الصالح، مع الأخذ من دنياه ما لا بد له منه لتستمر حياته، ومن هو مُكلفٌ بشئونهم من أهل بيته في هذه الحياة.

أعمال البر

أما من بلغ الستين وتقاعد عن العمل قبلها أو بعدها، فعليه أن يتفرغ بالكلية لله، وعليه أن يكون له عملٌ خاصٌ ينفع به نفسه يوم لقاء الله، كعملٌ من أعمال البر، أو عملٌ من أعمال الخير، كخدمة الفقراء والمساكين، أو خدمة المرضى والزمنى من المسلمين، أو السعي في مصالح كبار السن وخدمتهم ليجد من يخدمه عندما يصل إلى

---

١٤٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٤١ حلية الأولياء لأبي نعيم، وله صيغة اخرى أوردها الديلمي عن عمر رضي الله عنه

سنهم، فقد قال ﷺ:

{ مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ، إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ }[١٤٢]

أو يجعل لنفسه عملٌ في مستوصف خيري لوجه الله، أو عمل في مشاركة المسلمين في الوقاية من هذا الوباء الذي حلَّ هذه الأيام وفي العلاج من هذا الداء ابتغاء وجه الله.

خدمة المساجد

ومن المؤمنين في هذا المقام، من يجعل نفسه جندياً في بيت الله، يقيم الآذان إن كان جميل الصوت، أو يُصلي بالمسلمين إن كان يحفظ بعض آيات كتاب الله، أو ينظف المساجد ابتغاء وجه الله، ليعمل بقول رسول الله ﷺ:

{ ابْنُوا الْمَسَاجِدَ وَأَخْرِجُوا الْقُمَامَةَ مِنْهَا، فَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تُبْنَى فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ حُورِ الْعِينِ }[١٤٣]

فإخراج قمامة المساجد مهور الحور العين يوم القيامة، أو يسعى لإصلاح ما تلف فيها من مصابيح، أو حنفيات مياه، أو غير ذلك، فيكون في خدمة بيت الله عاملاً بقول الله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (التوبة).

البعد عن الغفلة

وليحرص كل الحرص في هذا السن بالذات .... أن يبتعد قدر الاستطاعة عن مجالس الغفلات: وهي المجالس التي لا يُذكر فيها الله، ولا يُصلَّى فيها على رسول الله، وتمتلئ بالغيبة والنميمة والقيل والقال، ليُحسن خاتمته عند لقاء الواحد المتعال ﷻ، ولذلك أستحسن من الأحبة في كل مكان إذا تجمعوا لقراءة الصلوات أو غيرها:

- أن لا يكون لهم حديث إلا في كتاب الله ... أو عن سيدنا رسول الله! أو عن الصحابة المباركين! و عن الصالحين الذين نتأسي بهم في كل وقت وحين. أو عمل نافع يرفعنا عند رب العالمين .. ولا شأن

١٤٢ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
١٤٣ معجم الطبراني وابن عساكر عن أبي قرصافة رضي الله عنه

لنا في مجالس الآخرة هذه بالدنيا وما فيها!! ولا بأهلها وما هم عليه.

وأعلى هؤلاء شأناً :

- من يقوم في هذه السن المباركة برعاية أبويه إن كانوا أحياء.
- وصلة أرحامه الأودَّاء.
- وحل مشاكل المسلمين الذين حوله ابتغاء وجه الله .. فإن خير عمل نافلة يتقرب به المرء إلى الله هو حل الخلافات بين المسلمين، قال ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ }[١٤٤]

وفي رواية أخرى:

{ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ: هي تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ }[١٤٥]

الدعوة إلى الله

وأحسن الأعمال لمن هم في هذا الباب:

أن يكون له نصيبٌ في دعوة الله تبارك وتعالى، حتى يدخل في قول الله:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فصلت)

كأن يصحب داعياً ليعينه على إبلاغ دعوة الله، أو يساهم بما يستطيع في سبيل معاونته على إبلاغ دعوة الله، أو يسعى إلى توصيله بسيارته إن استطاع طمعاً في مرضاة الله، أو يسعى في إخلافه في أهله بخير كما كان يفعل أصحاب رسول الله ﷺ، ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، أو يعينه في إبلاغ منشوراته وكُتبه إلى من يحتاج إليها من خلق الله طلباً لمرضاة الله، أو يعينه في نشرها على صفحات التواصل الاجتماعي ويسعى لينتفع بها أكثر جمع طلباً لمرضاة الله جل في علاه. هذه بعض أعمال المتقاعدين، وهم ليسوا بمتقاعدين، ولكنهم قائمين على أشدِّهم ليكون لهم خاتمة الحسنى وزيادة.

---

١٤٤ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

١٤٥ سنن أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه

الحرص على العبادة

- وأثناء ذلك يحرصون كل الحرص على أداء الصلوات في وقتها في جماعة في بيت الله إن استطاعوا.
- ويحرصون على أن يكون لهم نصيبٌ من قيام الليل.
- ويحرصون على الإكثار من الإستغفار.
- ويحرصون على الإكثار من ذكر لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ﷺ:
  - فقد كان ذاك الورد الذي يعطيه شيخنا لمن بلغ من الكبر عتياً، وقد سمعته يقول لهم: كرر لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ﷺ.
- ويُستحسن أن يعتق رقبته من النار، بالعتاقة الصُغرى أو بالعتاقة الكُبرى، فالعتاقة الصُغرى هي كما ورد ببعض الأثر:

((مَنْ قال لا إله إلاّ اللهُ سَبعِينَ ألفَ مَرّةٍ كانَت فِداءَهُ مِن النّار)).

والعتاقة الكُبرى هي قوله ﷺ:

{ مَن قَرأَ (قُل هوَ اللهُ أحدٌ) مِائةَ أَلفِ مَرَّة فَقَد اشتَرَى نَفْسه مِنَ الله، وَنادَى مُنادٍ مِن قِبَل الله تَعالَى في سَماواتِه وأَرضِه: أَلا إِنَّ فُلاناً عَتِيقُ الله }[١٤٦]

قال الصاوي في حاشيته على الجلالين:

هى عتاقة من النار بشرط ألا يكون عليه حقوق العباد أصلاً، أو عليه وهو عاجز عن أدائها، أما من قَدَر عليها فهو كالمُسْتهزئ بربِّه.

أعمال كثيرة وأبواب وفيرة، نسأل الله ﷻ أن يعيننا أجمعين على ذلك، ونكتفي بذلك، ومن أراد المزيد فليسعى إلى أهل المزيد.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٤٦ رواه البزار

الفصل السادس

مجالس أهل الصفاء

١- حكمة الأحكام	٢١٥
٢- الفتور عن أعمال البر والخير	٢١٧
– أنوار مجالس الذكر	٢٢٠
– سر المسارعة في الخيرات	٢٢٣
– الحسابات القلبية	٢٢٤
٣- ورثة الكتاب	٢٢٨
– تفسير أهل الظاهر للآية	٢٢٩
– التفسير الإشاري للآية	٢٣٠
– أولاً: الظالم لنفسه	٢٣٠
– موسى والسحرة	٢٣٣
– ثانياً: المقتصد	٢٣٥
– ثالثاً: السابق بالخيرات	٢٣٥
٤- علامات التوفيق في السلوك.	٢٣٧
– التشبه بالنبي في عاداته	٢٣٧
– المتابعة القلبية	٢٣٩
٥- تذكرة في تربية الأولاد	٢٤٠

١- حكمة الأحكام

س: ما حكمة الأحكام؟

حكمة الأحكام لها آلاف الوجوه:

لأن الله تبارك وتعالى يخص بالحكمة كل عبد من عباده الصادقين المخلصين في كل مرة يؤدي فيها طاعة لله، إن كان من صلاة أو صيام أو صدقة أو حج أو غيرها، يريه في كل مرة حكمة جديدة، أو حكماً عديدة من أحكام الله تبارك وتعالى في أداء هذه العبادة لوجه الله ﷻ.

والعارفون عبروا عما رأوه من حكمة في إحدى هذه المرات:

ولذلك نجد بعضهم يذكر الحكم متعددات، ويحتار المريدون أيهم أصَّح؟!

وكلهم صحيح!!

ولكن هذه ذكرها في مرة، وهذه ذكرها في مرة أخرى، ولم يأتوا بحكم ثابتة حتى يفتحوا الباب لجميع الأحباب.

لأن الحكم لو كانت ثابتة فلن يكون لنا نصيب غير النصيب الذي سمعناه!!

لكن كل واحد منا له عند الله خصوصيات لا يعلم قدرها إلا مولاه.

ولكن كل ما عليكم أن تروا الله الإخلاص والصدق من قلوبكم، والخير والطاعة من أعضائكم وأجسامكم، فيُفيض الله تبارك وتعالى عليكم من حِكَمه العليَّة في العبادات التي توجهتم بها إلى الله ﷻ، ما لا عد له ولا حصر له من الحِكم الربانية.

فالحِكم ليست حِكمٌ ثابتة ..

ولكن الحِكم متعددة حتى مع كل فرد !!

ولكنه لا يخبر بها غيره ليفسح المجال لغيره، ليدخل غيره المجال هو الآخر، وتكون كلها داخلة في قول القائل: ((من ذاق عرف))

من ذاق هذا الشراب ..سيعرف هذا الفضل ..

ويعرف هذا الإكرام، ويتمتع بهذا الإنعام من حضرة المنعم تبارك وتعالى ببركة وجاه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

والحكمة العامة من جعل الصلوات النهارية سرية، والصلوات الليلية جهرية :

أن الصلوات النهارية تكون والناس مشغولون بأعمالهم، فلو جهرنا بها شغلنا الناس عن أعمالهم المكلفين بها، لذلك جعلها الله سراً بيننا وبينه، حتى لا نشغل غيرنا عن عمله الذي يعمله، حتى ولو كنا في الصلاة!

فلو أنا جهرت في صلاتي، والآخر بجواري جهر في صلاته، فلن نستطيع أن نستحضر الصفاء جميعاً بسبب تشويش بعضنا على بعض، فجعلها الله سراً لنأتنس به، ولا نشغل غيرنا عن العمل الذي يقوم به، إن كان طاعة وعبادةًلله، أو عمل من أجل معاش، أو عمل من أجل مصلحة من المصالح الدنيوية.

ولمَّا كان الليل للسكون والهدوء والطاعة لله، جعل الله ﷻ الصلاة جهراً، ليبحث العبد عن مكان يختلي فيه بمولاه !! ويجهر بالتلاوة ليكون في مناجاة حقيقية ظاهراً وباطناً مع مولاه تبارك وتعالى.

فصلاة الليل مع الله ﷻ مباشرة، ويبحث الإنسان فيها عن البعد عن المشاغل الدنيوية بالكلية، ليكون متفرغاً لمناجاة الحضرة الواحدية الأحدية، فيصلي جهراً، وكلاهما على خير ..!!

يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الإسراء) ابتغ السبيل الذي يوصلك إلى الله، ويجعلك في حالة المناجاة الكلية مع حضرة الله تبارك وتعالى.

ومرة قال له:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ (﴿٢٠٥﴾ الأعراف) ...فهذه صلاة النهار!!

فاجعلها في نفسك !!

والأخرى اجعلها جهراً لتكون مع ربك تبارك وتعالى على الدوام.

٢- الفتور عن أعمال البر والخير

س: ما الذي جعل الناس في هذا الزمان تقاعست عن أعمال البر وأعمال الخير كحضور مجالس ذكر الله التي يقيمها الصالحون وأحبابهم؟ وما العلاج لذلك؟

أصبح العدد الذي يواظب على حضور مجالس الذكر أو الحضرة أقل من القليل، وكذلك الأوراد الواردة عن الصالحين يواظب عليها أقل من القليل، وكذلك النوافل الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ!.

أنا أذكر وأنا صغير في السن أني كنت أدخل المسجد قبل صلاة الفجر فأجد المسجد مليء بالناس، منهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يذكر الله في نفسه، ومنهم من يصلي التهجد، ومنهم من يقرأ ورد السَحر المشهور عن سيدي مصطفى البكري، فكانوا يقرأوه جماعة في هذا الوقت.

ولما كبرت قليلاً وأثناء مطالعتي في كتب الصالحين وجدت أن هؤلاء الأقوام يرفع الله البلاء عن أهل هذه البلدة ببركتهم وبسرهم، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: إِنِّي لأَهِمُّ بِأَهْلِ الأَرْضِ عَذَابًا فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِي، وَالْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَنْهُمْ }[١٤٧]

أي أرض، وليس الأرض كلها !!

كأن الذي كان يفعله هؤلاء القوم يرفع البلاء عن الكل.

وكثر البلاء الآن لعدم وجود هذه المجالس، فهذه المجالس تُرفع إلى السماء، لأن كلها دعاء، وقال أمير الأنبياء ﷺ:

{ إِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[١٤٨]

البلاء ينزل من السماء والدعاء يُرفع من الأرض فيلتقيان، فيتصارعان فإذا غلب

---

١٤٧ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس رضي الله عنه

١٤٨ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عائشة رضي الله عنها

الدعاء البلاء صرف الله البلاء، فالدعاء كأنه حائط صد، لكن الآن إذا نزل البلاء ما الذي يمنعه؟ لا شيء!.

فأغلب الناس الآن إذا سهروا فإنهم يسهرون على الفيس بوك وغيره، ويسير على حسب الهوى والشيطان، لكن أين عُمَّار بيوت الله؟! لا يوجد.

قد تقول لأحدهم: هيا نذهب مجلس الذكر اليوم، فيقول: أنا مشغول، أو أنا متعب وأريد الراحة، وهذا مسكين سَلَّم نفسه لنفسه وحظه وهواه، وأصبح يتحرك كما يخططون له، فالنفس همها شهوات الدنيا، والآمال الفانية التي في الدنيا، وبعد ذلك فإن الإنسان بالنسبة للطاعات والقربات يُصبح في خمود وكسل ونوم، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَامَ عُقِدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ثَلَاثُ عُقَدٍ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ حُلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ حُلَّتْ أُخْرَى، فَإِذَا صَلَّى حُلَّتِ الثَّالِثَةُ، فَيُصْبِحُ طَيِّبَ النَّفْسِ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ زَادَ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُوقَظُ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيُوقَظُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَيَجِيءُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ عَلَيْكَ لَيْلًا فَارْقُدْ، فَإِنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ رَقَدَ، ثُمَّ يُوقَظُ الثَّانِيَةَ فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ عَلَيْكَ لَيْلًا فَارْقُدْ، فَإِنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ رَقَدَ، فَتُصْبِحُ عُقَدُهُ كَمَا هِيَ، وَيُصْبِحُ خَبِيثَ النَّفْسِ (أَوْ قَالَ: ثَقِيلَ النَّفْسِ) نَادِمًا عَلَى مَا فَرَّطَ مِنْهُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَبُولُ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ }[١٤٩]

إذا استيقظ الإنسان من النوم ودعا بدعاء الاستيقاظ الذي كان يدعو به حضرة النبي: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }**[١٥٠]

فتنحل عقدة، فإذا توضأ حُلَّت الثانية، فإذا صلى الصبح حُلَّت جميع عُقده وأصبح طوال يومه نشيط النفس غير كسلان.

أما إذا بقي نائماً حتى تطلع الشمس، فذلك لأن نفسه عند الفجر قالت له: الوقت ما زال مبكراً، والصلاة ممتدة إلى شروق الشمس، والنوم يحلو في هذه الفترة، مثل أكل الحرام الذي يحلو في أفواه الكثير!!، ولا يستحلى الحلال والعياذ بالله.

---

١٤٩ مصنف عبد الرزاق

١٥٠ صحيح البخاري والترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

وهذا إذا نام فإن الشيطان يجعله ينام حتى تُشرق الشمس، فإذا نام حتى تُشرق الشمس فإنه رجل بال الشيطان في أُذُنه كما أخبر حضرة النبي ﷺ، يعني أصبح نجس نجاسة معنوية شيطانية، ويظل طوال يومه خبيث النفس كسلان.

فالإنسان إما أن تكون السيطرة على مملكته للنفس، وإما السيطرة للقلب، وأنت الذي تُرجِّح الكفة التي تسيطر على الجوارح والحقائق الظاهرة والباطنة.

فإذا كانت السيطرة للنفس فإن حساباتها كلها تكون دنيوية، وليس لها حسابات أخروية، تقول له مثلاً: لماذا لا تُصلي؟ فيقول: وهل سآخذ مال مقابل الصلاة، وهؤلاء أهل الكفر والعياذ بالله، يريد مال مقابل الصلاة، وهل المال يساوي شيء فيما يمنحك ملك الملوك ﷻ؟!! يكفي أن الصلاة ستغفر لك الذنوب، ويكفي أن الصلاة ستعطيك راحة في الصدر وانشراح، وتأتيك سَكينة في القلب وطمأنينة، وتتنزل عليك الرحمات، وتهبط عليك البركات، وتمشي دائماً وأنت معك رعاية الله وعناية الله، ولو استرسلنا في هذه الأشياء لن نستطيع أن نوفي العطاءات التي يمنحها الله لك لأنك تؤدي الصلاة.

لكن النفس لا تريد هذه العطاءات لأنها لا تراها، فهي تريد شيء محسوس ملموس، مع أن عطاءات الله محسوسة وملموسة لكنها معنوية.

فعندما ترغب في أي طاعة فإن النفس تختلق الأعذار، تقول له: لماذا لا تحضر يا فلان مجلس الذكر؟ فيقول: أنا مشغول، ولا وقت لدي، وهذه المجالس تريد من عندهم وقت، وغير ذلك، فيذهب وتضحك عليه نفسه ليجلس مع غيره ويتحدثون في القيل والقال، والغيبة والنميمة، فيُضيّع الوقت فيما يُغضب الله، بعد أن حُرم من قضاء هذا الوقت في طاعة الله جل في علاه !!

فانظر إلى المصيبة التي تأتي بها النفس للإنسان، لأنه بذلك يخرج من تحت عباءة عناية الله، لأنه غير محافظ على الجماعة الذين يقول فيهم رسول الله ﷺ:

{ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ }[١٥١]

لا يأتي له شقاء أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، فتجد أموره في الدنيا كلها يسهلها الله، وكل كروبه يُفرِّجها الله، وكل همومه يقضيها الله، وكل أحزانه يقلبها الله إلى سرور.

---

١٥١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

فإذا أخرج الإنسان نفسه من هذه العباءة أصبح معرض للهموم، فإذا سألته كيف حالك يا فلان؟ يقول: صدري ضيق من كثرة الهموم والمشاكل التي أنا فيها، وأنا لا أحضر مجالس الذكر لكثرة المشاكل التي أنا فيها، مع أن هذه المجالس هي التي ستحل هذه المشاكل!.

فأنت لا تستطيع أن تحل المشاكل، لكن الذي يحل هذه المشاكل هو الله، وأنت خرجت من عباءة رعاية الله، قال ﷺ:

{ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ }[١٥٢]

إذا سألت الله يجيبك ويلبيك لأنك تلبي نداء الحبيب، وتعمل بما أمر به الحبيب ﷺ مع أصحابه النجباء والحكماء رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

فحسابات النفس حسابات سفلية لأنها دنيوية دنية، أما حسابات القلب فهي حسابات عَلِّية لأنها حسابات نورانية.

أنوار مجالس الذكر

لماذا أنا اذهب إلى مجالس الذكر؟ أولاً لأن فيها سيدنا رسول الله ﷺ، فهو إذا ذُكر في مجلس حضر فيه، ولا يصح أن يطَّلع على أهل هذا المجلس ويعرف أني من الرواد فيتفقدني ولا أكون موجود، وهذا معناه أني سأُحرم من الهبات والعطاءات النبوية، والتي أعطاها له الله وقال لنا فيها:

{ اللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[١٥٣]

رسول الله ﷺ هو الذي يُقسِّم هذه العطاءات، وكذلك ذهبت إلى هذه المجالس والحضرات فإن الملائكة تحيط بهم، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟

---

١٥٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٥٣ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، وَيَذْكُرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَبًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ }[١٥٤]

تحيط الملائكة بأهل هذه المجالس ومعهم كاميرات نورانية يصورون بها الظاهر، والنوايا التي في الباطن.

انظر إلى كم الهبات التي ستحصل عليها عندما تسمع للقلب وليس النفس، ستأخذ كارت أمان من جهنم، وكارت ضمان لدخول الجنة، وكارت بالمغفرة من حضرة الغفار، وكارت بأنك تكون مع الحبيب المصطفى وأصحابه الأخيار وآله الأطهار، وماذا يريد الإنسان في الدنيا والآخرة غير ذلك؟!!.

هذا غير إجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء، وكشف الهموم، وتفريج الكروب .. وغير ذلك، حتى أن إخواننا الصادقين السابقين كان بالنسبة لهم يوم مجلس الذكر كيوم الجمعة، لا يشغلهم شيء عن مجلس الإخوان، وكل مَن حولهم يعرفون ذلك، فإذا أراد أحدهم شيء منه لا يذهب له في ذلك اليوم، لأنه التزم ولازم هذا الأمر.

لكن الآن لماذا لا تأتي المصالح إلا في ذلك اليوم؟! هذا من رُسل الشيطان، لأنهم يريدون أن يَحُدُّوا من قوتك وعزيمتك، فيوجدون لك مصالح في هذا الوقت، مع أنه يمكن قضاؤها في وقت آخر، حتى يُحرموك من هذا الخير العظيم الذي أجراه الله تبارك وتعالى لأصحاب هذه الحضرات.

---

١٥٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

فكان السلف الصالح يتفرغ في هذا اليوم لله تعالى ولرسوله ﷺ مع الأحباب والصادقين، حتى يكونوا معهم يوم القيامة: ويُحشرون جماعة، وليس فرادى كالآخرين: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ (٩٤الأنعام) وهم الكافرون والمشركون، لكننا: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) هذا إن كانوا ذاهبين إلى الجنة، وكذلك إن كانوا ذاهبين لله: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (مريم) وفد مع بعضهم إن كانوا ذاهبين إلى الله أو إلى الجنة.

لماذا؟ كما كنا نسمع من الصادقين السابقين: (الناجي يأخذ بيد أخيه) قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ }[١٥٥]

وورد في بعض الأثر: أن العبد يؤمر به إلى الجنة فيقول: يا رب أين أخي فلان الذى كان يجلس معي في الدنيا؟ فيقال له: إنه لم يعمل بمثل عملك؟ فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول له الكريم ﷻ: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة، إذاً سيُكرم الإنسان بصحبة هؤلاء الأقوام، لأنه سيكون معهم إلى حضرة الرحمن، ومعهم إلى دخول الجنان، ومعهم في جوار النبي العدنان: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء)

قد لا يُحصِّل الإنسان أحد هذه الرتب، لكن إكرام الله لنا لأننا اتبعنا سيدنا رسول الله وسادتنا الصالحين، فحشرنا الله تبارك وتعالى معهم وجعلنا في زمرتهم، وإن كنا لم نعمل مثل عملهم!!.

لذلك كان إخواننا الصادقون السابقون عندما يأتيه عذر ضروري لا يستطيع أن يتخلف عنه في يوم مجلس الذكر، يحزن ويحدث له ضيق، ويصبح صدره غير منشرح، فيتصل بأحد الأحباب ويقول له: حدث لي عذر ضروري ولن أستطيع الحضور معكم، ويطلب منه أن يقرأوا له الفاتحة ليسر له الله هذا الأمر!! وفي نهاية مجلسهم يقرأون له الفاتحة بأن الله يشفيه، أو ييسر له أمره، أو يُفرج كربه، ويحدث، لماذا؟ قال ﷺ:

---

١٥٥ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

{ إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ }[١٥٦]

إذا دعا الأخ لأخيه بظهر الغيب فإن هذا الدعاء لا يُرد، فما بالك إذا كانوا بقية من الصالحين؟! دعاؤهم لا يُرد.

هذا الأمر هو الذي كان متعاهد، لكن تركه كثير من الأحباب في هذا الزمان، وحرموا أنفسهم من أشياء عظيمة، فلا يذهب إلى المجلس بحجة أنه مشغول ولا يعتذر، وذلك لأن نفسه ضحكت عليه، وسولت له حتى تبعده عن طريق الصالحين، وطريق الصادقين، وطريق سيد الأولين والآخرين ﷺ، مع قول الله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا** ﴾ (﴿١٥٣﴾الأنعام) (وأن هذا) يعني سيدنا رسول الله ﷺ، لأنه لم يقل: فامشوا عليه، ولكن قال: ﴿ **فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ (﴿١٥٣﴾الأنعام) ... من أين تأتي هذه السُبُل؟ إذا طاوع الإنسان نفسه، وأعطاها القيادة، وسلَّم لها الأمر، وجعلها تتصرف فيه وفي مملكته كما تريد.

سر المسارعة في الخيرات

إذاً الإنسان عندما يُسَلِّم للقلب، ويسمع من العلماء العاملين ما لا عدَّ له من أنواع الثواب، ومن أنواع الخير، ومن أنواع البر، ومن الألطاف الإلهية، ومن العطايا المحمدية التي تفاض على قلب الإنسان من هذه المجالس لن يتركها ولو طرفة عين.

كان أحد أحبابنا من بلد اسمها ههيا بمحافظة الزقازيق، وكان فلاحاً يعمل طوال النهار، ولكنه كان حريص على حضور مجلس الذكر، وكان مجلس الذكر يقام كل يوم، وكل يوم في بيت أحدهم، ولما زاد العدد كان يشترك في اليوم الواحد أكثر من أخ، فكان هذا الرجل بسبب تعبه طوال النهار بمجرد أن يبدأوا في قراءة الصلوات ينام، وذات مرة قال له أحدهم: أنت كلما جئت تنام، فلماذا لا تريح نفسك؟ فقال له: المهم أني سأكون في الصورة معكم!، ويكفيني ذلك ... انظروا إلى الفطانة!، لأنه سيُأخذ في الصورة التي تلتقطها الملائكة البررة الكرام، ويرفعوها إلى الله ﷻ، وعلى الأقل سيدخل في حديث: **((هم القوم لا يشقى لهم جليس))** وهذا لمن حضر لمصلحة، ولكنه حضر يقصد المجلس، فهذا سيأخذ الأجر كاملاً وموفوراً.

---

١٥٦ مسند احمد وصحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه

الحسابات القلبية

هذا الذي يحسب الحسابات القلبية، على سبيل المثال آبائنا، فقد كانوا أُميين، لكن كان عندهم أمر غريب، فالكلمة التي يسمعوها من العالِم لا بد أن ينفذوها، فكان كل بيت حريص في عيد الأضحى أن يكون عنده أضحية، ولو لم يضحي في أحد السنين يظل طوال العام مغموم ومهموم، لماذا؟ لأنه كان يحسبها بالحسبة النبوية، ما ثواب هذه الأضحية؟ قيل لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قال: سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، قَالُوا: فَمَا لَنَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِكُلِّ شَعَرَةٍ حَسَنَةٌ، قَالُوا: فَالصُّوفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِكُلِّ شَعَرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ }[١٥٧] **وقال ﷺ:**

{ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَأَظْلَافِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا }[١٥٨]

وفي الحديث الآخر:**{ يَا فَاطِمَةُ، قَوْمِي إِلَى أُضْحِيَّتِكَ فَاشْهَدِيهَا، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلْتِهِ }**[١٥٩]

يُغفر لأهل البيت كلهم كالحج تماماً بتمام، وماذا أيضاً؟ قال ﷺ:

{ اسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ، فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ }[١٦٠]

يعني استسمنوا ضحاياكم لأنها ستكون مطاياكم على الصراط يوم القيامة، والصراط على جهنم عبارة عن سبعة جسور، وكل جسر كما ورد عبارة عن ألف عام صعود، وألف عام استواء، وألف عام هبوط، يعني عبور السبعة جسور يستغرق إحدى وعشرون ألف سنة!. فإذا أردت أن أمر كالبرق الخاطف، أو كالريح المسرعة فإني أحتاج إلى شيء أركبه، وهذه الركوبة هي الأضحية.

لذلك كانوا حريصين على الأضحية، ليس من أجل اللحم ولكن من أجل الثواب العظيم والأجر الكريم.

---

١٥٧ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه
١٥٨ جامع الترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها
١٥٩ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنه
١٦٠ التدوين في أخبار قزوين للرافعي عن أبي هريرة رضي الله عنه

لكن العصريين الماديين الذين يحسبونها حسبة مادية يقولون: لو اشتريت لحم سيكون أوفر وأفضل من أن أذبح، هو اعتبرها حسبة حكيمة، ولكنها حسبة عديمة لأنها عدمته من هذا الثواب الذي ذكره النبي الأواب ﷺ.

إذاً الذي يشجعنا على عمل الخير، وعمل البر، ومجالس الخير والبر أن نحسبها الحسبة النبوية، والحسبة الإلهية، وليست الحسبة المادية أو العقلانية التي يحسبها اهل هذا العصر الذين شُغلوا بالدنيا، وشُغلوا بالمادة، وشُغلوا بالعقل عن المسارعة في الخيرات، وعمل الصالحات، والتهافت على مجالس الصالحين والصالحات.

إذاً عندما تريد أن تعمل أي عمل احسبه بالحسبة القلبية، ولا تحسبه بالحسبة المادية، فمثلاً جماعة سيذهبون لزيارة إخوانهم في الله يوم الجمعة في بلد أخرى، إذا حسبت ذلك بالحسبة المادية فستقول: ما الذي يجعلني أرتدي ملابسي، وأدفع أجرة للسيارة، وأذهب وأجيء؟!! أنا سأصلي الجمعة في مسجد بجواري، وأستفيد من هذا الوقت بالنوم، لكننا كلنا سننام نومة طويلة جداً، واللحظة هنا خسارة تضييعها، فأنفاسك هي نفائسك التي تكسب بها الأجر الموفور والسعي المشكور عند الرب الغفور ﷻ.

لكن عندما أحسبها بحسبة رسول الله ﷺ، فقد قال:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ وَصَلَهُ فِيكَ، فَصِلْهُ }[١٦١]

وقال أيضاً:

{ مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا }[١٦٢]

إذا ذهبت لزيارة أخيك وكان عندك مشاكل أو عندك مرض، أو عندك هموم، أو عندك غموم، فإنك تطيب من كل هذه الأشياء بسبب دعاء الملائكة لك.

ومشيك هذا لن يستطيع أحد حساب الحسنات والأجر الذي ستأخذه عند الله

---

١٦١ الجامع في الحديث لابن وهب

١٦٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

فيه، وكذلك ضمنت الجنة لأنك ذاهب لزيارة أخ في الله تطبيقاً لأمر سيدنا رسول الله ﷺ، ولو أضفت إلى ذلك حضور مجلس علم، فإن الحسبة تُصبح كبيرة جداً، فأنت في سبيل الله منذ أن خرجت من بيتك، قال ﷺ:

{ مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ }[١٦٣]

ومجلس العلم الذي ستسمعه وإن كان بسيطاً قال فيه كما ورد في الأثر: ((مجلس علم وإن قل خيرٌ من عبادة سبعين سنة، ليلها قيام ونهارها صيام)).

من الذي يستطيع أن يحسب هذا الأجر؟!! حتى تعرف مدى الأجر الذي ستحصل عليه من هذه المجالس، والذين يعتذرون عن حضور مجلس الذكر والعلم بحجة أنه سيزور مريض، أو أنه سيقدم واجب عزاء، فأنت تستطيع أن تقوم بذلك في يوم آخر، قال ﷺ:

{ حُضُور مَجلِس عَالِم أَفْضلُ مِن صَلاةِ أَلفِ رَكعَة، وَعِيَادَةِ أَلفِ مَرِيض، وشُهود أَلفِ جِنَازة، قِيلَ: يا رَسُول الله، ومِنْ قِرَاءَة القُرآن؟ قَالَ ﷺ: وَهَل يَنفَع القَرآن إلا بِالعِلم؟! }[١٦٤]

لذلك عندما تزن زن بكلام النبي ﷺ، فكل هذه الأمور من الممكن تأجيلها حتى بعد المجلس، لكن لا تحرم نفسك من بركات هذا المجلس.

إذا عرفت أن هذا المجلس لو داومت عليه سيظل الأجر والثواب يُرفع لك إلى يوم القيامة في كل ميعاد للمجلس حى بعد وفاتك !!

ويكون بذلك عملك ممدود، قال ﷺ:

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ }[١٦٥]

إن ما تذكرون الله تعالى به من التسبيحات والتهليلات والتكبيرات يخرجن ولهن صوت كصوت النحل حتى يصلن إلى العرش فيُذَكِّرن بصاحبهم إلى يوم القيامة.

---

١٦٣ سنن الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
١٦٤ أورده الجوزي وذُكر في الإحياء عن أبي ذر رضي الله عنه
١٦٥ مسند أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

حلقة الذكر التي أقمتها تخرج وتعمل حلقة ذكر حول العرش، وتظل إلى يوم القيامة، وتوضع في صحيفة كل الذاكرين الحاضرين فضلاً من الله واكراماً لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

نحن أعمارنا قصيرة، ولكن أعمالنا ستكون أكثر من الأمم السابقة مع أن أعمارهم كانت طويلة وكانت تصل لمئات وآلاف السنين، لماذا؟ بسبب فضل الله وإكرامه الذي جاء لنا به سيدنا رسول الله ﷺ.

وأنت إذا وضعت في نيتك أيضاً مجلس العلم فهذا أجر آخر، وإذا وضعت في نيتك تبسمك في وجه أخيك، والكلام الطيب، فكما قال ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }[١٦٦]

وقال:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }[١٦٧]

كل الذي ستُلقي عليه السلام سيكون لك صدقة، وكل الذي ستتبسم في وجهه سيكون لك صدقة، والصدقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويضاعف الله لمن يشاء.

أجور كثيرة وثوابات لا تُحصى ولا تعد عندما يذهب الإنسان لزيارة أخيه المؤمن في أي زمان ومكان، ولذلك حثَّ سيدنا رسول الله ﷺ على زيارة الأحباب والإخوان، قال الحسن البصري رضي الله عنه:

((اسْتَكْثِرُوا مِنَ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

أكثر من الإخوان في الله، حتى يكون لك شفعاء كثير عند الله ﷻ من الصالحين والصادقين الذين صادقتهم في الله وصاحبتهم في الله تبارك وتعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى:

أن يعيننا على أنفسنا، وأن يزكيها ...

وأن يلهمنا رشدنا، وأن يجعلنا دائماً وأبداً في رعايته وعنايته.

---

١٦٦ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه

١٦٧ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

٣- ورثة الكتاب

س: ما معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ (فاطر)؟

الآية تتكلم عن ميراث، والقرآن تحدث عن الميراث الحسي في الممتلكات الدنيوية ووضحه تفصيلاً حتى لا يحدث خلافٌ بين البشر، لأن معظم التقاتل في الدنيا على المال والعقارات وما شابه ذلك من الممتلكات، ففصلها الله في كتاب الله تفصيلاً واضحاً.

وهناك ميراث الأنبياء وبيَّنه ووضحه زعيم الأنبياء ﷺ فقال في حديثه:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ }[١٦٨]

فميراث الأنبياء العلم والنور، فهناك من يرث باب من أبواب العلم الظاهر، يعني يكون عالم في الفقه، أو عالم في التفسير، أو عالم في الميراث، أو عالم في العلاقات الدولية .. باب واسع ليس له حدود في العلوم الظاهرية.

وهناك من يرث باباً من العلوم الإلهامية الباطنية، فيرث باباً في فتح الله في إشارات القرآن، أو في توجيه الله في أحاديث النبي العدنان، أو في علم المقامات التي يتدرج فيها السالكين إلى تمام الوصول إلى رضوان رب العالمين، وفي أحوال العُباد والزهاد ..

الباب واسع كذلك في العلوم الباطنة، ولا يوجد من يحيط بكل هذه العلوم إلا سيدنا رسول الله ﷺ.

وهناك من يرث النور، والنور لا عد لأبوابه، ولا حد ولا قدر ولا مقدار لمواهبه التي يهبها الله ﷻ للصالحين والأولياء والمتقين، فهذا ميراث سيدنا رسول الله ﷺ.

وجعل الله تبارك وتعالى في كتاب الله ميراثاً للكتاب: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾

---

١٦٨ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه

(٣٢) فاطر) الكتاب هو القرآن الكريم في المعنى الظاهر، أو الكتاب المكنون في المعنى الباطن، فله ورثة.

مَن الأصناف الذين يرثوا هذا الكتاب؟ قبل أن يذكر الله هذه الأصناف ذكر شرط الوراثة، وهو أن يكون معه شهادة اصطفاء من الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٣٢فاطر) فالذي يرث الكتاب لا بد أن يكون من أهل الاصطفاء، ولذلك وراثة الكتاب مستمرة، لأن الله يقول في القرآن: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (٧٥ الحج) وكلمة يصطفي يعني الاصطفاء مستمر ولا ينتهي، ففي كل زمان وفي كل عصر وأوان يصطفي الله ﷻ قلوباً في أبدان من أهل هذا الزمان، يورثهم كتاب الله المكنون وهو القرآن.

ولذلك عندما يفسر أهل الظاهر هذه الآية نجد دائماً تناقضاً بين تفسيرهم وهذا الشرط الذي وضعه الله، ونحن نقر بالظاهر ونحدث به أهل الظاهر، حتى لا ينكروا علينا، يقول الإمام علي ﷺ:

((حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))[١٦٩]

يعني عندما تحدث الناس حدثهم على قدر حدودهم وما يعرفوه، لأنك لو حدثتهم بما لا يعرفون سينكروا عليك، ونحن لا نريد أن نعرض الناس للإنكار على الله ورسوله.

تفسير أهل الظاهر للآية

فيقول أهل الظاهر في تفسير هذه الآية: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ (٣٢ فاطر) الظالم لنفسه هو الواقع في الذنوب، والغارق في العيوب، يعني مستمر في عمل الذنوب، لكن كيف يكون مستمر في الذنوب والعيوب ويكون من أهل الإصطفاء؟!! وليس هذا وفقط، فهو أول صنف من الورثة، فالمفترض أن يكون أفضلهم.

وقالوا في قول الله: ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ (٣٢ فاطر) الذي يعمل أعمال حسنة وأعمال سيئة، كما قال فيهم الله: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٠٢ التوبة).

---

١٦٩ صحيح البخاري

وقالوا في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (٣٢ فاطر) الذي ترك الذنوب بالكلية واجتهد في أبواب أبواب الطاعات، يعني اجتهد في الصلاة، وفي الصيام، وفي الإنفاق، وفي أعمال البر والخير كلها، اجتهد فيها ليسبق بها بإذن الله، وهذا التفسير الظاهر أيدوا كلامهم فيه بحديث وارد عن النبي ﷺ حتى لا يعترض عليهم أحد، والحديث يقول:

{ سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ }[١٧٠]

وهذا يتوافق مع المعاني التي ذكروها ويؤكدها.

التفسير الإشاري للآية: ... أولاً: الظالم لنفسه

الصالحون في معنى هذه الآية قالوا: الظالم لنفسه هو الذي تجاوز حد الوسطية في تعامله مع الذات العلية، وهضم حقائقه البشرية حقوقها التي أوجدها لها رب البرية.

ما معنى ذلك؟ الله أمرنا أن نعطي الجسم في الليل حقه من المنام، ولكنهم حرموا الجسم حقه فلا ينام شغلاً بطاعة الذي لا يغفل ولا ينام، والله أمرنا ان نعطي للجسم حقه من الطعام والشراب، ولكنهم واصلوا الصيام أياماً وراء أيام، كالنماذج العالية من الصالحين العظماء، وما يُحكى عنهم مما هو ثابتٌ في أحوالهم مع الله تبارك وتعالى.

على سبيل المثال سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه أخذ يتعبد لله تبارك وتعالى في غار حراء سبع سنوات، وهو الغار الذي كان يتعبد فيه سيدنا رسول الله ﷺ.

وفي خلال السبع سنوات كان أحياناً يحدث له ما يُسمى بين الصالحين بالوَلَه، يعني الجذب الكلي، فيقف أمام الغار أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يجلس، فهل هذا هضم الجسم حقه وظلمه أم لا؟ ظلم الجسم، ولكنه في هذه الحالة كان مأخوذاً، ولذلك لا يجوز لغيره الاقتداء به في هذا الحال، لأنه لن يستطيع أن يستمر ولا حتى أربعين ساعة، بدون أن يأكل أو يشرب أو ينام.

لكن هذا جذبه مولاه، والجذب هو تعلق القلوب بالحبيب المحبوب، فإذا كان الجذب شديداً فإن الجسم ينسى متطلباته، ويسهو عن رغباته شغلاً بمن يقول للشيء كن فيكون تبارك وتعالى، وهنا يكون قد ظلم نفسه لأنه لم يعط لجسمه حقه.

---

١٧٠ الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، والبعث والنشور للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مثال آخر وهو سيدنا الإمام الجنيد ﷺ، كان يصوم ولا يفطر إلا كل أربعين يوماً مرة، ويفطر على تمرة، ثم يعاود الصيام، هل توجد قدرة بشرية تستطيع أن تفعل ذلك؟! لا، من الذي يستطيع أن يصوم أربعين يوماً متتالية ثم يفطرعلى تمرة؟! لا أحد يستطيع ذلك، لكن هؤلاء وأشباههم وأمثالهم لهم نصيبٌ من وراثة الحبيب في قوله ﷺ:

{ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[١٧١]

وقد قال هذه العبارة ليخاطب العقول لأنه قال:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم }[١٧٢]

لكن هل كان الله يأخذه عنده ويُحضر له طعام ليأكل؟! لا !!

وإنما يعطيه ما يغني الجسم عن حاجاته الضرورية من هذه الدنيا الدنية، كيف؟ هذا أمرٌ فوق الطاقة والإمكان، ولا يستطيع أن يصل إليه بعقله إنسان، ولكن كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

بذوقك فاشرب راحنا يا أخا النهى وسلم لنا الأحوال فى كل حضرة

هذه تحتاج إلى علم الذوق، وعلم الذوق لا يُسمع ولكن يُشرب، من الذي يشربه؟ القلب، وهذا في كتاب الله: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإنسان) هل ربنا يحضر لنا كوب ويسقينا بها؟! هذا معنى الآية الظاهر، لكن هذا المعنى لا يجوز في حق الله تبارك وتعالى، ولكنه يسقي القلوب:

يا ساقي القوم خمر الوجد والحال رفقاً بجسمي ففيه كل آمالي

هذا شراب القوم الذي يقولون فيه **((اشرب شراب أهل الصفا ترى العجائب))** فهؤلاء ورثوا هذا المقام تفضلاً من حضرة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فأغناهم الله عن حاجات الأجسام، وإن اقتربوا منها فإنما من باب تبيين للحاضرين الكيفية الصحيحة للطعام والشراب على منهج سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ولذلك كان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه يقول عن سيدي رسول الله

---

١٧١ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٧٢ رواه الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن عباس وهناك رواية أخرى:"أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ".

ﷺ: **((والله ما أكل إلا لنا، وما شرب إلا لنا))** يعني ما أكل إلا ليُعلِّمنا كيف نأكل، وما شرب إلا ليُعلِّمنا كيف نشرب، وليُعلِّمنا الآداب الإلهية في تناول هذه الأمور البشرية صلوات ربي وتسليماته عليه.

هل يستطيع أحد فينا أن يمكث أسبوع بدون أن ينام؟ لا يوجد، لكن أحد الصالحين اسمه الشيخ عيسى، من بلد اسمها البرلس في كفر الشيخ على البحر بجوار بلطيم، ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني ﷺ في طبقات الصالحين والصوفية فقال: **((مكث سبعة وعشرين سنة لم يذق فيها طعم النوم، حتى سماه القوم غفير البرلس))**.

الغفير يأخذ نوباتجية ويعود لبيته لينام، لكن هذا مكث سبعة وعشرين سنة بدون نوم!، هل يستطيع الإنسان بدون معونة من الرحمن أن يقلده في هذا الشأن؟! لا، فهذه الأمور كلها خوارق، ولا يستطيع الإنسان أن يؤديها إلا إذا أخذه مولاه بالكلية، وتولاه الله ﷻ في الصباح وفي العشية، ولم يتركه إلى نفسه ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل، ولذلك لا ينبغي لنا الاقتداء بهذا.

هؤلاء وأمثالهم وأشباههم كثير وموجودون في السلف الصالح، ولذلك نقول: الوقود الذي يولع نار الغرام بداخلك، والهيام لله تبارك وتعالى في قلبك وروحك، حكايات الصالحين الثابته، فاقرأ دائماً أحوال هؤلاء الصالحين، لتعرف أين أنت وأين هم؟ وتحاول كما قالوا:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

فالظالم لنفسه في هذه الآية وهو أول مقام وأعلى مقام في ورثة الكتاب، هو الذي بلغ من حبه في الله أن هام بالكلية في مولاه حتى تاه عما سواه، حتى نسي ما يقيم به أوده!! وهذا ما يحدث أحياناً في الأحوال البشرية في الحب بين الأجناس الطينية، فقد يحب إنسان امرأة زيادة عن اللازم فينشغل بها ليل نهار، حتى أنه ينسى أن يأكل، يضعون له الطعام أمامه ويعودون فيجدوه كما هو لم يأكل، لأنه مشغول البال، والمشغول لا يشغل .... إذا كان هذا في الأحوال البشرية وبين المخلوقات الطينية، فما بالك برب البرية؟!! فقد قال رب العزة تبارك وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ (١٦٥ البقرة)

موسى والسحرة

وضرب الله لنا أمثلة لهؤلاء في كتاب الله، فسيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لما واعد فرعون وقومه أن يلتقي بهم في يوم الزينة في ساعة الضحى، ويوم الزينة هو يوم العيد عندهم، وساعة الضحى تكون فيها الشمس في أُفق السماء وشديدة الحرارة، وكان كهنة فرعون يزينون له أن ما أتى به موسى سحر، وأنه ساحر، لماذا؟ لأن الآية التي معه وهي العصا كانت تخيل، فعندما يرميها في الأرض تتحول إلى ثعبان، ويده يضعها في جيبه فتخرج بيضاء وتنير، فقالوا هذا سحر.

فقال فرعون: اجمعوا لي السحرة البارعين في مصر كلها، فأحضروهم وقيل أنهم كانوا أكثر من أربعمائة ساحر، وهم المشهورون في كل مصر، ونحن نعلم أن مصر كانت مشهورة بالسحر، وإلى الآن سحرهم الموجود لا أحد يعرف كيف يفكه، ما الذي يحرس الآثار في باطن الأرض؟ الرصد وهو السحر، هل أحد من السحرة الموجودين الآن يعرف كيف يفك لك؟ لا، ففيهم من يموت، وفيهم من يجن، عندما يحاول فك سحر هذا المكان.

فتجمعوا وقالوا: ما معجزة موسى؟ فقال لهم: العصا التي معه إذا رماها تتحول إلى ثعبان، قالوا: نريد زئبق،وأحبال وعصي، ولفوا العصي بالأحبال، ووضعوا عليها الزئبق، لأنهم يعرفون أن خاصية الزئبق أنه يتمدد في الحرارة، فأصبح شكل الحبل كأنه ثعبان يمشي، ولذلك يقول الله: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (طه) تخييل فقط للناس الحضور.

فخاف موسى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ (طه) :

خاف لأن البشرية موجودة، فقال له الله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾ (٦٨-٦٩طه) تحولت العصا إلى ثعبان ابتلع كل العصي والحبال.

وفرعون كان فيلسوفاً وحكيماً لأنه كان يدَّعي أنه إله، والإله لا بد أن يغاير أوصافه أوصاف البشر، فلا يكون مثل الناس، فالناس يدخلون الخلاء ليقضون حاجاتهم مرتين أو ثلاثة في اليوم، ولو فعل فرعون هذا لا يكون مثلهم، لذلك كان لا يأكل إلا الموز فقط، لأن الموز ليس له فضلات، فكان لا يدخل الخلاء ليقضي حاجته إلا كل

أربعين يوم مرة، حتى يكون بينه وبين الناس مغايرة.

فكان واقفاً في هذا الوقت في شرفة قصره، وقصره كان مكون من دورين، والدور الثاني فيه شرفة كبيرة، فكان واقفاً في شرفة القصر، وهم في ساحة القصر، وبعد أن ابتلعت الحية كل هذا، ذهبت إلى القصر وفتحت الفم، الفك العلوي فوق القصر، والفك السفلي أسفل القصر، فرعون كما تروي الروايات في هذه اللحظة قضى حاجته أربعين مرة من شدة الخوف والفزع، لأنها ستبتلعه، وأعلن الإيمان، فآمن بما جاء به موسى، لكنه كفر بعد ذلك، ولذلك عندما آمن مرة ثانية في البحر: وقال: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (يونس) فلم يقبل منه لأنه ليس له عهد عند الله.

الشاهد في هذه القصة أن السحرة أنفسهم عرفوا أن هذا ليس سحراً ولا شعوذة، وإنما أمرٌ خارقٌ للعادة أمد الله تبارك وتعالى خالق الكون به موسى رسوله ونبيه، فآمنوا أجمعين: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه).

فهاج فرعون وقال:

﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه).

فرغم أنه قيدهم وربطهم، ومع التعذيب بأسياخ من النيران، ومع قطع الأطراف، لم يشعروا بذلك، لأنهم كانوا مغيبين في جمال رب العالمين ﷻ، فوقت شهود الجمال جعلهم لا يشعرون بأي شيء من هذا العذاب أو النكال.

إذا أخذ الله الحقائق الإلهية التي هي في المملكة البشرية بالكلية، فإن الجسم لا يتأثر بأي أمر من الأمور الدنيوية.

فالظالم لنفسه في رأي الصالحين:

هو الذي أخذه الله ﷻ من نفسه وحظه إليه، وشغله به عما هو بين يديه، وجعله مشغولاً بالكلية برب البرية، فنسي أو تناسى حظ الأجسام الآدمية، فلذلك أصبح ظاهراً قد ظلم نفسه لأنه لم يعطها حقها الذي أوجبه الله تبارك وتعالى لها.

ثانياً: المقتصد:

﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ (﴿٣٢﴾فاطر) قالوا:

المقتصد هو الذي أعطى لكل ذي حقه حقه في الحالة الوسطية، أعطى للجسم حقه من المنام، وأعطى لربه حقه من القيام، وأعطى للجسم حقه من الطعام، وجعل لله نصيباً في هذا الجسم بالصيام، فيقوم بهذه الحقوق كلها بميزان وفيٍّ، تأسياً بالكامل الأكمل حضرة النبي ﷺ، وهذا أيضاً إعجاز يحتاج عناية الله ورعاية الله تبارك وتعالى.

ثالثاً: السابق بالخيرات:

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (﴿٣٢﴾فاطر) قالوا:

الخيرات التي يتنافس بها في أعمال البر، كالأئمة الذين كانوا في حضرة النبي ومن بعدهم من الصالحين، منهم من كان ينفق ماله كله لله كسيدنا عثمان، فكان عندما يدعو حضرة النبي ﷺ للإنفاق، يُحضر كل ما عنده، مرة يقول:

{ مَنْ ابْتَاعَ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ }[١٧٣]

لأن أهل المدينة كانوا يستقون الماء من الآبار، وهذه كانت بئر ماءها حلو وتجري المياه فيها بغزارة، وكانت مع رجل يهودي، وكان يبيع الماء، فساومه سيدنا عثمان على شرائها، وكان تاجراً، فرفض، فأخذ يلح عليه حتى قال له: أشتري نصفه، وأنا لي يوم وأنت لك يوم، وساومه على السعر حتى دفع في نصف البئر اثني عشر ألف درهماً.

وقال لأصحاب حضرة النبي سراً، وهم كانوا حريصون على كتمان الأسرار، فقال لهم: أنتم تملأون كل مواعينكم في يومي بدون مقابل لأنه جعلها لوجه الله، ويوم اليهودي لا أحدٌ يذهب إليه، فمشوا على هذا النسق، فكانوا يملأون ما عندهم في يوم سيدنا عثمان، وفي يوم اليهودي يبحث عن أحد يشتري منه الماء فلم يجد، فتعطل حاله، وذهب لسيدنا عثمان ليشتري النصف الآخر، فقال له: لا أنا في غير حاجة له، فحاول معه حتى أخذه منه بأربعة آلاف درهم فقط، وأصبحت ملكاً للمسلمين أجمعين.

وأيضاً عندما حدثت مجاعة في المدينة، وجاءته قافلة من ألف جمل محملة بالدقيق، وراح له تجار المدينة وقالوا: سنعطيك الضعف، قال: هناك من زادني، قالوا: الضعفين،

---

١٧٣ سنن النسائي ومصنف ابن أبي شيبة عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه

قال هناك من زادني، فقالوا: من الذي جاء لك ونحن كل تجار المدينة؟! قال: سيعطيني الله عشر أمثالها، وأشهدكم أنها صدقة لفقراء المسلمين، هؤلاء هم السابقون بالخيرات.

وفي غزوة تبوك وكانت في وقت شدة، وكان صيفاً شديد الحرارة، وكان التمر وهو المحصول الرئيسي للمدينة لم ينضج بعد، فنادى النبي في أصحابه لتجهيز الجيش، فجاء عثمان بثلاثمائة جمل بأحمالها، فكل من يأخذ الجمل يأخذ معه أيضاً طعام الجمل وسلاحه، فقال ﷺ:

{ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ }[١٧٤]

لم يعد عليه شيء بعد اليوم، لأنني ضمنت له المقام العلي، والسر الهني، ودخول الجنة مع الأبرار والأطهار في جوار النبي المختار ﷺ.

هؤلاء هم السابقون بالخيرات !!

والذين يسارعون في كل زمان ومكان إلى عمل المشروعات التي تحتاجها الأمة في هذا الوقت لوجه الله، لأن الوقت يختلف من زمان إلى زمان.

كالرجل الذي وجد الطب قد تقدم في زمنه، والناس يحتاجون إلى مستشفى كبير يتعالجون فيه، فقام بعمل مستشفى من الألف إلى الياء، وسموه باسمه (مستشفى العيني) والعيني كان رجلاً من الأعيان، وهو الذي بنى المستشفى لمصلحة المسلمين.

وواحد آخر بنى مستشفى الدمرداش، وهو كان رجلاً تركياً، ولكن كان من أولياء الله الصالحين، فعمل هذا المستشفى لعلاج المسلمين في هذا الوقت.

أمثال هؤلاء الذين يعملون الأعمال الخيرية لوجه الله، هم الذين يقول فيهم الله: ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٣٢ فاطر).

والذي يُخرج على قدره خمسة جنيهات أو عشرة جنيهات، فهذا منفق، لكن صاحب هذا المقام ينفق انفاقاً عاماً ينفع جميع الأنام.

هذا رأي الصالحين في هذه الآية، وقد وضحته على قدري لا على قدرهم، أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بعلومهم أجمعين.

---

١٧٤ جامع الترمي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه

٤- علامات التوفيق في السلوك

س: ما الذي يجعل السالك فى طريق الله يُوفَّق فى سيره إلى الله، ويتحقق له مراده؟

الذي يجعل السالك في طريق الله يُوفق في سيره إلى الله، ويظهر عليه علامات النجاح، ويكرمه الله ﷻ بما أكرم به الصالحين السابقين، أن يبني كل أموره في حياته الظاهرة والباطنة على العلم أولاً، ثم يحرص كل الحرص على أن يعمل بما يعلم، فقد قال ﷺ: { مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَمْ }[١٧٥]

فطريق الله سبحانه وتعالى مبناه وأساسه على العلم بما كان عليه الحبيب ﷺ في كل أحواله، ثم بعد ذلك العمل والاقتداء بهديه وعلى منواله، حتى يكون المرء صورة على قدره من حبيب الله ومصطفاه.

فمنذ بداية سلوكه إلى الله يحرص حرصاً بالغاً أن لا يتصرف أي تصرفٍ وفق هواه، ولكن يعمل بقول الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

التشبه بالنبي في عاداته

فيقرأ أو يسمع عن كيفية نوم رسول الله، ليقلده ويتشبه به في هيئته عند النوم، ويقرأ أو يسمع أحوال رسول الله عند تناول الطعام، ليتشبه به قبل الطعام وأثناء الطعام وبعد الطعام، ويتساءل عن أحوال رسول الله ﷺ حتى عند شرب الماء، فيتشبه به عند شربه للماء في أي وقت شاء، حتى يتساءل عن كيفية جلوسه للشمس في اليوم الشاتي، وهل كان يستقبلها بوجهه أو يستدير لها بظهره، فيتشبَّه به في هذه الهيئة كذلك، حتى كيفية القائه لكلمات اللغة، وأسلوب تعامله مع جميع الأشياء وليس مع البشر فقط ..

والسادة العارفون يبينون لنا مدى حرصهم بالتحقق في العلم، وحسن الاتباع لسيد الأولين والآخرين سيدنا رسول الله ﷺ.

---

١٧٥ حلية الأولياء لأبي نعيم وأحمد عن أنس رضي الله عنه

وقد حكيت لكم ذلك سابقاً، أن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ كان يمتنع عن أكل البطيخ، وهذه من سنن العادات، فسُئل: لِمَ لا تأكل البطيخ؟ قال: ورد إليَّ بالسند الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يحب البطيخ، ولكن لم يرد إليَّ بسند صحيح كيف كان يأكل البطيخ؟ حتى وصله حديثٌ صحيح من مُحدِّث يثق فيه أن رسول الله ﷺ كان يشق البطيخة نصفين، ثم يقطعها على هيئة هلال ويأكل من اليمين إلى اليسار، فأكله، يعني حتى في العادة لم يفعلها إلا بعد علم وثيق، ثم نفذ مُتبعاً لسيدنا رسول الله ﷺ.

لا يفعلون شيئاً من أنفسهم، ويحرصون على المتابعة حتى في أحلك الأوقات!

فالإمام أبو العزائم ﷺ كان قد شُلَّت قدميه في آخر عمره، والسُنَّة النبوية أن الإنسان يدخل دورة المياه بقدمه اليسرى أولاً، ويقول قبل الدخول: بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، فحمله اثنين من الأحباب ليُدخلاه إلى دورة المياه، ولكنهما أخطئا، فجعلا الرجل اليمين تتقدم على اليسرى، فانتفض الإمام أبو العزائم ورجع بهم إلى الخلف وكاد يقع، وقال: خالفت رسول الله ﷺ ياويلتي!!.لا يريد أن يخالف رسول الله ﷺ حتى في دخول دورة المياه!!

وهذا هو الذي أوصل العارفين والصالحين إلى المقامات الكريمة عند رب العالمين.

فإذا انتهى الإنسان من اتباع النبي ﷺ في العادات كلها ينتقل إلى عباداته، فيعمل بقوله ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[١٧٦]

فيقف كما كان يقف تماماً بتمام، ويتشبه به في الركوع والسجود والجلوس، ومن هنا استحب الأئمة الكرام أن يجلس الإنسان السالك في التشهد على هيئة التورُّك، ويتدرب عليها إن لم يكن يعلمها، إلا إذا كان في جسمه مرضٌ يمنعه منها، وقد مكثنا ردحاً من الدهر نتمرن على التورُّك حتى أتقناه لنقتدي في صلاتنا ظاهراً بسيدنا رسول الله ﷺ ... ويقلده في مشيته، ويقلده في جلوسه، ويقلده في كل أحواله، وقد تناولنا ذلك بالتفصيل غير المخل ولا الممل في كتابنا (الجمال المحمدي) فليرجع إليه من أراد من الأحباب أن يصل إلى هذا المقام الكريم.

---

١٧٦ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه

المتابعة القلبية

فإذا ارتقى في السير والسلوك إلى الله ينظر إلى أحوال قلبه فيُقِّلبه كما كان سيدنا رسول الله يُقلِّب قلبه، فيولي وجهته نحو مولاه، ولا يطلب من الكونين سواه، وقد قال في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ: ((والسالك من توَّحد مطلوبه، ورضي بما قدَّره محبوبه)).

فإذا نازعته نفسه أثناء ذلك – كما يحدث لكثير من المريدين – إلى شيء فيه حبٌّ للظهور، يزن نفسه بالموازين التي ذكرناها عن الصالحين السابقين، فإذا حدثته نفسه أن يتكلم على الأحبة، وأنه وصل إلى مقام عظيم في العلم، فلينظر إلى الموازين التي ذكرناها في كتابنا **(كيف تكون داعياً إلى الله على بصيرة)** وليتنا جميعاً نقرأه بتمعن وتدبر، وكيف كان إقبال الصالحين على الكلام كسيدي عبد القادر الجيلاني، والإمام الجُنيد وغيرهم من الأئمة الكرام الذين استشهدنا بهم وبوقائعهم في بداية التحدث مع الأحباب؛ فإذا أوعزت إليه نفسه أن يكتب وقالت له إن هذا إلهام، كما ذكر لي كثيرٌ من الأحباب أنه يأتيه إلهام، ويريد أن ينشره، ويريد أن يرسله إليَّ أولاً لأراجعه، وأنا ليس عندي وقتٌ لكل هذه المراجعات، ولكن عندك الموازين، ارجع إلى باب كتابة العارفين في كتاب **(كيف تكون داعياً إلى الله على بصيرة)** فتجد فيه لماذا يكتبون؟ ومتى يكتبون؟ وكيف يكتبون؟ !! فهذه الموازين إذا تحققت فيك فاكتب، ثم زن كتاباتك بعد ذلك بشرع الله، وسُنَّة حبيب الله ومصطفاه، وأقوال الأئمة المعتدلين من رجال الصوفية حتى لا يكون شطحاً، أو حتى لا يكون نزوة نفس، أو حتى لا يكون إعمال فكر، والنفس نفخت في الإنسان أنه أصبح عالماً ويضع كتاباً كما وضع العارفون السابقون.

ولنا كتابٌ آخر في هذا المجال اسمه **(موازين الصادقين)** وليت السالكين الصادقين يقرأونه ليزنوا أحوالهم بموازين الصادقين، فيكونوا كما قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة)۞ فإذا حدث للإنسان أي لبس في التشبة أو في التخلق أو في التعلق بأحوال رسول الله، ... يسأل الخبير الرباني ليعمل، لا ليتفلسف ولا ليتحدث ... وإنما ليأخذ البيان العملي فيطبقه على ما كان عليه حضرة النبي.

هكذا يكون الأمر في أي أمر من الأمور، وما ذكرناه أمثلة تطبقونها على باقي الأمور ... نسأل الله أن يجعلنا أجمعين من الصادقين، وأن يوفقنا لسلوك طريق الصادقين، على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ.

٥-تذكرة في تربية الأبناء

س: نريد من فضيلتكم تذكرة مختصرة فى تربية الأبناء؟

الآباء في السابق رغم أنهم كانوا أُمِّيين إلا أنهم كانوا حريصين على أن يُربوا أولادهم على نفس المنهج الذي كانوا يمشون عليه في اتِّباعهم للصالحين، فتجد بيت فلان كله تابع للسادة الخليلية مثلاً، وبيت فلان تابع للسادة المسلمية، وبيت فلان تابع السادة الشاذلية، لماذا؟ كل أب حريص أن أولاده يتربوا معه على هذا النهج.

الآن الآباء انشغلوا بالتربية الدنيوية، فأهم شيء أن يتخرج الولد ويكون معه ليسانس أو بكالوريوس أومعه دكتوراه، لكن أخباره في الناحية الدينية لا يعرف عنها قليل ولا كثير.

هل منهج آبائنا الأميين هو الأصح أم منهج الآباء العصريين؟ نسأل كتاب الله؟ يقول الله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (طه)

أولاً الصلاة، وليس لك شأنٌ بالرزق.

فالشهادات والتعليم وكل هذه المسائل ما الغرض منها؟ وسيلة للرزق، وما دمت أريد أن أضع لابني وسيلة للرزق، فلا بد أن أعلمه أولاً الرزق الحلال والرزق الحرام، حتى أضمن له الدنيا والآخرة.

لكنني لم أعلمه الحلال والحرام، وأريد أن أعلمه فقط الإنجليزي والفرنساوي والرياضيات، فحدث ما نراه الآن من الموجة الإلحادية في كل الدول الإسلامية، ويزكيها وينميها ويعينها أهل الكفر.

وكيف يدخلون لهم؟

- يقولون لهم الإنسان لا بد أن يكون حراً، يعني يفعل ما يريد في أي وقت يريد ولا يُسأل عما يفعل، ويعمل كل ما يريد في دنياه ولا أحد يعاتبه ولا يحاسبه!!

- ويقولون لهم أن الدين يقيد الإنسان، ويأتونهم من هذه الناحية.
- ويقولون لهم .. لماذا تتزوج واحدة فقط، فأنت أي امرأة تعجبك من حقك أن تنام معها سواء تزوجتها أم لا، فأنت حر، والشباب يغوي هذا الكلام.
- ويقولون: الخمر ليست حرام، لأنه لا توجد آية في القرآن تحرم الخمر، وهم يريدون آية صريحة تحرم الخمر، مع أن القرآن فيه في صريح الآيات: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ (٩٠المائدة) لم يقُل: فاجتنبوهم، ولكن قال (فاجتنبوه) يعني كلهم مثل بعضهم، فالخمر كالميسر وكعبادة الأصنام والأوثان، وأحاديث حضرة النبي كثيرة في هذا الأمر، لكنهم يريدون أن ينسلخوا من الإسلام، وانتهزوا فرصة أن الآباء تهاونوا في هذه المهمة.

اعتقد كثير من الآباء أن مهمتهم فقط أن يتخرج ابنه من المرحلة الجامعية، ويُصبح معه كذا وكذا، لكن المسئولية الأولى كلها عليك وهي مسئولية الدين، قال ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[١٧٧]

والمسئولية التي عليك هي الدين:

من أين يتعلم الابن الدين إلا منك أنت!

هل المدرسة فيها تعليم دين؟! لا !!

وهل المجتمع ووسائل الإعلام فيها تعليم دين؟! لا !!

وسائل الإعلام الحالية والفضائيات يبحثون عن الناس المزيفة والمنسوبة للدين، ويتكلمون ليثيروا مشاكل فتزيد نسبة المشاهدة عندهم، ومعظمهم لا يصلحوا أن يفتوا مسلمين، لكن كل ما يهم القنوات نسبة المشاهدة والإعلانات التي يكسبون منها.

- في السابق كان الولد يسأل الأب، ويذهب مع أبيه هنا وهناك فيسمع كلمة خير، ويرى تعامل الناس المحبين مع بعضهم، والمحبة والمودة والأُلفة هي نفسها أغلى من أي شيء ..

---

١٧٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

- لكن الآن تجد الأب في واد والأولاد في واد !!!

ولذلك نسمع العجب العجاب:

- فنسمع أن الأب بعد أن يكبر، من الذي يتحكم في الآخر؟
  - هل هو الذي يتحكم في الأولاد ؟؟ ... أم الأولاد هم الذين يتحكمون في أبيهم؟
    - أولاده الذين يتحكمون فيه، ولم نكن نسمع هذا الكلام سابقاً، فالأب هو الأب وكلمته هي النهائية.
- وأسمع الآن وأتعجب أن أب في ريعان الشباب وزوجته توفت، فيطلب الزواج ولكن أبناءه يمنعوه، خوفاً من أن يشاركهم أحد في الميراث، وهذا لأنهم لم يتعلموا الدين.
  - فتقول للأب: تزوج، يقول لك: الأولاد يرفضون، لكن الأولاد أنت ربيتهم ومسئوليتك انتهت نحوهم، فلِمَ يمنعوك؟ وهل الزواج سُنَّة أم مخالف للسُنَّة؟ سُنَّة، فلماذا يمنعوني من عمل هذه السُنَّة؟ سيدنا عمر زوجته توفت في الصباح، فتزوج بالثانية في العصر، وقال: **كرهت أن أبيت عزباً**، لأنه كان أميراً للمؤمنين، وأمير المؤمنين لابد وأن يكون معه زوجه، لأنه يقابل هذه ويقابل هذه فلا بد أن تكون معه حصانته.

الإنسان بعد أن يكبر ماذا يحتاج؟

يحتاج إلى جليس وأنيس، أو جليسة وأنيسة، وحتى لو لم يكن عنده شهوة إلا أنه يحتاج لأحد يؤانسة، من الذي يؤانسة؟

هل زوجة ابنه، أو إبنه، هؤلاء قد يتجمعون حوله كل يوم ولكن عند النوم كل واحد سيأخذ زوجته ويذهب، ويظل هو وحيداً.

هذا المسكين لو حدث له شيء بالليل على من ينادي؟

ولم نعد الآن في بيت واحد، بل كل واحد في شقة منفصلة، ولو حدث له شيء واحتاج إلى من يدخله الحمام ويخرجه من الحمام، فهل زوجة ابنه أو ابنته تصلح لهذا؟

لا، ومن الذي يصلح في هذه الظروف؟ زوجته.

فالإنسان يحتاج لأنيس في هذا السن، فإن لم تكن زوجة للمتعة فتكون للأنس، والإنسان طبيعته دائماً يحب أن يتكلم مع أحد، ويناجي أحد، ويحتاج أحد بجواره، لكن لو وجد نفسه وحيداً في البيت سيشعر بالوحشة.

لكن كثير من الأبناء في هذا الزمان يعملون هذه المشكلة المستعصية:

ويُرغمون الرجل المسكين على عدم الزواج، ويتحكمون فيه، ويضغطون عليه حتى يلقى الله تبارك وتعالى!!!

ويعتقدون أن هذا من بر الوالدين، ويتحججون بعلل لا أحد يقبلها، ويقولون له: أنت لا بد أن تحافظ على عضم التربة –يقصدون الأم – لكن أنا أحافظ على شرع الله، وهل شرع الله حرَّم عليَّ هذا الحق؟ لا !!!

فعظم التربة ذهب للتربة، لكنني أحتاج من تؤانسني في البيت، وتصنع لي كوباً من الشاي، وتصنع لي طعام، أوتغسل لي ملابسي، وتغنيني عن الآخرين.

فزوجة الابن حتى ولو عملت فإنها تعمل وهي متضررة، وإذا كان الابن له مصلحة من وراء الأب ستعمل، لكن لو ليس له مصلحة لن تفعل شيئاً.

فهذه الأمور نتيجة تقصيرنا من البداية في تربية الأولاد التربية الواجبة التي تأخذ بأيديهم نحو دين الله، وشرع الله، وسُنَّة سيدنا رسول الله ﷺ.

عكس الذين تربوا التربية الدينية الصحيحة، هؤلاء سيقولون للأب: لن تظل وحدك، ولا بد أن تتزوج، فهذا ما كان يحدث من قبل، ولا يزال يحدث ولكنه قليل.

هذا مثل من الأمثلة يحدث نتيجة التربية الدينية، والتي هي تربية بالقدوة، والتربية بالقدوة لا تتأتى إلا بالأب مع أبنائه.

ولذلك كما نرى الآن بعض الأبناء لهم فكر آخر غير فكر أبيهم، وبعضهم يبلغ به الاستهتار أن يعارض أباه، ولا بأس لو عارضه بالحسنى، لكن قد يعارضه ويشتد مع أبيه في الكلام ويحتد عليه، ويرى أن أباه على خطأ وهو الذي على صواب !!!

ووصل الأمر من بعضهم أن يضرب أباه لأنه لا يتبعه في الصلاة كما يريد، ويقول:

{ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ سِنِينَ }[١٧٨]

هذا الحديث موجه للإبن أم للأب؟ للأب، لكن ابن يضرب أباه!!

فهذه أشياء غريبة وعجيبة.

وهذا كله نتيجة أننا ألقينا لهم الحبل على الغارب مبكراً في الناحية الدينية، لكن سيدنا علي قال:

((لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم زوجه، وألق له الحبل على الغارب)).

بعد أن أخذ كل المراحل التربوية عندك، وليس في الخارج، فأصبح يعمل كما يرضي الله، وفق هدي سيدنا رسول الله ﷺ، وصحابته المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فهذه مشكلة جدَّت، ونحن السبب فيها لأننا لم نأخذهم من البداية!!

وأصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا كذلك، كانوا من البداية، يكون الولد مع أبيه، فيأخذه معه للمسجد، ويقول له هيا نسمع الدرس اليوم عند سيدنا عبد الله بن مسعود، هيا نسمع الدرس اليوم للإمام علي بن أبي طالب، وهكذا من الأئمة المنتقين الأخيار.

فكان الأولاد عندهم بر وتُقى!!

بر بالآباء والأمهات ...

وتقوى لله تبارك وتعالى تمنعهم أن يفعلوا شيئاً ولو قليلاً يُغضب الآباء والأمهات.

هذه نقطة جوهرية، يعني لو استطعنا أن نحاول باللطف واللين والكلام اللين والبراهين أن نغير أبناءنا، ونجعلهم يمشون على طريق الصواب، فنكون قد تداركنا شيء مما فاتنا، لعل الله ﷻ أن ينفعنا بأولادنا أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٧٨ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الفصل السابع

الأمراض المعدية بين الدين والعلم

١- الوقاية خير من العلاج[١٧٩]

١-١- العادات الصحيةالسليمة في الدين	٢٤٦
١-٢- زيارة المرضى والعزاء عند انتشار الوباء	٢٤٩
١-٣- التكافل الاجتماعي عند الوباء	٢٥١
١-٤- التفاؤل والتشاؤم	٢٥٢
١-٥- تجنب الشائعات	٢٥٣
١-٦- الحجر الصحي في الإسلام	٢٥٥
١-٧- أحوال الناس عند الوباء	٢٥٨
١-٨- علاقة انتشار الوباء بغضب الله	٢٦٠
١-٩- الموتُ بدرجة الشهداء	٢٦٠
١-١٠- تعزية الأهل	٢٦٢
١-١١- حكمة الله في الوباء	٢٦٣
٢- هل الكورونا أو كوفيد١٩ غضب الله؟ وكيف نقضى علي المرض؟	٢٦٤
٣- فيروس كورونا: كيف نصاب به؟ وكيف وقانا الدين منه؟	٢٦٧
٤- الكعبة والعلم الحديث وأثر الصلاة.. فى الوقاية من المرض	٢٧٥
٥- أدب المؤمن عند البلاء	٢٧٧

١٧٩ حلقة بقناة الدلتا التلفزيونية برنامج جدد حياتك بتاريخ ٢٠٢١/١/٢م

الأمراضُ المُعديةُ بين الدِّين والعلم

الوقاية خيرٌ من العلاج

١-١- العاداتُ الصِّحيَّةُ السَّليمةُ في الدين الإسلامي

س: جاء الإسلام وجاء رسول الإسلام بالهدى لما ينفعنا في الدنيا في تعاملاتنا وما نحافظ به على صحتنا؛ فما العادات الصحية السليمة التي رسَّخها الدين؟

العادات الصحية التي رسَّخها الدين الإسلامي تكاد تكون إعجازاً علمياً اكتشفه العلم الحديث في هذا العصر، فإن الرسول ﷺ بوحي من الله تبارك وتعالى أمرنا أن نغسل أيدينا وفمنا قبل الطعام وبعده، وسماه الوضوء، وقال فيه ﷺ:

{ بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ }[١٨٠]

هذا الوضوء يعني غسل اليدين جيداً وغسل الفم، ثم أمرنا بعد ذلك بالسواك لتنظيف الأسنان، وقد قيل حديثاً أن كثير من الأمراض سببها ما يتواجد بين الأسنان من ميكروبات وجراثيم وفيروسات وغيرها، فحث ﷺ مع الوضوء قبل كل صلاة على السواك وقال:

{ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ }[١٨١]

ثم بين فضيلة السواك فقال ﷺ:

{ صَلاةٌ بِسِوَاكٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ صَلاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ }[١٨٢]

والسواك يكون مع الوضوء، لأني أرى بعض الناس غير الفاهمين يستخدمه وهو واقف في الصف قبل الصلاة، لكن السواك ينبغي أن يكون قبل الوضوء، أو بعد الوضوء، وموضع السواك الذي أضعه في فمي أغسله جيداً بالماء قبل وبعد الاستخدام،

---

١٨٠ سنن الترمذي وأبي داود عن سلمان رضي الله عنه
١٨١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٨٢ سنن البيهقي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

وأجففه حتى لا يكون مصدراً للعدوى، والأفضل أن تتغير الشريحة الأولى كل فترة قصيرة، ومع السواك يمكن استخدام معجون الأسنان، ويمكن استخدام الإثنين معاً، هذا نوع من أنواع الوقاية التي أمرنا بها ﷺ.

ثم أمرنا بعد ذلك بالوضوء الكامل قبل كل صلاة، والوضوء يقتضي غسل أعضاء الوجه واليدين والرجلين، وأعضاء الوجه هي المنافذ التي ينفذ منها الفيروسات والميكروبات وهي الأنف والفم والعينين والأذنين، وغسلها جيداً.

وقد حصل أحد الباحثين المصريين على رسالة دكتوراة من جامعة الإسكندرية، أثبت فيها عن طريق تجارب عملية أن الوضوء قبل كل صلاة يقي من الزكام والأنفلونزا وهو نوع من أنواع الفيروسات التي انتشرت بيننا، وبعد الوضوء الكامل لا بد من التجفيف، لأن كثير من الناس يتشدقون بأنه لا ينبغي التجفيف، مع أن النبي ﷺ كانت له منشفة (فوطة) خاصة به يجفف بها الماء بعد الوضوء، فعن عائشة ﷺ قالت:

{ كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ خِرقةٌ يُنشِّفُ بِها بعدَ الوضوءِ }[١٨٣]

فيجب على الإنسان أن يكون له منشفة خاصة به ولو في بيته لأن هذه سُنَّة نبوية لا يجب تركها، وإن لم يكن فيُجفف بالمناديل الورقية ولا بأس بذلك إن شاء الله.

ثم أمر بعد ذلك بغسل كامل للمسلم مرة على الأقل كل أسبوع، قال ﷺ:

{ الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ }[١٨٤]

والغسل يعم الجسد كله ..

وأظن أن الغسل بهذه الكيفية نشره الإسلام عندما دخل بلاد الأندلس في أوربا! وكان القديسون عندهم يتباهون بأن بعضهم لم يغتسل لعشر سنوات، أو لم يغتسل طوال عمره لذلك هو أرقى في الدرجة، فانتشرت الحمامات الإسلامية بعد دخول الإسلام، وعرفوا النظافة الإسلامية التي أمرنا بها الرسول[١٨٥] ﷺ.

---

١٨٣ جامع الترمذي والحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

١٨٤ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١٨٥ معلوم أن الحمام بالإنجليزية (باث رووم Bath room) جاءت من إسم (محمد باث) الهندى المسلم الذى أدخل غرفة الحمام النظيف إلى المنازل فى بريطانيا (ولم يكن عندهم حمام بالمنزل وإنما حمامات عامة) وكذلك عرفهم محمد باث الشامبو أو الصابون السائل وعُيِّنَ فى القرن السابع عشر- مستشاراً للنظافة بالبلاط الملكى

أيضاً من هذه القواعد أمرنا ﷺ أن لا يدخل المريض على الأصحاء ..

لذلك أول من وضع قواعد الحجر الصحي في التاريخ هو النبي ﷺ، قال ﷺ:

{ لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ }[١٨٦]

- إذا كان مريض يعتكف في بيته.
- ويعتكف حتى عن أهله المقيمين معه في بيته.
- ويُعلمهم أنه مريض، ولا يُخفي مرضه، لأنه قد يصيبهم وهو لا يدري، فلا يدخل عليهم!
- ولا يذهب إلى المسجد ليُقيم الصلاة مع المسلمين، إلا إذا شُفي تماماً حتى لا يؤذي جموع المسلمين.

وكان ﷺ يبايع أصحابه بيده:

فجاءه رجل به جذام ضمن وفد ثقيف ليبايعوه، وقد قال النبي ﷺ:

{ فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنْ الْأَسَدِ }[١٨٧]

وسبحان الله! ... يكتشف العلم الحديث أن ميكروب الجذام يشبه في هيئته المكبرة الأسد [١٨٨]طبقاً لما قال حضرة النبي ﷺ!! ..

فأرسل النبي ﷺ إلى هذا الرجل المجذوم:

{ ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ }[١٨٩]

ومن هنا نأخذ السُنَّة الصحيحة في منع السلام في هذه الأيام !! لانتشار العدوى بهذا الوباء الذي عم الأنام ...

اقتداءاً بالنبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

البريطاني، فأوروبا عرفت الصابون من مسلمي الأندلس أو عندما هاجموا بلاد المسلمين أثناء الحملات الصليبية فكانت أجساد جنودهم تفوح منها روائح كريهة للغاية، حسبما يقول المؤرخون وقتها، فمدن أوروبا كانت مزدحمة بالسكان والروائح النتنة منتشرة في كل مكان، والناس فى أوروبا لا يغسلون ملابسهم خشية أن تتشقق.

١٨٦ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٨٧ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٨٨ هذا ورد ببعض مصادر الإعجاز العلمى للقرآن والسنة، وفى مصادر أخرى للإعجاز العلمى قالوا أن وجه مريض الجذام الحديث من منتصف القرن ١٩ يشبه وجه الأسد، ويسمى مرض وجه الأسد.

١٨٩ سنن ابن ماجة وصحيح مسلم عن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه

١-٢-زيارة المرضى والعزاء عند انتشار الوباء

س: في كثير من الأماكن وبالذات في الأرياف، ولتقارب الناس فإذا مرض أحد بفيروس كورونا، أو حدثت حالة وفاة نتيجة الإصابة بالكورونا؛ نجد أنهم لا بد أن يذهبوا لزيارة المريض، أو لتقديم واجب العزاء، وإلا يعتبروا أنفسهم مقصرين، وحتى أهل المريض أو الميت يحزنون من الذي لا يزورهم !!، ... .. فما رأي فضيلتكم؟

هذا في الأحوال العادية، لكن في حالة الوباء هناك استثناء؛ والله ﷻ أكرمنا بوسائل الاتصال في العصر الحديث، فأستطيع أن أطمئن على المريض عن طريق الهاتف المنزلي أو المحمول ... ولا بد أن يعرفوا أن ظروف الوباء لها استثناء في الشريعة الإسلامية، فالرسول ﷺ كان كما يروي سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعُودُ مَرِيضًا إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثٍ }[١٩٠]

يعني في أول ثلاث أيام من المرض لا يذهب أحد لزيارة المريض.

فإذا تجاوز الثلاث كان مرضاً خفيفاً يسمح بالزيارة، والذي يسمح بزيارة المريض الطبيب المعالج! ، فإذا سمح الطبيب المعالج وتأكد أنه ليس هناك زيادة داء للمريض ولا عدوى للزائر فلا مانع! .. لكن لا يتوافد الناس من قِبَل أنفسهم حتى لا يتعرضوا لما لا يطيقون، ويستطيع أن يتعرف على أحوال المريض عن طريق الهاتف، والحمد لله أصبحت الهواتف كلها فيها كاميرا، فيستطيع أن يراه ويحادثه، فكأنه زاره تماماً بتمام.

أما بالنسبة لواجب العزاء، فلنأخذ الموضوع بالترتيب:

- عند الغسل:

يُغسله المؤمنون لأن من حقه علينا أن نُغسِّله.

لكن لو مات بداء مُعدٍ كالكورونا قال الأئمة: يمكن تغسيله من بعيد عن طريق

---

١٩٠ سنن ابن ماجة والطبراني عن أنس رضي الله عنه

الرش بالماء، فإن لم نستطع أن نفعل ذلك يمَّمناه ولا نصيبه بماء.

ويحرص المغسلون أن يلبسوا الأردية الواقية الصحية، حتى لا يتعرضون للعدوى.

وكذلك نحرص على أن يكون الميت بداء كورونا ملفوفاً برداء بلاستيكي محكم، حتى لا يخرج منه شيء يُعدي سواه.

- وعند الصلاة عليه والتشييع والدفن:

يُصَلِّي عليه من بعيد عدد محدود، وباقي المسلمين لهم أن يُصلوا عليه فرادى أو جماعة حتى في بيوتهم صلاة الغائب، حتى لا يُحرم من ثواب الصلاة على هذا الرجل.

وعدد المشيعين يكون محدوداً.

والذي يضعه في القبر يأخذ احتياطاته فيلبس الزي الواقي.

- أما بالنسبة للعزاء:

فإن الإسلام أوجب العزاء، لكن في حالة الجائحة:

- يُكتفى بأهل الميت الأقربون، ويتباعدون.
- ويكون العزاء على المقابر.
- ولا مصافحة ولا قراء ولا سرادقات، ولا عادات كالأربعين والحول وغيرها كأن الله ﷻ يريدنا أن نرجع إلى العصر الأول في زهاءه وبهاءه.

وقد رأيت عادة حسنة في هذه الأيام عند التعزية في كثير من القرى والمدن، حيث يقف أهل الميت بعد الدفن صفاً متباعدين، ويمر أمامهم المشيعون ويلوحون لهم بأيديهم، ولا يتصافحون.

وسرادق العزاء فهو ليس من الإسلام، وإحضار قاريء ليس من الإسلام، فهو ليس حراماً ولكنه ليس من سنن الإسلام أو تشريعات الإسلام.

فيستحسن في هذه الأيام أن نمنع هذه العادات لأنها تجمعات، وقد لا يتباعدون، فينتشر الداء بينهم ...

إذا قمنا بهذا فهذه سُنَّة الإسلام التي جاءنا بها الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

١-٣-التكافل الاجتماعي عند الوباء

س: في المقابل نجد هناك البعض يتجنبون شدة أي جار أو قريب أو غيره عندما يعرفون أنه مصاب بداء كورونا؛ فلا يسألون عنه ولا يزورونه، فما الحكم في ذلك؟

الواجب الشرعي مقدم ولكن بطريقة لطيفة:

فيجب على المسلم أن يقف بجوار قريبه أو جاره أو من حوله من المسلمين في وقت الشدة، ولو يتصل بالهاتف ويطمئن عليه، ويطلب منهم أن يُخبروه إذا كانوا يحتاجون إلى مال يمدهم به، أو يحتاجون إلى طبيب يأتيهم به، أو يحتاجون إلى دواء لا يستطيعون شراءه فيتعاون هو ومن حوله في شراءه، .... ونرى كثيراً في هذه الأيام من يحتاج إلى أنبوبة أكسجين فلا يجد، فما المانع أن يجتمع فريق في كل شارع ويشتروا بضعة أنابيب للأكسجين لعلاج مثل هذه الحالات، فالتعاون مطلوب في مثل ذلك.

أمر آخر وهو أن كثير من الناس في هذه الآنات يفقدون وسيلة رزقهم، نظراً لأن الدولة تحاول أن تمنع انتشار الوباء، وهؤلاء يجب علينا إعانتهم والتكفل بهم، وهذا هو التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام، فالدولة تقوم بواجب نحوهم، ونحن نقوم بالواجب الآخر، قال ﷺ:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }[١٩١]

عندما كان هناك غلق تام للمقاهي والمطاعم والأسواق ... من أين يأكلون هؤلاء؟يجب على المسلمين الآخرين مساعدتهم، ولا نقول نفرض عليهم جعلاً، ولكن

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (٧ الطلاق)

فيعطي ولو قليل!، والقليل مع القليل سيصير كثير ونعاون هؤلاء عملاً بقول الله:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢ المائدة)

---

١٩١ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

١-٤- التفاؤل والتشاؤم

س: عام ٢٠٢٠م كان به أحداث سيئة لكثير من الناس، ومع بداية العام الجديد ٢٠٢١م؛ كان هناك اختلافٌ على مواقع التواصل الاجتماعى، فكثير منهم يسبُّ عام ٢٠٢٠م، ... والبعض متفائل بالعام الجديد، ... والبعض متشائم، ... فماذا نقول لهؤلاء؟

نقول لهؤلاء: قال ﷺ:

{ لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ }[١٩٢]

يعني كل ما يحدث في الدهر في السنين والأيام والشهور يُحدثه الله ..!!

لكن السنين والشهور والأيام ليست بيدها شيء تفعل به أو تُحدثه لنا ولا غيرنا!

أين سنة ٢٠٢٠ هذه لنراها ونرى ماذا تفعل؟!

هذه مسميات سميناها ولكن ليس لها وجود في الحقيقة، وليس لها فعل، وليس لها إرادة، لذلك لا يحدث في كون الله إلا مراد الله ﷻ. .

ليس لنا شأن بعام ٢٠٢٠ ولا عام ٢٠٢١ ...

والمؤمن دائماً يتفاءل ويستبشر!

عَنْ أَبِي هُرَيْرة ﷺ قَال:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ }[١٩٣]

دائماً المؤمن يتفاءل، ودائماً يستبشر، ولذلك قال لنا ﷺ:

{ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا }[١٩٤]

---

١٩٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٩٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٩٤ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

١-٥- تجنب الشائعات

س: بعض الناس يخوفون الناس، ويقولون القادم أسوأ، وهناك سلالات جديدة من الفيروس ستظهر، والبقاء للأقوى، وينشرون ذلك بين الناس، وكأن هناك مؤامرة كونية تُدبَّر للقضاء على أغلب البشر، فما رأي فضيلتكم؟

لنا في هذا باب مفتوح إلى الله، فالرسول ﷺ عندما هاجر وأصحابه من مكة إلى المدينة أُصيب كثير منهم بالحُمَّى، وسميت حُمَّى يثرب، والرسول ﷺ نفسه أصيب بالحُمَّى، وأبو بكر وبلال وغيرهم، حتى أوشك بعضهم على الموت، فلما شكو إلى الرسول ﷺ رفع يديه إلى الله وقال:

{ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ؛ وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ }[١٩٥]

والجحفة منطقة جبلية بعيدة عن المدينة، فاستجاب الله وشفوا جميعاً في الحال.

إذاً معنا وسيلة ربانية لعلاج هذه الجوائح وهي التضرع إلى الله، والاستغاثة بالله، والله تعالى يقول: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠ غافر) لم يقل: أنظر في أمركم ، .. ولكن يستجيب فوراً، فبمجرد الدعاء يستجيب الله.

وهكذا في كل شدة، إذا وقع المؤمن في مكان ليس فيه ماء، صلَّى صلاة الاستسقاء ودعا الله، فإن الله يستجيب ويُنزل الماء ،وإذا ظهر وباء يدعو الله، وإذا مرض يأخذ بأمرين، يأخذ بالأسباب فيذهب إلى الطبيب ويتعاطى الدواء لقوله ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }[١٩٦]

ومع هذا يدعو الله، فنأخذ السببين معاً، فمن اخذ بالذهاب إلى الطبيب وأخذ الدواء بدون دعاء فقد أخطأ، ومن اقتصر على الدعاء ولم يذهب إلى الطبيب واخذ

---

١٩٥ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
١٩٦ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك رضي الله عنه

الدواء فقد اخطأ في اتباع الشريعة لأنها أمرته بالأخذ بالأسباب.

- فإذا أخذنا بالتحرز الذي ذكرناه<<
- ثم توجهنا إلى الله ودعونا الله، فإنه سيستجيب لنا، وقد كان سلفنا الصالح في أمثال هذه الجوائح يجتمعون في جماعات في أماكن فسيحة كالصحراء أو الملاعب الفسيحة ويدعون الله في جماعة، وهذا يكون أقرب إلى الإجابة.

ولذلك أنادي: يا ليت رجالنا في بلدنا وبلاد المسلمين يحددون وقتاً نجتمع فيه للدعاء، ولو كان بينهم رجل واحد مجاب الدعوة فإن الله يستجيب لهم جميعاً من أجله.

وقد كان أصحاب النبي يفعلون ذلك، فعندما حدث جفاف في عهد سيدنا عمر وأرادوا الاستسقاء، أخذ بالعباس عم النبي وقال منادياً:

{ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا }[١٩٧]

فتوسلوا إلى الله بعم النبي فنزل الماء، لذلك يجب أن نستعين بالدعاء، ... والدعاء كما قال ﷺ:

{ لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[١٩٨]

ويعتلجان يعني يصطرعان، البلاء نازل والدعاء صاعد، فإذا غلب الدعاء البلاء رفع الله ﷻ البلاء، ويغلبه بقلوب المؤمنين الصادقين ...

فالله يريد الدعاء من القلوب وليس من الألسن فقط، القلوب التي فيها الخشية، وفيها الوجل، وفيها الخوف من الله، وفيها الرجاء والاستبشار بفضل الله تبارك وتعالى، فباب الدعاء هو الباب الذي يرفع هذا البلاء.

وبهذه المناسبة نسأل الله أجمعين أن يرفع الله عنا هذا الوباء، وهذا البلاء، وأن يرفع كل بلاء، وأن يرزق المصابين جميعاً الشفاء، إنه قريب مجيب الدعاء.

---

١٩٧ صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه

١٩٨ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عائشة رضي الله عنها

١-٦- الحجر الصحي في الإسلام

س: نحن نراعى سبل الوقاية كلبس الكمامة، واستخدام المعقمات، لنقى أنفسنا وغيرنا من هذا الفيروس، ولكن البعض يقول أن هذا الوباء من عند الله فلا داعى لهذه الوسائل، لأن ما يصيبك سيصيبك، فما الحكم في ذلك؟

كما قلنا لا بد من الأخذ بالأسباب ..

ومن أراد ترك الأساب في هذا الباب فليترك الأسباب في كل الأبواب، بمعنى إذا أراد أن يعيش فإن الحياة والموت بيد الله فلا يأكل ولا يشرب!!، لِمَ يأكل ويشرب؟ ليستعين بما أطعمه الله وسقاه على العيشة التي أمره بها الله تبارك وتعالى !!

إذاً لا بد من الأخذ بالأسباب.

وأنبياء الله كانوا يأخذون بالأسباب:

- فالرسول ﷺ لِمَ حارب في المعارك هو وأصحابه؟!

كان الله ﷻ يستطيع أن يقضي على الأعداء في طرفة عين بدون حرب، ولكن قال لهم: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (١٤التوبة) الله الذي يعذبهم ولكن بأيديكم، ...

ولذلك لما تحدَّث بعضهم بأنه فعل وفعل وقتل، قال لهم الله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (١٧الأنفال) يعني ... أنتم قتلتموهم بمعونة الله، وبتوفيق الله، وبرعاية الله ..

- رمى النبي ﷺ في يوم بدر على الكافرين حفنة من الحصى، فأصابت كل الوجوه، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١٧الأنفال) أنت رميت الحصى .. لكن من الذي أوصله؟ ... الله ﷻ.
- إذاً لا بد من الأخذ بالأسباب في كل باب، ... ومن أهم هذه الأبوب .. باب الصحة.
- والرسول ﷺ وضع لنا قانون الحجر الصحي في ذلك، فقال ﷺ:

{ الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ ابْتَلَى اللَّهُ ﷻ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ }[١٩٩]

- إذا نزل الطاعون ببلد وأنتم خارجها فلا تدخلوها! ..
- وإذا كنتم بداخلها فلا تخرجوا منها! ..

ولذلك عندما ذهب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ إلى بلاد الشام في العام السابع عشر الهجري، وكان قد انتشر الطاعون بين جنود المسلمين، فاحتار في هذا الأمر !!

يروي ذلك سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ فيقول:

{ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ

---

١٩٩ صحيح مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه

وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ }[٢٠٠]

فأمرنا الرسول ﷺ بالحجر الصحي في هذا الأمر:

- **بأن نبتعد عن مكان الوباء.**

وأما التباعد الإجتماعى والعزل لمنع انتشار المرض فكانوا أيضاً أول من فعل ذلك فى التاريخ .. كيف؟

سيدنا عمرو بن العاص كان من جملة القادة الحاضرين:

وكان تولى الإمارة بعد سيدنا معاذ بن جبل الذى مات بالطاعون هو وابنه .. فلما رأى الوباء ينتشر في المجاورين لبعضهم قال:

يا قوم إنى رأيت أن هذا الوجع ينتشر انتشار النار فى الهشيم، وإنى رأيت أن تفرقوا في أعالي الجبال يبتعد عنكم الوباء، أو تتجبلوا منه فى الجبال !!

فصعدوا إلى أعالي الجبال وابتعدوا عن بعضهم، فانتهى الوباء. [٢٠١]

إذاً يجب العمل بالاحتياطات الصحية التي تطالب بها الدولة والهيئات الصحية العالمية، وذلك مطابق لشرع الله:

- **من التباعد الاجتماعي.**
- **ومن عدم السلام باليد.**
- **ومن غسل اليدين بالماء والصابون على الدوام.**
- **ومن وضع الكمامة على الفم والأنف.**
- **ومن كل الاجراءات، فهي إجراءات دينية وصحية في نفس الوقت.**

---

٢٠٠ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٠١ روى أبو عبيدة عامر بن الجراح فيما أخرجه الأمام أحمد واللفظ له، والطبرى فى التاريخ وابن عساكر فى تاريخ دمشق: { .. فلما ماتَ – أى سيدنا معاذ بن جبل من بعد سيدنا أبى عبيدة بن الجراح- استُخلِفَ على النَّاسِ عَمْرُو بنُ العاصِ، فقامَ فينا خَطيبًا، فقال: أيُّها النَّاسُ، إنَّ هذا الوَجَعَ إذا وقَعَ فإنَّما يَشتَعِلُ اشتِعالَ النَّارِ، فتَجَبَّلوا منه في الجِبالِ.وفى رواية: (فتَحَصَّنوا منه في الجِبالِ) وورد (فتَحَيَّلوا منه في الجِبالِ)، قال: فقال له أبو واثِلةَ الهُذَليُّ: كذَبتَ وَاللهِ، لقد صحِبتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، وأنتَ شَرٌّ مِن حِماري هذا. قال: وَاللهِ ما أرُدُّ عليكَ ما تَقولُ، وَايْمُ اللهِ لا نُقيمُ عليه. ثم خرَجَ، وخرَجَ النَّاسُ، فتفَرَّقوا عنه، ودفَعَهُ اللهُ عنهم (وفى رواية فتفرَّقوا وارتَفَع الطاعونُ) قال: فبلَغَ ذلك عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ مِن رَأْيِ عَمْرٍو، فوَاللهِ ما كَرِهَهُ.} ، والرواية الثانية لرجل من الأشعريين، والمحدث ابن حجر العسقلاني فى بذل الماعون

١-٧- أحوال الناس عند الوباء

س: جائحة كورونا وما يحدث فى العالم، .. البعض يحبُّ أن يتأمل ما يحدث فى بلادنا الإسلامية والدول الغربية، .. وُيَقَسِّم الناس، فيقول أن الدول غير المسلمة أرسل الله إليهم فيروس كورونا بسبب غضبه عليهم، وأرسله للدول الإسلامية كتطهير وتزكية، حتى أن البعض يقول عن الذي يحبُّه ومات بسبب كورونا أنه شهيد، والذي لا يحبُّه فهو عقاب الله له، ...

ماذا تقول فضيلتكم في ذلك؟

نرجع في ذلك إلى التقسيم الذي قسَّمه الله ﷻ في كتاب الله، فإن الله ﷻ أخبر عن كل شيء يُرسله على الكافرين ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (﴿٥٩﴾ الإسراء) آيات تدل على قدرة الله، إن كانت الأمراض، أو الزلازل، أو البراكين، فهذه كلها أمور فوق طاقة البشر، وتحدث في بلاد المسلمين وغير المسلمين، وليس لها شأن بمن يقول (لا إله إلا الله) فإن أكبر دولة إسلامية هي أندونيسيا، وهي أكثر البلاد حدوثاً للزلازل، لأنها عبارة عن جزر بركانيه، وتقع في منطقة حزام الزلازل، وغيرها.

فهذا الوباء والبلاء تخويف من الله للأقوام الكافرين ليرجعوا إلى الله، أو ليعلموا قدرة الله، ويعودوا إلى دين الله ﷻ.

أما نحن المؤمنون فلا يعلم خاتمة أي واحد منا إلا ربُّ العالمين، ولكنا نقول:

إن كان هذا المؤمن أصاب كثيراً من الذنوب، وعليه كثير من الآثام فإن المرض بالطبع يكون مطهراً له، قال ﷺ:

{ مَرَضُ يَوْمٍ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ ثَلاثِينَ سَنَةً }[٢٠٢]

ولكن لا يتمنى الإنسان المرض، ولا غيره، قال ﷺ:

{ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ }[٢٠٣]

---

٢٠٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن عائشة رضي الله عنها

لأن البلاء إذا نزل من الله ينزل قبله لطف من الله، فيعين على تحمله، أما إذا طلبت لنفسي البلاء فإنه لن يعينني على تحمله ولا أستطيع أن أتحمله.

وندعوا الله أن يعافينا، والعافية هي أن لا نصاب في الأصل، السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

{ يا رسول الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }[٢٠٤]

وكان يقول كثير من الصالحين: ((اللهم لا تجربنا ولا تختبرنا)) يعني لا تختبرنا بالبلاء، ولكن عافنا منه، حتى نعيش في عفو وعافية، لأن الإنسان لا يدري ماذا تفعل نفسه وقت البلاء، فربما غلبته نفسه فييأس، وقال الله:

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (﴿٨٧﴾يوسف).

فالأفضل أن لا يطلب الإنسان البلاء، ولا يطلب الصبر على البلاء إلا في حينه إذا نزل، لكن يسأل الله دوماً العفو والعافية، وهذا مطلب المؤمنين في هذه الأيام أجمعين، فإذا كان المؤمن أصاب بعض الذنوب ... أو وقع في بعض الآثام ... فإن المرض يطهره، قال ﷺ:

{ مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ }[٢٠٥]

ولذلك نجد بعض الأقوام للأسف عندنا معشر المسلمين :

- إذا مرض رجل قبل موته يقولون هذا من غضب الله عليه!، لكن كما ورد بالأثر: **(إذا أحب الله عبداً أمرضه قبل موته)** حتى يخرج من الدنيا طاهراً ليس عليه ذنب يحاسبه عليه الله، ويطالبه به ﷻ
- وإذا كان المؤمن ليس عليه ذنوب، وابتلاه الله، فإن هذا رفعة له عند الله، ورفعة لدرجاته في الجنة.

---

٢٠٣ صحيح البخاري وسنن الدارمي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه
٢٠٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها
٢٠٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١-٨- علاقة انتشار الوباء بغضب الله

س: هل مثل هذا الوباء العالمي ... غضب من الله !!!
نظراً لتفشي الموبقات .. والذنوب .. والآثام؟

قلنا أن ذلك تخويف: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الإسراء)

فالعالم كله أصيب بالكوليرا في عام ١٩٤٨م!! ولم تترك بقعة في الأرض !! إلا وأصابتها !! هل هذا كان عقاب من الله؟ ... لا ..!!

وكما قلنا أنه في زمن سيدنا عمر حدث وباء! وسيدنا عمر كان أعدل الناس على الأرض على مر التاريخ !! وفي عام سبع عشرة هجرية حدث أولاً قحط شديد في الجزيرة العربية! وكانوا لا يجدون حتى شربة ماء، لولا أن طلب عمر من عمرو بن العاص والي مصر أن يُرسل إليه المؤن لتكفي المسلمين بالجزيرة العربية، وقال له أرسل لنا قافلة أولها عندنا وآخرها عندك، ثم وفي نفس العام وبمجرد انتهاء القحط ... حدث الطاعون بين جند المسلمين الأقوياء الأتقياء الأنقياء، ومات فيه معظم أصحاب رسول الله المبجلين !!فهل كان هذا غضب من الله على عمر ومن معه؟! حاشا لله تبارك وتعالى.

١-٩- الموتُ بدرجة الشهداء

س: هل الذي يموت بفيروس كورونا شهيد؟

نعم شهيد، ... قال ﷺ: { مَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ }[٢٠٦]

والطاعون يعني أي مرض يحدث عن طريق فيروس أو ميكروب خفي لا تراه العين، وسُمي الطاعون بهذا الاسم لأنهم كانوا يقولون على قدر علمهم: ..هذا وخز إبر إخوانكم الجن (أى طعنهم بالإبر)، لكن الجنَّ لا شأن لهم بهذا الأمر.

فهذا المرض بمنظورنا الآن يصيبه الفيروس الذي لا تراه العين، وقد يحمله إنسان

---

٢٠٦ صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولا يدري، كما يقولون أن الأعراض لا تظهر إلا بعد أربعة عشر يوما من حمل الفيروس، لذلك قد ينقل الإنسان العدوى مع أنه سليم معافى أمام الناس.

إذاً من مات بالطاعون، أو مات بالكورونا، أو مات بأي وباء من هذه الأوبئة فهو شهيد، لكنه شهيد من شهداء الآخرة، وليس في ميدان القتال، ولذلك نغسله ونكفنه وندفنه، غير الشهيد الذي يموت في ميدان القتال فيُدفن على حالته بملابسه وهيئته، لا يُغسَّل ولا يُكفَّن، ويُبعث يوم القيامة على حالته، اللون لون دم، والرائحة رائحة مسك ....

فالذي يموت بأي وباء هو شهيد، لكن من الذي نال هذه الدرجة؟ لا نقول فلان ولا فلان لأن هذا في علم الله، والخاتمة لا يعلمها إلا الله! ولذلك لا ينبغي علينا جماعة المؤمنين أن نحكم على هذا بأنه من الشهداء، وعلى هذا بأنه كان من أهل البلاء وطهره الله، لأن هذا علم غيبي لا يعلمه إلا حضرة الله، عن السيد عائشة ﵂ قالت:

{ تُوُفِّيَ صَبِيٌّ فَقُلْتُ: طُوبَى لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ؛ فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا }[٢٠٧]

أراد النبي ﷺ أن يُغلق هذا الباب حتى لا يتكلم أحد في خاتمة أحد، نحسن الظن بالله، ونُحسن الظن بكل المسلمين، لكن لا نحكم على هذا بأنه من الأولياء، وأن هذا كان من الفجار وتاب عليه الله، قال الله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (٥٧الأنعام) ۞ لكن حال المؤمنين بين هذين الأمرين، إن كان عليه آثام وذنوب يطهره الله، وإن كان ليس عليه آثام وذنوب يرفع الله درجته عنده، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُبْتَلَى بِالْبَلَاءِ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَيُبْتَلَى بِالْبَلَاءِ حَتَّى يَنَالَ مِنْهُ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنَالُهَا دُونَ أَنْ يُبْتَلَى بِذَلِكَ، فَيُبْلِغُهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ }[٢٠٨]

الرجل يبلغ المنزلة في الجنة بالبلاء، لأنه ليس له عمل صالح يوصله إليها، .... فيرفعه الله بهذا البلاء.

---

٢٠٧ صحيح مسلم وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

٢٠٨ المطالب العالية لابن حجر، والطبقات الكبرى لابن سعد عن معيقب بن أبي فاطمة رضي الله عنه

١٠١- تعزية الأهل

س: كثيرٌ من الناس فقدوا بسبب هذا المرض كثيراً من الأحبة! ماذا نقول لهم؟

نقول لهم:

إن الله ﷻ أراد أن يضاعف لكم أجوركم ..

ويُحسن في الآخرة عاقبتكم ..

فإذا صبرتم الصبر الجميل ولم تنطقوا بعويل ولا صراخ ولا لطم ولا شيء مما نهى عنه الإسلام، وقلتم :

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

وصبرتم على أمر الله:

فزتم بما وعد به الله الصابرين في كتاب الله، بم وعدهم؟ قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (الزمر).

إذاً كل من فقد حبيباً أو قريباً في هذه الأيام وصبر لأمر الله:

دخل الجنة بغير حساب ... ولا سؤال، ... ولا ميزان، ...ولا صراط، ... إن شاء الله نتيجة صبره !!

وإذا لم يصبر، ماذا يستطيع أن يُقدمه لميته؟!

لا شيء!!!

غير أنه حُرم الثواب ....

ولذلك يأتي الشيطان والنفس ويظلان يوسوسان للإنسان حتى يُفقداه هذا الثواب بفعل أعمال الجاهلية التي نهى عنها النبي ﷺ.

١-١١- حكمة الله في الوباء

س: قالوا إن كبار السن والمرضى هم أكثر عرضة لهذا المرض، لكن وجدنا أن الصغار والشباب يتساقطون من هذا الوباء، فما حكمة الله ﷻ من ذلك؟

الله ﷻ قدَّر الآجال، وقال تعالى:

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾ (٣٤لقمان)، وقال: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (يونس)

إذا جاءت الآجال يجعل الله سبباً للموت، وقالوا في ذلك:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوَّعت الأسباب والموت واحد

والموت ليس له علاقة بالشباب، ولا بالشيخوخة، ولا بالأطفال، فيأخذ الأطفال الرضع، ويأخذ أحياناً الجنين وهو في بطن أمه، ويأخذ الشيوخ، ويأخذ الشباب على مختلف مراحلهم .. فحكمة الله فيما قدره من الآجال والأسباب الموصلة لها ..

ولكن الناس تتعلق بالتعليقات الطبية التي تُصدرها هيئة الصحة العالمية، وهيئة الصحة العالمية بالنسبة للموجة الأولى من هذا الوباء .. قالوا إنه يفتك أكثر بفئة الشيوخ لانهم أقل مناعة ...

وقالوا على الموجة الثانية من هذا الوباء أنه أسرع إنتشارا، وأنه يصيب الأعمار ما بين الخامسة والثلاثين والخامسة والخمسين سنة، لأنهم وجدوا أن هؤلاء أصبحوا أقل في المناعة، وهذا بسبب لجوء كثير من الشباب إلى المخدرات والمسكرات، وبعضهم يلجأ إلى المعاصي والذنوب، وكل ذلك يقلل المناعة عندهم، وكذلك كثير من الشباب يعتمد في غذاءه على الطعام خارج البيت، وهذه تُفقد الإنسان المناعة بالكلية!.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

--------إنتهت الحلقة التلفزيونية--------

٢- هل الكورونا غضب الله؟ وكيف نقضى علي المرض؟

س: فشت قالة فى المجتمع غريبة عن أسماع المسلمين، يتقولون في كل من أصابه وباء عصرنا الكورورنا أن هذا من غضب الله عليه، وأن الله غاضبٌ علينا أجمعين، !!! ولذلك أنزل لنا وعلينا هذا الوباء،!! ..(خطبة جمعة)

ما هذا الهراء؟!!. إن الله ﷻ يبتلي خلقه، والبلاء خُصَّ به الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل! والبلاء لإحدى ثلاث، إذا كان كافراً لتنبيهه وتخويفه ليرجع إلى الله، وإذا كان مؤمناً عاصياً لتطهيره وتبديل كل سيئاته بحسنات، وإذا كان مؤمناً تقياً نقياً كان لرفعة درجاته عند الله، ورفعة منزلته في الجنة إن شاء الله.

ونأخذ على سبيل المثال النبي ﷺ عندما هاجر ومن معه من الصحابة المباركين إلى المدينة المنورة تفشى في المهاجرين الحُمَّى، حتى أوشك كثير منهم على الموت من شدة الحُمَّى وألمها، فاشتكوا إلى النبي، فدعا النبي ﷺ الله، وقال:

{ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ }[٢٠٩]

والجحفة كانت منطقة كلها جبال وصحراء ... فشُفي المؤمنين وعافاهم الله ... بدعاء خير النبيين.

المثل الثاني: الحاكم الذي لا يوجد حاكم مثله في التاريخ في العدل وهو سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، ففي عام سبع عشرة هجرية أثناء ولايته وخلافته حدث أمران غريبان، فقد حدث في الجزيرة العربية كلها قحط شديد، ولم يجد الناس ماء ولا طعام، هل هذا كان غضب عليهم أم ابتلاء؟ ابتلاء لتمحيصهم وليس غضباً لأن الحاكم عادل وهم كانوا صالحين، وفي نفس العام حدث في بلاد الشام لجند المسلمين هناك وباء الطاعون، ومات فيه حوالي ثلاثين ألفاً من خيرة الصحابة المجاهدين، لم يقولوا أن ذلك غضبٌ من الله، ولكن علموا أنه قَدَر من الله، وكل ما فعلوه أنهم أخذوا بالتعاليم التي بيَّنها لهم رسول الله ﷺ.

---

٢٠٩ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

كيف نقضي على هذا الوباء؟ من الشريعة السمحاء، ومن سُنَّة إمام الأنبياء، السلاح الأول هو الذي استخدمه حضرة النبي، فقد دعا الله بصدق ويقين فرفع الله الوباء، ونحن نحتاج إلى الإلحاح في الدعاء في كل وقت وحين؛ أن يحفظنا الله، وأن يشفي المرضى من بيننا من هذا الداء، ودعاء المؤمنين مجاب، لان الله قال لنا:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ (٦٠غافر).

أما الأمر الثاني:

فقد كان النبي ﷺ يتحرز من السلام على من به داء مؤذي، فقد كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ:

{ ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ }[٢١٠]

ومن هنا فإنه لا يُستحب السلام بالمصافحة في هذه الأيام كما فعل النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، لكن السلام باللسان لا بد منه وهو ضرورة.

الأمر الثالث:

سيدنا عمر كان ذاهباً إلى بلاد الشام وقت نزول البلاء، وفي الطريق وصل إليه خبر أن الطاعون انتشر في بلاد الشام، وكان لا يفعل أمراً إلا عن مشورة من كبار أصحابه، فجمع أولاً كبار المهاجرين الذين معه، ثم جمع كبار الأنصار، ثم جمع شيوخ قريش، واستشار كل جماعة منهم عل حدة، وأخبرهم أن وباء الطاعون قد انتشر ببلاد الشام فاختلفوا، فقال بعضهم:

{ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟! فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ!، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ

٢١٠ سنن ابن ماجة وصحيح مسلم عن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه

رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟.فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ }[٢١١]

إذا انتشر الطاعون في أرض فلا تدخلوها، ومن كان بداخلها لا يخرج منها: وهذا أول قانون للحجر الصحي في التاريخ كله.

فمَن كان عنده هذا الوباء وأصيب بمرض الكورونا، وكلنا معرض لهذا الداء، ينبغي عليه أن يُعَرِّف من حوله من بيته، ويعتزل عنهم حتى لا يعديهم، وينبغي أن يعتزل بيت الله فلا يحضر للصلاة حتى لا يعدي إخوانه المسلمين، بل إن كل من عنده برد – لأنه عَرَض لهذا الداء – أو عنده سعال ينبغي أن يُصلي في بيته، وهذه فتوى دار الإفتاء المنشورة، ودين الله تبارك وتعالى أمر بذلك، ولا ينبغي أن يدخل على أصحاء لقول ﷺ:

{ لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ }[٢١٢]

يعني ينبغي للمريض أن يتجنب الذهاب للصحيح حتى لا يعديه، فقد قال ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٢١٣]

كذلك ينبغي لبس الكمامة في أي مكان نذهب إليه، لأن العدوى تنتقل عن طريق الأنف أولاً، أو عن طريق الفم ثانياً.

وقيل أن الفيروس ينتقل أحياناً من مسافة خمسة أمتار، فينبغي أن يكون بين الإنسان وأخيه تباعد، إن كان في الصلاة أو كان في غير الصلاة، وينبغي دائماً وأبداً أن لا يكل ولا يمل من غسل يديه بالماء والصابون، فكلما دخل منزله غسل يديه، وكلما ذهب إلى موضع غسل يديه، فإذا تحرزنا في ذلك، وأخذنا حيطتنا بذلك، ودعونا الله تبارك وتعالى فإن هذا هو الذي سيرفع هذا البلاء والعناء إن شاء الله.

---

٢١١ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
٢١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢١٣ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

٣- فيروس كورونا: الإصابة به، وكيف وقانا الدين منه؟

س: انتشرت فيديوهات ومقالات على النت تقول: أن فيروس كورونا ورد ذكره فى القرآن والسُنَّة النبوية، فهل هذا الأمر صحيح؟ وهل المسلمون معرضون للإصابة به؟ وكيف الوقاية منه فى العلم والدين؟

النصيحة الصحيحة من البداية أن لا نستقي معلوماتنا من وسائل التواصل الاجتماعية كالفيس بوك وغيره، فإن أكثرها معلومات غير موثقة وخاطئة، وإنما نأخذ معلوماتنا من الجهات الرسمية المعتمدة، فإذا كانت معلومة صحية كهذا الفيروس:

إما أن نأخذها من منظمة الصحة العالمية، وإما من الهيئات الصحية العالمية المعتمدة، كهيئة الصحة الأمريكية، أو من وزارة الصحة المصرية، واللجان المختصة التى تعالج الأزمة وتصدر بياناتها الرسمية، فنأخذ المعلومات من مصادرها، وهكذا قس على ذلك بقية المعلومات، لأن الفيس بوك ينشر الغُثاء مع الصحيح، ويحذرك ويقول لك: إياك أن لا تبلغ، فإن نشرت ستأخذ أجر كذا وكذا، وإن لم تنشر سيحدث لك كذا وكذا، وكل هذه أمور غريبة وعجيبة تدل على جهل المستخدمين لهذا البرنامج.

القرآن الكريم ليس فيه كلمة كورونا، ولا النبي ﷺ ذكر هذه الكلمة، فكيف يكون في القرآن والسنة؟!! لكن ممكن أن نأخذها بشكل آخر، فالمعلومة العلمية أن البيئة التي تحتضن هذا الفيروس هي الحيوانات آكلة اللحوم، وكذلك الطيور آكلة اللحوم، ولذلك هم في البداية قالوا: الخفاش، والخفاش لا يأكل اللحوم، لأن هؤلاء الأقوام يأكلون اللحوم نيئة، فيصيدونها ويأكلونها بدون تسوية.

ونحن نعلم جميعاً أن اللحوم النيئة كلها جراثيم وميكروبات وفيروسات، فمن يأكل اللحوم النيئة أو يأكل الدم لأن الدم هو المسار لكل الجراثيم والميكروبات والفيروسات، والإسلام حفظنا من كل هذه الأوبئة، لأنه حرَّم علينا أكل الحيوانات آكلة اللحوم، فنهى ﷺ عن أكل الحيوانات آكلة اللحوم، كالأسد والفهد وغيرها، وكذلك نهى ﷺ عن الطيور ذات المخالب والتي لها أسنان بارزة، وهي أيضاً تأكل اللحوم كالصقور والنسور وما شابه ذلك.

إذاً الإسلام نهانا عن أكل الطيور والحيوانات آكلة اللحوم: حتى يحفظنا من الوسط الذي تعيش فيه هذه الفيروسات ... وكذلك نهانا عن الدم، ونحن نعلم جميعاً حكمة نهر الدم في الذبح في الإسلام، فالأمم غير المسلمة لا يذبحون الحيوانات ولا الطيور، بل يميتونها بالصعق الكهربي والدم لا يخرج، وهذا الدم هو الوسط الذي تجري فيه الجراثيم والميكروبات، فمهما غُليت في الماء، ومهما سُويت فبعض الجراثيم والميكروبات تتحمل درجة الحرارة العالية ولا تموت، لكن لو نهرت الدم فينزل الدم ومعه كل ما في وسطه من جراثيم وميكروبات وفيروسات[٢١٤]، وهذه حكمة الذبح والنحر في الإسلام التي جاء لنا بها نبينا ﷺ.

إذاً إذا كان الرسول والقرآن ذكرا هذا الفيروس فيكون قد ذكر ضمناً، هو وكل الفيروسات التي على شاكلته ... كإنفلونزا الخنزير، .. وإنفلونزا الطيور، ... وكل هذه الأشياء فصيلة واحدة، كيف؟

بأنه حرم علينا أكل الحيونات والطيور آكلة اللحوم، وحرَّم علينا كذلك الدم.

وهناك معلومة ربما لم يتعرض لها أحد المتعرضين لهذا الوباء، فالعالم الخارجي لم يكتف في الحرب بالأسلحة التقليدية، فاخترع الأسلحة الذرية، واخترع الأسلحة الهيدروجينية، واخترع أخيراً الأسلحة البيولوجية، وهي أخطر أنواع الحروب التي تجري الآن، حيث يعمل حتى يعثر على فيروس ككورونا هذا، ويعمل له في المعامل عمليات تكاثر، وفي أثناء قيامه بعمليات التكاثر يدرس أطواره ويستخرج لقاح مضاد له، ويستخرج أدوية تقتله، حتى ينشر هذا الميكروب أو هذا الفيروس في العالم، وبعدها يبيع الدواء والأمصال للدول الفقيرة أمثالنا ... ولعلكم تذكرون أن لحظة انتشار إنفلونزا الطيور، من الذي تضرر منها؟ نحن الدول الفقيرة، فسارعنا فوراً ونزلنا إلى المزارع وذبحنا كل ما فيها من طيور، واستوردنا بمليارات الجنيهات أمصال.

الحروب البيولوجية موجودة بين الدول الكبرى، ونحن عندنا في منطقتنا إسرائيل تستخدمها ضد الدول العربية، فأحياناً تعمل فيروس يصيب الثروة الحيوانية كلها، مرة بالحمى، ومرة بشيء آخر، وتدخله بطريقة غريبة قد لا نفطن إليها، فذات مرة أدخلوا

---

٢١٤ ومن الجدير بالذكر هنا أنه صار معلوما بأمريكا وأوروبا أن محلات بيع اللحوم للمسلمين وتسمى (لحم حلال) أى مذبوحة على الشريعة الإسلامية أصبح الكثير من زبائنها هم من غير المسلمين بسبب إنتشار المعلومات العلمية الصريحة عن أخطار عدم إهراق دم الحيوان والأخطار المتعلقة بلحم الخنزير أيضاً.

فيروس قضى على كل ثروة النحل عندنا في مصر، وهذه هي الحرب التي يشتغلون بها الآن، ونحن قد لا نفطن عليها.

أحدث الآراء في العالم الآن أن كورونا فيروس صنعته الصين في المقاطعة التي انتشر فيها، لأن هذه المقاطعة من المقاطعات المتقدمة جداً في العلم، لماذا؟ لأنهم يرون الشركات الأمريكية والأوروبية محتكرة للأمصال ومحتكرة للأدوية، فخلَّقوا هذا الفيروس، ولكن أفلت منهم الزمام، ولم يستطيعوا السيطرة، حتى يكسروا هيمنة الدول الأوروبية والأمريكية في بيع الأمصال وبيع الأدوية للفقراء أمثالنا.

ومن الذي يشتري؟ نحن، لكن هم لا يشترون، لا هؤلاء ولا هؤلاء، ونحن نفعل أشياء غير مسبوقة، فبلاد تسارع إلى غلق المدارس، وبلاد تسارع إلى منع السفر نهائياً، وبلاد تسارع إلى منع شعيرة من شعائر الله، ومنع أو تقنين الذهاب لبيوت الله! وفرض حظر التجوال! ولماذا كل هذا؟ خائفين أن يُصابوا بالفيروس وكيف يأتينا الفيروس؟

هذا الفيروس لا ينتقل عن طريق المصنوعات (لأنه لا يعيش عليها إلا لساعات)، فالمصنوعات التي تأتينا من الصين فى النهاية لا تنقل الفيروس، فمصدره الفعَّال من الأحياء، من حي لحي، وهذه الوسيلة الفعالة لانتقاله، لكن هذه الآلات والأدوات لا يعيش على سطحها (إذا تلوث) إلا لوقت محدود أقل بكثير جدا من فترة نقل المنتج.

وهناك رواية أُخرى أن أمريكا هي التي اخترعت هذا الفيروس وصدَّرته للصين، لأنها وجدت أننا كلنا متجهين للصين ونستورد منها كل ما نحتاجه، فأرادت أن تقضي على القوة الإقتصادية للصين، ومن الذي يستطيع الآن أن يذهب للصين ليجلب بضاعة منها؟ لا أحد.

فهذه روايات ولا نعرف ما الصحيح، نسأل الله ﷻ أن يحفظنا من مكرهم ودهائهم، والله قال فيهم: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ (إبراهيم).

البعض يقول على الفيس بوك أن شرب الينسون يقيك من الإصابة بهذا الفيروس، فعرضنا هذا الأمر على الجهات الطبية، فقالوا: وما علاقة الينسون بهذا الفيروس؟! فالينسون يساعد على الهضم، ويساعد على تليين الطبيعة، ويساعد فعلاً على زيادة المناعة، لكن لا شأن له بهذا الفيروس، فهذه معلومات يذيعونها ويشيعونها ليبيعوا الينسون!، لكننا لا بد أن تكون معلوماتنا مدققة وصحيحة من جهات صحيحة.

وبعض المسلمين الذين لا يفقهون دين الله يقول: الصينيون لأنهم اضطهدوا المسلمين في المقاطعة التي عندهم، نزل عليهم عقاب من الله!!

لكن إذا كان هذا عقاب من الله للصين، فلماذا انتشر في إيران؟!

ولماذا انتشر في الكويت؟! ولماذا انتشر في البحرين؟!

هل هؤلاء أيضاً آذوا المسلمين الذين عندهم؟! هم مسلمون، فليس بهذا تُفسر وتؤول الوقائع في الإسلام!!

وهذا أمر نتيجة الجهل الشائع بين المسلمين.

صحيح أننا كلنا أولياء لله، لكن كل واحد منا يظن نفسه ولي وله كرامات، كيف؟ حدث بينه وبين أحد خلاف، وهذا الرجل جاءته كارثة أو مصيبة، فيقول: لأنني دعوت عليه فحدث له كذا وكذا!، أو لأنني غضبان عليه حدث له كذا وكذا!.

وهل يوجد واحد منا راض عن اليهود؟ لا، فادعوا الله لعله يستجيب، لكننا ندعو طوال العام، وفي الحرمين، وفي ليلة القدر، وفي كل مكان، فأين الاستجابة؟

الاستجابة ستتم ولكن إذا عملنا بقول الله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠)

لكن هل أعتمد على الدعاء بدون الأخذ بالأسباب؟ لا !!

وخذوا هذه باب وبدلاً من الأفراد طبقوها على الدول !! تجدوا أن بورما فعلت في المسلمين أكثر مما فعلته الصين، فأين العقاب الذي نزل على بورما؟! والهند كما ترون ماذا يفعلون في المسلمين، فماذا حدث لهم؟ لا شيء!!!

فليست هذه حُجة نقولها، لأننا لو قلناها سيعيرونا بشيء لن نقدر أن نرد عليه، هل غضب الله عليكم بسبب ما حدث في سوريا وما حدث في العراق وما حدث في ليبيا وما حدث في الصومال؟! فيكون حُجة لا ينبغي الأخذ بها ولا ذكرها أبداً، وإنما هذه أسباب، والله ﷻ هو مسبب الأسباب ﷻ.

هذا باختصار بالنسبة لفيروس كورونا ...

أما كيفية التوقى من الفيروس؟

وكيف ساعدنا الدين فى الوقايةمنه؟ وهذا ما يهمنا جماعة المسلمين ..

– أن الإنسان دائماً قبل ملامسة أي شيء يغسل يديه بالماء والصابون جيداً.

– وبعد أن ينتهي من عمل أي شيء لا بد أن يُطهِّر يده، إما بالماء والصابون مرة أُخرى، وإما بالمناديل المبللة، ولسيت المناديل المعطرة، ولكن المناديل المبللة بالديتول الذي يُطهِّر اليد قبل أن أضع يدي على أي عُضوٌ من أعضاء وجهي، لماذا؟

لأنني لو لم أغسل يدي ووضعهتا على الأنف، فسيدخل الفيروس، وحتى لو غسلت بعد ذلك فلن يفيد، ولو وضعتُ يدي على العين سيدخل الفيروس، ولو وضعت يدي على الفم أيضاً سيدخل الفيروس، ذلك قبل وضع يدي على أي عُضو من أعضاء الوجه لا بد أن أُطهر يدي.

– ثم ارتداء الكمامة الوقية واجب إلزامى:

فالكورونا نوعٌ من الأمراض الفيروسية التى تصيب الجهاز التنفسى ويتشابه مع بعض أنواع الإنفلونزا، لذلك من كان عنده أي نوع من الإنفلونزا، ويجد عنده إرتفاع فى درجة الحرارة أو حرارة شديدة، وضيق في التنفس، وقد يكون ضيقٌ أيضاً في الصدر، فعليه أن يلتزم بالتعاليم يلبس كمامة واقية وعلية بمراجعة الجهات الصحية للتأكد من المرض أو عدمه واتباع الإرشادات الموصى بها ولكننا نقول الكمامة كما أوصى الأطباء فى جميع الأوقات ...

– أما إذا صلى في بيت الله:

(إن كان ضروريا لازماً ومسموحا به من السلطات المعالجة للأزمة فى البلاد) فلا بد أن يحضر معه مصلًّى صغير يضعه في موضع سجوده، حتى إذا جاء آخر وصلى مكانه لا يُصاب بالفيروس من هذا المكان.

ولابد له من الإلتزام بالمسافات الآمنة المقررة فى المساجد عند ذلك) وأن نُجفف أعضاءنا جيداً بعد الوضوء، ولا يحاول أن يعطس أو يكح في وجه أخ من إخوانه المسلمين، فيعطس أو يكح إما بمنديل، فإن لم يكن معه منديل يرفع يده ويضعها على فمه، حتى يقي إخوانه المسلمين من هذه العدوى.

ومما يدل على عظمة هذا الدين أن وسائل الوقاية التى يشرحها الأطباء والعلماء الآن هى التى جاءنا بها النبى العدنان ﷺ:

فأول من قال فى الوجود كله أن على العاطس أن يعطس فى شئ، فى منديل أو فى شئ آخر هو حضرة النبي، ولم يعرف هذا العرف قبل النبى!،هو الذى أمر المؤمن حتى لو كان فى الصلاة وجاءه العطس أن يضع منديلاً على فمه حتى لا يتفرق الرذاذ فيؤذى من حوله، حكمة بالغة للنبى الكريم .ﷺ .

وهو الذى أوجب على كل مسلم أن يغسل أعضاءه الظاهرة فى اليوم على الأقل خمس مرات، لأنها موضع الطفيليات والجراثيم والميكروبات.

وهو الذى أمر المؤمن أن يغسل يديه قبل الطعام وبعده، فتلك السنة الكريمة هو أول من أتى بها، بل جعلها تكاد تكون فريضة وقال فيها محبذاً لها:

{ من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع }[٢١٥]

أى طعامه،والوضوء للطعام أى غسل اليدين والفم.

وهو ﷺ الذى أمر بغسل الأسنان قبل اختراع معجون الأسنان وفرشته، وكان يعيب على إخوانه إذا دخلوا عليه ولا يجد أفواههم نظيفة، ويقول لهم: **{ تدخلون عليّ قُلحاً؟! استاكوا }**[٢١٦]، أى ما لى أراكم تدخلون علىَّ صفر الأسنان ورائحة أفواهكم غير طيبة و متغيرة!! فلتستاكوا !! وكرر لهم فى مواضع أخرى فقال:

{ استاكوا، استاكوا، لا تأتوني قُلحاً، لولا أن أشقّ على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة }[٢١٧].

وأمر ألا ينام أحدٌ وعلى يديه بقايا طعام أو رائحته، وأمر ألا يضع أحد يده فى إناء الماء إذا استيقظ حتى يغسلها أولاً، وهو الذى نهى المسلم أن يدخل إلى أى جماعة إلا وفمه طيباً، ورائحة جسمه طيبة، وأمر بالتعطر، بل وأمر بالإغتسال كل يوم جمعة، حتى يدخل المسلم بيت الله وليس عليه حتى رائحة عرق، بل يغتسل ويتطيب ويلبس

---

٢١٥ رواه ابن ماجة، وروى الترمذي وأبو داود عن حديث سلمان ﷺ (بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده). وروى القضاعي والطبراني (الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر, وبعده ينفي اللمم).

٢١٦ البزار والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (تدخلون عليّ قُلحاً؟! استاكوا)

٢١٧ متفق عليه عن أبي هريرة ﷺ، وعن عبد الله بن عباس ﷺ

أحسن ما عنده ويذهب إلى بيت ربه، وأمر أن تجمَّر المساجد – أى: تبخر بالعطر والبخور ذى الرائحة الطيبة – فتكون المساجد رائحتها طيبة، والأبدان نظيفة ورائحتها طيبة، والأفواه مغسولة ونظيفة ورائحتها طيبة. هكذا حال المسلم.

واعلموا علم اليقين أن الذى أدخل علوم نظافة الجسد والبيئة قبل الأوربيين هم سلفكم الصالح الذين دخلوا بلاد الأندلس، فلم يعرف الأوربيون الإستحمام إلا بعد أن شاهدوا الحمامات فى بلاد الأندلس يدخلها المؤمنون لينفذوا نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ وأمر بنظافة البيوت وقال:

{ إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ }[٢١٨]

أى نظفوا بيوتكم واكنسوها ورشوها .. وقال ﷺ:

{ تَنَظَّفُوا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ بَنَى الْإِسْلَامَ عَلَى النَّظَافَةِ، وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَظِيفٌ } [٢١٩]

وبالنسبة للتقبيل وقد وردت فيه أسئلة متنوعة:

فإننا نشدد علي المنع لأنه لم يرد في نصّ صريح تقبيل الرجل للرجل من الوجه، فالوارد كان سيدنا رسول الله كان يلتزمه فقط، لكن التقبيل من الخدين فلا نص فيها، فإذا قبله من هذه الجهة أو هذه الجهة فلو كان عنده فيروس إنفلونزا مثلاً فتنتقل العدوى على الفور .. ونحن نقول أن منع هذا الأمر على سبيل الكراهة وليس التحريم، فلم يقل أحدٌ أنها حرام، ولكنها تخالف التعليمات الطبية ولا وافق عليها العلم الحديث، ولم يرد فيها أثر عن رسول الله ﷺ، فما الذي يجعلنا نفعل هذا المكروه أو الممنوع؟ والفم معروف أنه موضع كل الجراثيم !!

والأمر أخطر وخاصة كبار السن لضعف المناعة والأطفال، فالناس تتلهف على الأطفال وهم مساكين يُصابون بالعدوى على الفور من التقبيل في الفم. أريد أن أُقبله (فى غير أوقات الأزمات الوبائية كالكورونا مثلا أو غيرها) فنفعل كما فعل النبي فنُقبل الطفل من رأسه، لأن الطفل مناعته ضعيفة جداً، ولماذا أصيبه بالعدوى؟

---

٢١٨ رواه التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَرْفُوعًا ﷺ.
٢١٩ أَخْرَجَه الرَّافِعِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

وأكرر ثانية وثالثة وأقول .. لا العلم يوافق ولا أثرٌ وارد عن سيدنا رسول الله في فعله!، فحكمه الكراهة فقط أو أنه غير مستحب، وما دام كذلك فلماذا أفعله؟ فلا داع أبداً والمنع أولى وأشد وبالذات كما قلنا عند إنتشار الوباء.

وهناك حالة ذات علاقة قد نبَّهت عليها مراراً وتكراراً :

فكثير من الأحباب . وهو شيئٌ أتأسف منه . عندما يتكلم معك فلا تطيق رائحة فمه، فجوفه يُخرج رائحة كريهة، فلماذا هذا يا بنيَّ؟ أين السواك؟ وأين معجون الأسنان؟ ... وأين النظافة التي أمر بها رسول الله ﷺ:

فأنا أتمنى أن يكون الأخ صورة مما قاله رسول الله .ﷺ فعندما أراه أقول: كان الله في عون زوجته، فكيف تقبله؟ وكيف يقبلها؟ لأنها لن تطيق رائحته، وهي نفس الشيئ، فالمفروض أنا وأنت وكلنا وزوجتك وزوجتي قبل النوم نغسل أسنانا. وكذلك نغسل اللسان، فالثابت أن نغسل بالفرشة أو بالمعجون ونغسل كذلك اللسان بتمرير الفرشاة أو السواك على اللسان، لأن اللسان هو موضع البلاء. فنغسل الأسنان من الخارج ومن الداخل وفي أعلى الفم ونغسل كذلك اللسان.

والآن ومع تطور العلوم صنعوا بخَّاخة لهذا الغرض وتُباع في الصيدليات، فيضع الإنسان بخَّة (ضغطة) في فمه تجعل رائحة الفم طيبة. فلم لا أستخدمها قبل النوم والزوجة كذلك، وأستخدمها كذلك وأنا ذاهب للمسجد أو أزور أحداً حتى يكون المؤمن رائحته طيبة. فموضع الرائحة الطيبة يجب أن تكون شعاراً عندنا نحن.

فيجب علينا معشر المسلمين فى هذه الأيام أن نحيى سنة سيد الأولين والآخرين، فنعتنى بنظافة بيوتنا، ونظافة أبداننا، ونظافة شوارعنا، ونظافة مجتمعنا، فهى الوقاية الأولى من كل الأمراض المعدية أو غير المعدية .

ولا أنسى أن أذكركم بالتركيز في هذه الفترة والآنات على الأدوية التي تقوي المناعة، وهي فيتامين د، وفيتامين سى وهو فى الليمون، أو البرتقال والجوافة أكثر، فهي تجعل الجسم لا يتأثر بسرعة إن حاول الميكروب أو حاول الفيروس أن يخترقه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُحصِّن المسلمين أجمعين من هذا الداء ومن كل وباء.

٤- الكعبة والعلم الحديث وأثر الصلاة فى الوقاية من المرض

س: تردنا أسئلة كثيرة عن دور الصلاة فى وقاية الإنسان من الأمراض والعلل؟ وبالذات فى أوقات الخوف من إنتشار الأوبئة؟

أجبنا عن هذا السؤال مرات كثيرة بإجابات متنوعة، ولكن فى إجابتى هنا لن أتناول لا الوضوء ولا طهارة البدن والثوب ولا حركات الصلاة وعلاقتها بلياقة الجسم ولا تأثير الحالة الروحانية على اتزان إفراز هرمونات الجسم، ولكن سأتناول هنا موضوعاً جديداً للكثيرين، فالكل يعرف تأثير الصلاة على الصحة النفسية للمصلى وكيف تقوى شخصية المسلم ويصبح أصلب فى مواجهة المشاكل والأزمات وكيف يرفع من كفاءة جهاز المناعة لدية بسبب تحسن علاقته مع خلقه وباريه! وهذا معلومٌ ومشهور!

ولكن ساتناول الموضوع من ناحية ما يعرف هذه الأيام بتأثير الطاقة السلبية أو السالبة التى تأتينا من جميع الأجهزة الأليكترونية والكهربائية وملايين الموجات الكهرومغناطيسية التى تنساب فى الهواء ونحن نسبح فيها ليل نهار!! وتأثيرها على الإتزان الكهربائى للمخ وللجسم وبالتالى على الحالة النفسية لنا والجهاز المناعى للجسم فأقول:

أثبت العلم الحديث في ذلك أمرا فى غاية العجب! فقد عكف مجموعة من العلماء الأجلاء في الرياض في السعودية على دراسة الكعبة ولم كانت في هذا الموضع؟ واستخدموا الأساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة، وفي عام ١٩٧٨م خرجوا بهذه النتائج: الكعبة تتوسط الأرض فهي مركز اليابسة على سطح الأرض، إن كان في المجتمع الأرضي القديم كأفريقيا وآسيا وأوروربا، وإن كان في المجتمع الحديث بعد إضافة الأمريكتين واستراليا وغيرهما، فهي مركز الكرة الأرضية.دفع ذلك الباحثون فى أمريكا إلى تناول هذا الأمر بالبحث الدقيق، فاهتدوا وأصدروا دراسة في عام ٢٠٠٢ م أن الكعبة مركز الإشعاع الوحيد في الكون كله، تاتي إليها جميع الإشعاعات، وتصدر منها بعد ذلك جميع الإشعاعات.ولذلك رأى روَّاد الفضاء أن الأرض كلها كرةٌ مظلمة ليس فيها إلا مكانٌ واحدٌ مُشعٌ، يخرج منه شعاعٌ وضوءٌ وهو بيت الله الحرام، هذه الإشعاعات هي التي تجذب بني الإنسان إلى هذه البنية وتجعلهم يتعلقون بها ويودُّون زيارتها والطواف حولها، وإذا طافوا حولها امتلأت قلوبهم وأجسامهم من إشعاعاتها فتغير حالهم وتبدل

شأنهم عن طريق هذه الإشعاعات الإلهية النورانية والروحانية الباطنة والظاهرة التي يُشعّها عليهم رب البرية من هذا الموقع، ومع تطور الأبحاث فى أوروبا وأمريكا اكتشفوا أن الإنسان العصري تأثر كثيراً، وأصيب أغلب البشر بالتوتر نتيجة استخدامات الوسائل التكنولوجية العصرية من مراوح ومن مكبرات الصوت ومن تليفونات محمولة أوثابتة، كل هذه الوسائل الكهربية العصرية تؤثر على مخ الإنسان، فتجعل فيه قدراً كبيراً من الإشعاعات الكهرومغناطيسية والأليكترونات وهى ما يعرف بالطاقة السلبية أو السالبة المكتسبة فتجعله يغضب ويتوتر ويسهل إصابته أو يصاب بأغلب الأمراض العصرية كالضغط والسكر وتصلب الشرايين وغيرها، ... وما علاج ذلك؟

قالوا: .. لا علاج لذلك إلا بتفريغ الشحنات الكهرومغناطيسية الموجودة في المخ لكي يهدا الإنسان ويستعيد توازنه وهدوءه ...

فكيف يفرغها؟ قالوا:

لا يستطيع إفراغها إلا إذا وضع رأسه على الأرض، ويكون الإفراغ أتم إذا كان الرأس متجهاً إلى مركز الأرض المغناطيسي، ومركز الأرض هو بيت الله الحرام .. وبالتالى فتفريغ هذه الشحنات يعيد التوتزن الكهربائى للمخ والجسم فيرفع المستوى المناعى لجسم الإنسان! وهو أول خطوط الدفاع ضد الأمراض ألا وهو الجهاز المناعى للإنسان، وهذا بالضبط ما نفعله في السجود لله الذي أمرنا به الله ﷻ!

نسجد ليخرج هذا الحيز من الإليكترونات والطاقة السالبة من عقولنا ورؤسنا وأجسامنا بملامسة الرأس للأرض، ونخرج من الصلاة كما قال الله في هذه الصلاة:

﴿ إِنَّ الْاِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلا الْمُصَلِّينَ (١٩-٢٢)﴾ (المعارج)

المصلون هم الذين لهم الوقاية من هذا الأمر. قال ﷺ:

{ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا، وَلَا نَجَاةً، وَلَا بُرْهَانًا، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ } [٢٢٠]

٢٢٠ سنن الدارمي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم

٥- أدب المؤمن عند البلاء

س: أخيراً .. ما أدب المؤمن عند نزول البلاء؟

وعدنا الله ﷻ في هذه الدار، واسمها دار إمتحان:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ (٢الملك) ويبلوكم يعني يختبركم، أو يمتحنكم، وفيم يمتحننا؟ ذكر مواد الإمتحان: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (١٥٥البقرة)

هذه أنواع البلاء التي ذكرها تعالى، وماذا نفعل يا رب؟ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

فأول شيء الصبر عند نزول القضاء، مع الأخذ بكل ما في وسعي من الأسباب لدفع القضاء، فليس معنى الصبر أن أسكت كما يحدث من بعض الجاهلين عندما يمرض يقولون له: هيا نذهب بك للطبيب، فيقول: لا، لو أن الله كتب لي الشفاء سأُشفى بدون طبيب، فهل هذا الكلام يتماشى مع السنة النبوية؟ لا، لقوله ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }٢٢١

وقد يكون في آخر حياته وينتظر الموت ويقول: لا داعي أن أذهب لطبيب أو آخذ دواء فأنا أنتظر الموت، وما المانع؟! فأنا لو عشتُ ساعة واحدة في الدنيا أعيشها في راحة أفضل من أن أعيشها في عناء وبلاء، فما دمت أنا في الدنيا لا أترك الأسباب، فيصبر، ويأخذ بالأسباب، ويأخذ بسبب الأسباب وهو الدعاء !!

فأي أمر تريد أن يحققه الله لك في الدنيا فعليك بأمرين إثنين:

تأخذ بالأسباب ومعها الدعاء! .... فإذا أخذت بالأسباب وذهبت للطبيب واشتريت العلاج، ولم ترجع إلى الله ولم تدعو الله، فتكون كالطائر الذي يطير بجناح واحد، وإذا أخذت بالدعاء وتركت الأسباب فأيضاً نفس الأمر، لكن لا بد أن تأخذ بالإثنين معاً، أسعى إلى رزقي وأدعو الله ليجعل البركة في رزقي، فالدعاء لن يزيد الرزق، ولكن يجعل البركة فيه، والبركة يعني الزيادة، فيزيد هذا الرزق عن طريق الدعاء، وهكذا أي أمر يحتاج المؤمن إلى إنجاحه لا بد فيه من الأخذ بالأمرين معاً، يأخذ بالأسباب ثم

---

٢٢١ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك ﷺ

يدعو حضرة الكريم الوهاب ﷻ، وهذا لا بد أن ينجح قصده، ويبلّغه الله ﷻ أمله.

الأدب الآخر أن لا يشتكي الله إلى خلقه! كثير من الناس الآن يقول: لماذا أنا يارب اخترتني وابتليتني بكذا وكذا؟ وفلان لا يصلي ولا يقوم بأي طاعة من الطاعات ووسعت عليه الأرزاق، وباركت له في صحته وفي أولاده، ومثل هذا لا يرى إلا الظاهر، لكن لو تعمقتُ قد أجده يعيش في جهنم وأنا لا أدري، لأننا ننظر للمظاهر فقط.

هل يوجد إنسان في الدنيا كلها من أولها إلى آخرها قديماً أو حديثاً يخلو من بلاء؟

لا يوجد، ولكن منهم من يصبر ويشكو إلى الله ويأخذ بالأسباب، ولا يُحدِّث خلق الله بما ابتلاه به الله ... لأني عندما أُحدِّث الخلق، ماذا سيصنعون لي؟ إن كانوا أعداء سيشمتون فيَّ، وإن كانوا أودَّاء سيقولون لا بد أنك أخطأت في شيء، أو تركت شيء، ويؤنبوني ويوبخوني، لا هؤلاء يستطيعوا أن يرفعوا عني البلاء، ولا هؤلاء يستطيعوا عمل شيء في هذا البلاء، فلمن أشتكي؟ لله ﷻ، ولذلك احفظوا هذا الحديث وعوه واعملوا به، فإن من عمل به كان من كُمَّل الصالحين، قال ﷺ:

{ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ }[٢٢٢]

من كنوز البر أن تكتم المصائب، فماذا يصنع لك الذين تقول وتشتكي لهم؟ لا شيء، لكن الله ﷻ قال:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (﴿٦٠﴾ غافر) ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ (﴿٨٣﴾ الأنبياء)

وهكذا، فهل أترك هذا وأذهب لهؤلاء؟

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنيَّ آدم حين يُسأل يغضب

فلِمَ أذهب لمن يعبس في وجهي، أو الذي يقول لي كلمات جارحة أو مؤلمة أو فيها تأنيب؟ وأترك باب العزيز الحميد الذي إن قلت: يا رب، يقول:....لبيك عبدي، لك ما تريد عندي.

... ((أنتهى بحمد الله تعالى وحسن معونته وتوفيقه))

---

٢٢٢ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الروياني عن ابن عمر رضي الله عنهما

نبذة عن المؤلف فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ ولد الشيخ في ١٨/١٠/١٩٤٨م، ١٥/١١/١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر. والدول العربية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواضيع والكتب المترجمة.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه: إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون: مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى. بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة: بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[٢٢٣]، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها. ٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية، ٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة، خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة، خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات بإذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية. ٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية. ٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصافير الجنة. ٦- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات". ٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرسول ﷺ" و*برنامج "أحسن القصص". ٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج "جدد حياتك" ولا يزالا مستمرآن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، و كذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون". ٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "السيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا. ١- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية". ١١- القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر". ١٢- القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون". ١٣- المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيي العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات و دعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين الطوال. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٢٢٣ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة

حتى تاريخ ٢٠٢١/١/٢٧م، وهى ست عشرة سلسلة تحوي: ١٢٩كتاباً

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٢ كتاباً

٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ١)	١	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام: (مجلد ٥)	٢	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام:(مجلد ٥)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)	١	
١٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)	٣	
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)	١	
٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)	١	
١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	

السلسلة رقم ٢: الفقــه: كتب١٠

٢	زاد الحاج والمعتمر	٣	
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١	
١٠٤	سنن الهدى	١	
٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧٢	إكرام الله للأموات	١	
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	

السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: كتاباً١٢

٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢	
٦١	السراج المنير	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١	
١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٧	تجليات المعراج	١	
١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	

السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٧ كتب

١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢	
٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	

السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧ كتب

٣٤	كيف يحبُّك الله	٤	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢	
٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١	
٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	

السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب

١٦	خطب المولد النبوى	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢	
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	

سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب

٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١	

السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٥ كتب

٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢	
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١	
٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٢ كتاباً

٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢		٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢		٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣١	رسالة الصالحين	١		٣٢	مراقي الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١		٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١		١٢٥	همة المريد الصادق	١	

السلسلة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب

٨	مفاتح الفرج	٦		١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥		٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢		٥٦	نيل التهاني بالورد القرآني	١	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢					

السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٧ كتاباً

١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١		١١	الصفاء والأصفياء	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١		٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	
٣٦	المنهج الصوفي والحياة العصرية	١		٤٢	الولاية والأولياء	١	
٤٩	موازين الصادقين	١		٥١	الفتح العرفاني	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢		٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٣	منهاج الواصلين	١		٦٥	نسمات القرب	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١		٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٨٣	مقامات المقربين	١		٩٨	آداب المحبين لله	١	
١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء	١					

السلسلة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب

٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١		٧٦	فتاوى فورية ج١	١	
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١		٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١		١٠١	يسألونك	١	
١٢٧	القول السديد	١					

السلسلة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٥كتب

٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢		٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	
٩٩	إشارات العارفين	١		١١١	ينبات الصدور	١	
١٢٩	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١					

السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب

٨١	سؤالات غير المسلمين	١		٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١					

السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب

٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢		٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١		٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	
١١٠	الدعاء المستجاب	١					

سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٢ كتاباً

٥٧	تحفة المحبين في فضائل عاشوراء للقاوقجي	١		١١٣	ورد الإستغفار اليومي للحسن البصري	١	

كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه

١١٥	أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق	٢		١١٦	الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢		١١٨	التوحيد في القرآن والسنة	٢	
١١٩	علامات وقوع الساعة	٢		١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢١	شعب الإيمان	٢		١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢٣	عبادة المؤمن اليومية	٤		١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

الإسـكندرية		
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض

الأقاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، الأستاذ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ. عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور توزيع مؤسسات الأهرام و الأخبار والجمهورية، وكذلك بمختلف المكتبات بالقاهرة والأقاليم .

ويمكن تصفح الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أو موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة.

ويمكن أيضا طلبها من داخل الجمهورية وخارجها من جميع أنحاء العالم أون لاين على متاجر شبكة المعلومات .

الفهرست

المقدمة	٤

الفصل الأول: مع الشيخ

١- إيثار المريد نفسه على شيخه	٦
٢- عين الأدب مع الشيخ	٨
٣- أدب المريد مع شيخه	١٠
٤- التلقي من الشيخ	١٣
٥- التلقي من الشيخ كشفاً	١٥
٦- علامات حب الشيخ للمريد	١٧
٧- توارد الخواطر بين الشيخ والمريد	١٩
٨- نظرة الشيخ للمريد	٢٣
٩- كلمة "الشيخ"	٢٥
١٠- الاكتفاء بالصلاة على النبي عن الشيخ	٢٦
١١- الشيخ الحقيقي	٢٨

الفصل الثاني: مع جهاد النفس

١- أسباب التقصير والتأخر في طريق الله	٣٣
٢- عوائق الفتح	٣٧
٣- معرفة العوائق	٤٠
٤- المريد في أرض السلوك	٤٣
٥- ذكرى الدار	٤٥
٦- محو الصور الكونية	٤٦
٧- الخيال والسلوك إلى الله	٤٩
٨- الخواطر الإلهية والخواطر النفسية	٥١
٩- الحزن في طريق الله	٥٢
١٠- الحزن وتزكية النفس	٥٥
١١- قيد النفس	٥٧
١٢- حجاب النفس	٥٨
١٣- الرياء	٥٩

١٤- مرض الكبر	٦٣
١٥- النفـــس الأمَّـــارة	٦٦
١٦- التخلص من الصفات البشرية	٦٩
١٧- التخلي والتحلي	٧٤
١٨- سلامة الصدر	٧٩
١٩- ايقاظ القلب	٨٣
٢٠- التجريد	٨٨
٢١- شوق المذنب	٩١
٢٢- ظنُّ الخير بالله	٩٣
٢٣- مقام الرجاء	٩٦
٢٤- حسن الظنِّ بالله	٩٧

الفصل الثالث: مع الأحباب

١- الحبُّ عند الصوفية	١٠٠
٢- أساس مصاحبة الصالحين	١٠٥
٣- التأهل للسير مع الصالحين	١٠٨
٤- زاد الصالحين	١١٨
٥- الرفيق في الطريق	١٢٠
٦- مُدخل الصدق	١٢١
٧- حِلية المريدين	١٢٦
٨- إيتاء الحكمة	١٢٨
٩- الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة	١٣٥
١٠- الفرقة بين الإخوان	١٣٦
١١- التدخل في حياة الآخرين	١٣٧
١٢- العلاقات الأسرية بين الأسر المسلمة	١٣٨
١٣- ادِّعاء التطبيب	١٤٢
١٤- تخبيب الزوجة	١٤٣
١٥- أهل اليمين والمقربين	١٤٦
١٦- الصوفية والمناصب	١٤٩
١٧- الحاجة للصالحين في الجنة	١٥٠

الفصل الرابع: من فيض فضل الله

١-	صورة الرحمن	١٥٣
٢-	مواجهات الجمال والجلال	١٥٥
٣-	شهود الجمالات والكمالات	١٥٧
٤-	منن الله على الصالحين	١٥٩
٥-	قبلة العارفين	١٦٠
٦-	صلاة القلوب على النبي	١٦٢
٧-	وصل القلب بالنبي	١٦٦
٨-	رؤية حقيقة رسول الله ﷺ	١٧٤
٩-	مقام النبي	١٧٧
١٠-	صفاء الروح	١٧٨
١١-	رُقيّ الروح	١٨٠
١٢-	الترقي الروحي	١٨٢
١٣-	سلطان النفاذ إلى العالم الأعلى	١٨٤
١٤-	أوراد جلب الروحانيات	١٨٨
١٥-	الإخلاص	١٨٩
١٦-	مقام الكشف	١٩١
١٧-	المقام المعلوم	١٩٢
١٨-	مقام العبد عند الله	١٩٣

الفصل الخامس: مسائل حيوية

١-	إنكار واقعة الحمام والبيض على الغار	١٩٦
٢-	الإسراء والمعراج والأسباب	١٩٨
٣-	مواقف من غزوة تبوك	٢٠٠
٤-	التسليم والتوكل والتفويض لله	٢٠٤
٥-	أيام الإنسان	٢٠٨
٦-	كيف يشغل كبار السن أوقاتهم	٢١٠

الفصل السادس: مجالس أهل الصفاء

١-	حكمة الأحكام	٢١٥
٢-	الفتور عن أعمال البر والخير	٢١٧

٣- ورثة الكتاب	٢٢٨
٤- علامات التوفيق في السلوك.	٢٣٧
٥- تذكرة في تربية الأولاد	٢٤٠

الفصل السابع: الأمراض المعدية بين الدين والعلم

١- الوقاية خير من العلاج	٢٤٦
١-١- العادات الصحيةالسليمة فى الدين	٢٤٦
١-٢- زيارة المرضى والعزاء عند انتشار الوباء	٢٤٩
١-٣- التكافل الاجتماعي عند الوباء	٢٥١
١-٤- التفاؤل والتشاؤم	٢٥٢
١-٥- تجنب الشائعات	٢٥٣
١-٦- الحجر الصحي في الإسلام	٢٥٥
١-٧- أحوال الناس عند الوباء	٢٥٨
١-٨- علاقة انتشار الوباء بغضب الله	٢٦٠
١-٩- الموتُ بدرجة الشهداء	٢٦٠
١-١٠- تعزية الأهل	٢٦٢
١-١١- حكمة الله في الوباء	٢٦٣
٢- هل الكورونا غضب الله؟ وكيف نقضى علي المرض؟	٢٦٤
٣- فيروس كورونا: كيف نصاب به؟ وكيف وقانا الدين منه؟	٢٦٧
٤- الكعبة والعلم الحديث وأثر الصلاة.فى الوقاية من المرض	٢٧٥
٥- أدب المؤمن عند البلاء	٢٧٧

الخاتمة

نبذة عن المؤلف الشيخ فوزى محمد أبوزيد	٢٧٩
قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة حتى تاريخه	٢٨١
قائمة المكتبات ودور التوزيع للمؤلفات	٢٨٣
الفهرست	٢٨٥

تحت الطبع: ١- عبر من حياة الصالحين

٣- تفسير آيات النور فى القرآن

٤- أوصاف الرسول ﷺ فى القرآن